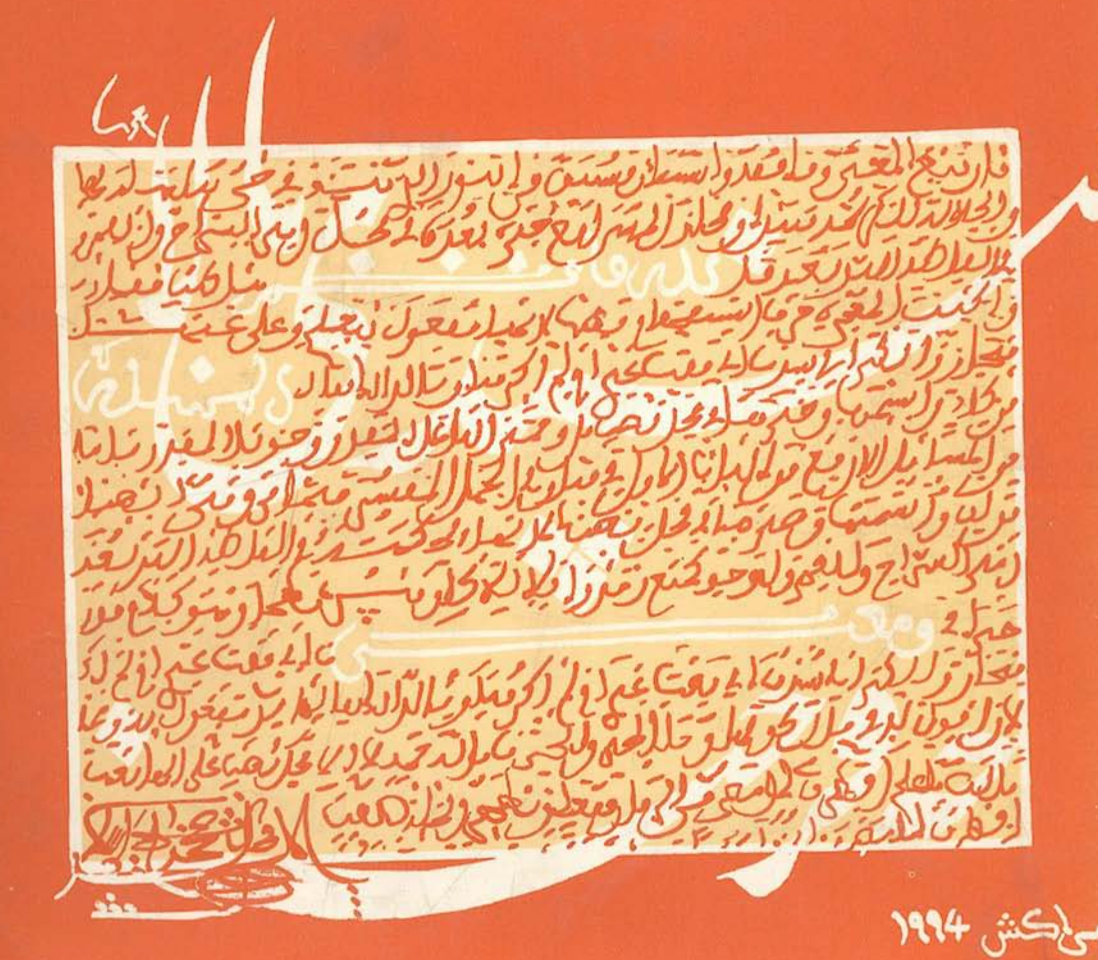
kitabweb-2013.forumsmaroc.com

د . حسن جلاب

(الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب)

(1)

الحركة الصوفية بمراكش : ظاهرة سبعة رجال



مراكش ١٩٩٤

د . حسن جلاب

(الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب)

(1)

الحركة الصوفية بمراكش :
ظاهرة سبعة رجال

مراكش 1994

أصل هذا الكتاب

رسالة جامعية نال بها صاحبها دكتوراه الدولة في اللغة العربية وآدابها من كليـة الآداب بالرباط يوم 27 يونيو 1987 بميزة حسن جدا، تحت عنوان "الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب".

وكانت لجنة المناقشة مكونة من :

الدكتور محمد بنشريفة رئيسا
الدكتور عباس الجراري مشرفا ومقررا
الدكتور عبد السلام الهراس عضوا
الدكتور محمد بن شقرون عضوا

وتتكون الأطروحة من ثلاثة كتب هي :

- الحركة الصوفية بمراكش : ظاهرة سبعة رجال
- الآثار الأدبية لصوفية مراكش
- مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى - مراكش
رقم الايداع القانوني 426 / 1994
ردمك 0-2-9600-9981
المطبعة والوراقة الوطنية مراكش

تقديـــم

أصل هذا الكتاب أطروحة جامعية لنيل دكتوراة الدولة في اللغة العربية وآدابها، قدمتها لكلية الآداب والعلوم الانسانية التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط بتاريخ 27-6-1987. وقد أقدمت على نشرها هذه السنة لتستفيد منها قاعدة أكبر من الباحثين والمهتمين.

ومع مرور حوالي سبع سنوات على كتابتها فإنني تركتها كما كانت في الأصل ولم أدخل عليها الا التعديلات والتصويبات التي اقترحها السادة أعضاء لجنة المناقشة.

وهذا الكتاب هو الجزء الأول من الأطروحة، سيتلوه جزءان هما : الآثار الأدبية لصوفية مراكش"، و "مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي". آمل أن أكون قد ساهمت بها في اغناء البحث حول تاريخ مدينة مراكش وأدبها الصوفي. والله نسأل التوفيق والسداد.

مراكش في 19 شتنبر 1994

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

قد يكون للمصادفة دور في توجيه حياة الانسان، وتحديد مستقبله ومصيره !!

فـقـد كلفت في إحـدى سنوات السلك الثـاني من دراستي الثـانـوية بإنجـاز بحث حـول "الزاوية الدلائية"، رجعت فيه الى بعض الكتابات والمقالات الأجنبية على الخصوص. ووجدت نفـسي وأنا اتهـيـأ لانجاز بحث الاجازة امـيـل الى نفس الموضـوع تلقـائيـا. فكان حـول "الشـعـر الدلائي".

تمكنت هذه المرة من التعرف الى مصادره وأصوله، والى شعرائه وانتاجهم واتجاهاتهم، وتاريخ الزاوية وأدوارها السياسية والاجتماعية والعلمية.

وقـد مكنتني مـحاضـرات السلك الثـالث التي كـان يلقـيـهـا أسـتـاذي الدكـتـور عبـاس الجراري من تعـمـيـق مـعلومـاتي في الموضـوع، إذ كـان أحـد مـحـوريهـا عن اليـوسـي -تلمـيـذ الدلائيين- وكتابه المحاضرات.

فلم أتردد بعد ذلـك -باتفاق مع أستـاذي- في اختيـار أحد أبرز علمـاء الدلاء وأدبائها، وهو مـحـمد المرابط، مـوضـوعـا لرسـالتي لنيـل دبلوم الـسـلك الثـالث. وكـان ذلك حـافـزا لي على الاهتمام بالأدب الصوفي المغربي عموما.

ولعل من حسن المصادفة كذلك ان تأسـسـت كلية الآداب التـابعة لجامعة القـاضي عيـاض بمراكش بعد فراغي مباشرة من البحث المذكور. فكرس انتسابي لها اهتماما آخر : أدب الاقليم وتراثه. إذ يجب أن تكون من أهداف الكليـات التـفـتح علـى مـحـيطهـا القـريب ودراسـتـه على مختلف المستـويات، إضافة الى مـهـامـهـا العلمـيـة التـربوية. فـلا يمكن أن يتـضـح تاريخ أو أدب بلد ما لم يسبق أو يواكب بدراسات لمدنه وبواديه ومناطقه...

وقد ظهرت هذه الدعـوة عند بعض علمـائنا من خلال دراسات وتواريخ اعلام الفت عـول مدن كـفـاس ومـراكش ومكنـاس والرباط... الا أن هذا الاتجـاه كـان أكـثـر بروزا وتكـامـلا في مقدمة كتاب "الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه" للدكتور عباس الجراري.

فقد اعتبر الاقليمية التي تعتمد البيئة ومقوماتها ومؤثراتها أساسا للدراسة، والوسيلة الوحـيـدة للم شـتـات الأدب العـربي في كل الأقطار التي أبدعـتـه، والطريق الى العـالمـيـة

والانسانية. وبذلك فإنها تتنافى والمحلية، أو ما يمكن أن يفهم من احياء للنعرات القبلية أو الجهوية.

ودعا المؤلف الى الاهتمام بالأدب بمفهومه الشامل لكل الانتاج الفكري لأمتنا، دون حصره في نطاق الشعر والنثر الفني... وتناول المدرسي والشعبي منه، قديمه وحديثه، عن طريق طرح ظواهره وقضاياه.

وما أكثر الظواهر والقضايا التي تستحق الدراسة في مراكش. ذلك لأن التاريخ السياسي والفكري والاجتماعي للمغرب كاد أن يرتبط بمدينتين كبيرتين : فاس ومراكش اللتين تناوبتا على احتضان كرسي الحكم، ومركز القرار، ومنابر العلم وخزائنه. واستقبلتا على امتداد التاريخ العدد الهائل من العلماء والصوفية والفقهاء والشعراء ما لم تستقبله غيرهما من مدن المغرب وبواديه، فعلّموا بها الأجيال وألفوا الكتب.

ولا نبالغ اذا قلنا بأن حظ مراكش -التي أعطت اسمها للمغرب كله- كان أوفر في كل المجالات.

إلا أنني وفاء لاهتماماتي وخدمة للمقاصد والغايات السابقة الذكر، رأيت أن يكون موضوع أطروحتي متصلا بظاهرة صوفية لها ارتباط بالمدينة.

وبالرغم من أن المدينة قد برز فيها عدد من الصوفية الاعلام، خلفوا آثارا تستحق الدراسة، وعرفت طوائف وطرقا صوفية نشيطة (فهي كما يقال "تربة الأولياء" و "كل قدم من أرضها بولي")، فإنني فضلت تناول ظاهرة سبعة رجال واثرها في الأدب، لأنها :

- تتسم بالطرافة والاثارة.
- تضم عدة طرق ومذاهب صوفية
- كان لها تأثير سياسي واجتماعي عميق على مدى عدة قرون.
- كانت سببا في ظهور حركة أدبية تأليفية واسعة النطاق.

وإذا بدا لأول وهلة ان الموضوع محدد : ظاهرة معينة، في مدينة بالذات ! فإنه في العمق يطرح اشكالا كبيرا : وهو امتداده الزمني. فأول الرجال ينتمي للعصر المرابطي، وآخرهم ينتمي لبداية العصر السعدي. وهكذا فإن دراسة آثارهم الأدبية الصوفية تقتضي التنقل بين أدب هذه العصور. يضاف الى هذا ان تأثير الظاهرة يستمر على مدى العصر العلوي بكامله. وهذا يتطلب -بطبيعة الحال- مجهودا كبيرا سواء في جمع مادة البحث أو دراستها وتحليلها.

هذه المادة التي تطرح بدورها اشكالا : فالموضوع بالصيغة المحددة أعلاه، لم يسبق أن

تناوله أحد من الباحثين من قبل، إذ كان الاهتمام منصبا على أسباب تنظيم الزيارة، وتحديد مدارها، والتعريف بأعلامها. وكانت الدراسات المعروفة حول الموضوع هي : اظهار الكمال لمؤرخ مراكش عباس بن ابراهيم المراكشي، ومقالة لهنري دوكاستري نشرها في آخر الربع الأول من هذا القرن على صفحات مجلة هسبريس. واعتمد فيها أساساً على ما جاء في الكتاب المذكور، وبعض الكتب التي ترجمت لهؤلاء الرجال كالتشوف، والدوحة، والممتع... ومع المجهود العلمي المبذول في هذه المقالة، فإنها لم تضف أي جديد لما في إظهار الكمال.

ويمكن أن نقول نفس الشيء عن آثارهم الأدبية الصوفية، فلم يكن معروفا ومتداولا منها سوى : شفا عياض، وبعض قصائد السهيلي وصلاة السبتي، وأحزاب الجزولي، في حين تتردد في كتب التراجم قصائد قيلت في مدحهم، والتوسل بهم، والحث على زيارتهم... وفي كنانيش الملحون، وفي المرددات الشعبية نصوص شبيهة في المدح والتوسل.

ومع قلة ما كان بيدي من المصادر المعروفة عن الظاهرة، أقبلت على الموضوع بشجاعة وحماس، متجها الى :

- مؤلفات هؤلاء الرجال المتصلة على الخصوص بالظاهرة الصوفية أجعلها أساس الدراسة.
- كتب التاريخ بحثا عما قاله المؤرخون في موضوع تنظيم الزيارة لعلاقته باحداث جبل الحديد (رجال رجراجة) ببلاد الشياظمة على عهد محمد الشيخ والمولى إسماعيل.
- كتب التراجم والطبقات للتعرف الى سير الرجال وكلامهم.
- كتب التصوف والطريقة، للتعرف الى مذاهبهم، ونظرياتهم الصوفية وعلاقتها بالتراث الصوفي الاسلامي.
- كتب الفهارس والمسلسلات لربط هذه الطرق بغيرها، ولمعرفة شيوخهم وتلامذتهم وأسانيدهم...
- كتب التصليات والاذكار، سواء ما كان من إنتاج الرجال أنفسهم أو ما كان متأثرا بهذا الانتاج أو سائرا على نهجه.
- الرسائل والوثائق والظهائر التي لها علاقة قريبة بالموضوع وتسلط الأضواء على جانب من جوانبه.
- دواوين الأشعار، وكنانيش الملحون، وتسجيلات المرددات الشعبية، للوقوف على آثارهم الشعرية، وما قيل في مذاهبهم أو مدحهم أو في التوسل بهم. وقد كان الصنف الثاني غزيرا جعلني أكتفي بنماذج تمثيلية متنوعة أتعرف من خلالها الى مستوى هذا الشعر وأحدد خصائصه ومميزاته.

- الدراسات والمقالات، وهي قليلة. وما ظهر منها أثناء اشتغالي بالموضوع لم يكن ليفيدني ما دمت قد اعتمدت أصولا لم يستفد منها كُتّابها.

ولا أريد الاطالة بعرض عناوين الكتب المعتمدة في هذه الأطروحة فلذلك مكانه الخاص، إلا انني أكتفي بذكر الخلاصات التالية :

1- انها -أي الكتب- كثيرة ومتنوعة شغلت كل أوقاتي خلال السنوات الطوال التي عكفت فيها على تهييء الأطروحة، يفسر ذلك : الامتداد الزمني للموضوع، وتنوع اهتمامات أعلامه (لخمسة منهم تآليف)، وعمق تأثيرهم في الأدب، وفي التصوف المغربي والاسلامي.

2- ان هذه الكتب والوثائق -أو على الأقل الأساسي منها- غير محفوظة في المكتبات العامة، وإنما توجد في مكتبات خاصة بمراكش أساسا، وبمدن أخرى. وقد تمكنت من الاطلاع على هذه الذخائر أحيانا وسمح لي بنسخها أو تصويرها أحيانا أخرى. منها وثائق وظهائر وتقاييد عن الجزولي والتباع والغزو اني وابي عمرو المراكشي، وبعض أحزابهم ورسائلهم غير المنشورة، ونسخة كاملة من كتاب النقطة الأزلية للغزواني، وبعض أحزابه ورسائله، ونسخ فريدة من كتب أخرى كدرر الحجال، وبادرة الاستعجال، وفهارس العلماء، ومجموعات من كتب التصلية المتأثرة بدلائل الخيرات.

3- أغلب هذه المصادر توظف في البحث لأول مرة، منها نسخ فريدة بخطوط مؤلفيها ذكرت بعضها كدرر الحجال لليفرني، ومقدمة الارتجال لمحمد الأمين الصحراوي، وبادرة الاستعجال لمحمد الغالي بن المكي والأنوار القدسية للكتاني، وميزاب الرحمات لابن المؤقت المراكشي... بالاضافة الى عدد كبير من كتب التصليات والأذكار.

4- تحققت بعض أهداف الاقدام على الدراسة الاقليمية : فقد مكنني انتمائي الى المدينة، واتصالي الوثيق بعلمائها وأدبائها من ولوج مكتباتها الخاصة، والاستفادة مما تزخر به من مصادر ووثائق وكنانيش وفهارس...

وقد تناولت موضوعي في مدخل وثلاثة أبواب (تُكوّن تسعة فصول) وخاتمة :

المدخل : تحدثت فيه عن الحركة الصوفية بالمغرب قبل تأسيس المدينة : فتتبعت أصداء التيارات الصوفية التي عرفها المغرب قبل منتصف القرن الخامس الهجري، وتفسير ظهور الرباطات والزوايا :

- على السواحل والثغور للجهاد والحراسة والتعليم : كامليلية، والنكور وسبتة، وطنجة، وأصيلا، وسلا، وتيط، وگوز.

- على الطرق التجارية وعلى ضفاف الأنهار، لتسهيل التبادل التجاري، وتأمين الطرق، وحراسة القوافل : كزوايا فاس، واغمات، ورباط نفيس، ورباط شاكر.

- على قمم الجبال : لتنظيم الحياة الاجتماعية والدينية والفصل بين السكان فيما يطرأ بينهم من خصومات وخلافات على المراعي والمياه.

وجاءت مراكش فيما بعد لتسهم في هذا النشاط الديني والتجاري والعلمي، ولتحتمل مع الزمن مكانة اغمات وتجتذب إليها صوفية المنطقة.

البـاب الأول

حول الحركة الصوفية بمراكش (في ثلاثة فصول)(*)

الفصل الأول : مراكش والتصوف

اشكالات وعوامل، بالرغم من ان اهتمامي مركز حول سبعة رجال، فإنه من الضروري أن أتعرض لبعض القضايا المتصلة بالمدينة الحديثة التأسيس لما لها من راتباط بالموضوع : وتتعلق بالتسمية والموقع والتعمير والوظائف.

فلا يخفى ما لاختيار الموقع من أثر في سرعة نمو المدينة وتكيفها مع المحاور التجارية الموجودة من قبل، واستقبالها بالتالي لكافة التيارات الفكرية القريبة منها (اغمات، نفيس، شاكر، گوز...) والبعيدة (سوس، فاس، سبتة، الأندلس).

اما الحديث عن الوظائف السياسية والعلمية والاقتصادية بالمدينة فهو بمثابة تمهيد أو تقديم للحديث عن أدوار سبعة رجال، ذلك لأن العلاقة بينهما وثيقة : فعند خضوع المدينة لسلطة مركزية، فإن هذه الأخيرة تمارس تلك الوظائف. اما في حالة ضعفها أو انعدامها فإن الأمور تؤول الى الأولياء وشيوخ الطرق الصوفية الاحياء. وقد يلجأ الناس تحت ضغط الخوف، وتأثير اليأس الى طلب حماية الأموات كذلك.

الفصل الثاني : الطرق الصوفية والزوايا التابعة لها بمراكش

كما بدا من الضروري كذلك ان أتعرض للطرق الصوفية والزوايا التابعة لها بالمدينة :

(*) هذا الباب هو موضوع هذا الجزء الأول من الأطروحة.

فهي لا تحتضن فقط طواف سبعة رجال، وإنما شبكة واسعة من الزوايا التابعة لكل ما عرفه المغرب من طرق صوفية سواء منها ما تأسس في المدينة أو في مدن مغربية أخرى أو كان وافدا من المشرق، بل لقد اعتبر سبعة رجال بمثابة معالم يهتدي بها للتعرف الى باقي المزارات، وقد وضعنا خرائط تحدد مكان الزوايا والطرق الصوفية التي تنتسب إليها، وموقعها من الطواف المذكور.

ويمكن التمييز في الطرق الصوفية بين مرحلتين :

أ- مرحلة النشأة والتطور، أو ما قبل الجزولي (من آخر القرن السادس الى مستهل القرن التاسع الهجري) : فاعتبارا لموقف المرابطين من بعض قضايا الفكر ومنها التصوف، ولاستمرار الرباطات المحيطة بالمدينة في النشاط والعمل، كان لابد من انتظار العصر الموحدي لتبدأ الحركة الصوفية بالمدينة. وأهم ما عرفته خلال هذه المرحلة :

- رباط جيليز عند أسوار المدينة
- رباط أبي اسحاق بحي باب ايلان
- رباط الغار خارج باب اغمات لصاحبه يوسف بن علي الصنهاجي (من أتباع أبي يعزى).
- زاوية أبي العباس السبتي صاحب مذهب مشهور في الصدقة والذي يتصل سنده بالأئمة : الغزالي والجيلاني وأبي يعزى.
- الطريقة الاغماتية الهزميرية التابعة للطائفة الماجرية والتي أدخلها الى المدينة أحد علمائها الاعلام : ابن البناء العددي المراكشي بعد ما أخذها عن الشيخ عبد الرحمن الهزميري أخ مؤسسها محمد بن عبد الكريم الهزميري.

ب- مرحلة الانتشار، الجزولي وما بعده (ابتداء من أواسط القرن التاسع...) : يعتبر الجزولي مجدد الطريقة الشاذلية، ومؤسس طريقة جديدة تسير على هديها، لذلك له مكانة كبيرة في التصوف الاسلامي عموما. فقد اعتبره الباحثون مرحلة أساسية من مراحل التصوف الاسلامي :

- من الجنيد الى الشاذلي
- ومن الشاذلي الى الجزولي
- وما بعد الجزولي.

ودون الدخول في التفاصيل نلاحظ ان الطريقة الجزولية كانت ممثلة في المدينة بشكل واسع من خلال تلامذة الجزولي ومريديهم، منها : التباعية، الغزوانية، الفلاحية، القسطلية، العيساوية، الوزانية والشرقاوية ومنها ما كانت جزولية/زروقية كالناصرية، والحنصالية،

والدرقاوية (بفروعها العديدة). وأخيرا ما لم تنسب الى هذه أو تلك : كالتيجانية.

الفصل الثالث : سبعة رجال وأدوارهم

بما انني تعرضت لبعضهم عند حديثي عن الطرق الصوفية فإنني اكتفيت في هذا الفصل بالحديث عما تميز به كل واحد منهم وأهّله ليكون محل اختيار من بين كافة أولياء المدينة. وأهم ما توصلت إليه في هذا المجال تصحيح تاريخ التنظيم اعتمادا على وثائق لم تستغل من قبل، وهو وسط القرن الحادي عشر على عهد السلطان محمد الشيخ الصغير السعدي لا مطلع القرن الثاني عشر على عهد المولى اسماعيل، كما كان معتقدا. فكان هذا الأخير مجرد مجدد للطواف نظرا لتجدد الأحداث والظروف التي تم فيها التنظيم الأول.

وقد تحدثت عن أدوار سبعة رجال في بيئتهم ومجتمعهم، وكانت سياسية تربوية علمية واجتماعية. وكان ذلك من أسباب اختيارهم.

وسيستمر تأثيرهم السياسي والاجتماعي طويلا، وكانوا محور أدب غزير، ومؤلفات عديدة ألفت خلال القرون التي تلت هذا التنظيم.

البـاب الثانـي(*)

خصصته لآثارهم الأدبية (في ثلاثة فصول)

الفصل الأول : الشعـــر

يختلف شعرهم من حيث مضامينه ولغته وأسلوبه : فقد اهتم عياض بالرسول بمدحه ويتوسل إليه في أسلوب تقريري مباشر خال من الإيحاء والتضمين وتوظيف الصور الشعرية، مع الاحتفال بالمحسنات اللفظية خاصة. وبالمقابل كان معجمه غنيا بالاشارات والمفاهيم الدينية، وما يتعلق بالسيرة النبوية والمقام النبوي... مما جعله أقرب الى نظم تعليمي/تأديبي تلخص السيرة فيه تلخيصا. اما السهيلي فلأسباب ذاتية نفسية واجتماعية يؤرقه "هاجس الذنب" تاريقا، فيصف هذه الحالة النفسية محاولا تجاوزها وباحثا عن الاستقرار والتوازن. يتم ذلك بواسطة ثنائيات : الذنب/العفو، الفقر/الفضل، والتشوف للاستجابة.

وبالرغم من ان ما سميناه "بنية التوارد" هي التي كانت تحكم هذا الشعر أي عدم

(*) خصصنا له الكتاب الثاني من هذه الأطروحة تحت عنوان "الآثار الأدبية لصوفية مراكش".

التقيد ببناء معين للنص، وإطلاق العنان للخواطر والمشاعر تتدفق كما تشاء -شأن من يعاني من هاجس ما- فإننا لاحظنا بوادر خط تطوري بين النصوص يتدرج فيه حسب تعبير الصوفية : من مقام التوبة الى مقام التوكل. نتج عن هذا طغيان معجم توسلي محض يسير على نمط أدب الأذكار : من تكرار للألفاظ وتلذذ بترديدها (الهي العفو : الذنب...) ووضوح العبارات والتفتح على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وصيغ الأدعية.

ويعتبر شعر الغزواني عالما آخر. انه "شعر المعاني" كما يحلو للصوفية تسميته، لا يحتفل فيه بوزن ولا بلفظ أو صورة أو تشبيه، وإنما يكون السبق للمعاني والشطحات الصوفية ومناجيات الالهام، وللحديث عن الطريقة وأعلامها.

مع هذا الاختلاف لا يخلو هذا الشعر من تكامل فهو في مجموعه يُكوّن أهم موضوعات الشعر الصوفي : مدح الرسول، التوسل به وبالخالق، والتعبير عن الذنب وطلب الشفاعة. وأخيرا الشعر الذي يتحدث عن الطريقة والمقامات وآداب التربية الروحية والخواطر الصوفية. وهناك رابط يجمع بين آثار هؤلاء الرجال عموما سنشير اليه في ختام الحديث عن هذا الباب.

الفصل الثاني : الكتابة الصوفية : مؤلفات ورسائل

بحثت فيه عن النظرية الصوفية من خلال كتابات : عياض، الجزولي، والغزواني :

- فدرست الجوانب الصوفية في الشفا : فبالرغم من انه كتاب حديث وسيرة فإنه لم يخل من حديث عن بعض جوانب التصوف، خاصة وان مؤلفه هو تلميذ صوفية مشاهير من الأندلس (منهم ابن العربي)، وانه كان في حياته متعلقا بالزهاد والأولياء يسير على نهجهم، ومن هذه الجوانب : حديثه عن المحبة ومقاماتها وأنواعها، والزهد لدى الرسول والسلف الصالح وما يترتب عنه من آيات، والتصليات وأسانيدها وصيغها، وجزاء المصلين على الرسول.

- أما الجزولي : فقد فسر طريقته ومبادئه في بعض رسائله التي لم تصلنا كاملة لسوء الحظ، وهي : رسالة في العقيدة، وكتاب التوحيد ورسالة في أمور الدنيا والدين. وأقواله الواردة في كتب التراجم وخاصة منها ممتع الاسماع. وقد وجه بعضها الى المبتدئين من المريدين، فحدثهم عن الاسلام وأركانه، والإيمان وشعبه. في حين وجه أخرى الى الذين قطعوا أشواطا في السلوك، وكانت موضوعاتها حول : التوحيد ومعرفة الذات الالهية، والمعرفة الصوفية، وتمييزها عن المعرفة الفقهية البرهانية، والتلقين بواسطة الشيخ، وأنواع الشيوخ، والمقامات والأحوال، وآداب المريدين، والذكر ودوره في تطهير المريد ومعالجة علل نفسه. الى

غير ذلك من الموضوعات التي يهتم بها الصوفية والطرقيون عادة.

- ويسير كتاب النقطة للغزواني على نفس النهج : حديث عن سنية الطريقة، وانتهاء سندها الى الرسول (ص)، مع التركيز على تعاليمها. التوحيد ومقاماته، التربية والتلقين، وتناول فيه دور الشيخ في السلوك وأنواع الشيوخ، المريد والارادة. والذكر والمقامات والأحوال وتدرج السالكين من الفرق (أهل الظاهر) الى الجمع (أهل الجذب) فجمع الجمع (أهل الفناء). والوالي والولاية، ومراتب الأولياء وشروط القطب وعلاقته بالغوث والجرس.

عبر عن هذا كله بأسلوب يجمع بين البساطة والوضوح، والغموض والابهام خاصة فيما كان يسميه مناجاة الالهام، ويمزج فيه بين الكلام الفصيح والعامي.

ويؤكد المستوى العلمي لهذه المباحث ان الكتابة الصوفية بالمغرب الى منتصف القرن العاشر، حافظت على المستوى الذي كان موجودا من قبل، والذي بلغ ذروته في الغرب الاسلامي عند صوفية الأندلس أمثال ابن مسرة وابن العريف وابن برجان وابن العربي وغيرهم.

الفصل الثالث : أدب الأذكار

تنهض الأذكار بأدوار نفسية وتربوية مهمة، إذ يعتبرها المريدون بمثابة مواثيق (العهد) يأخذها الله على عباده بواسطة المشايخ، لهذا كانوا يحرصون على الالتزام بها وتطبيق مقتضياتها. وقد تستغني الطريقة عن الشيخ، ولكنها لا تستغني عن الذكر الذي يعتبر وسيلة من وسائل التطهير والتدرج في مقامات السلوك، لذلك صنفوه في خمسة أصناف تصاعدية : ذكر الاستغفار، التصلية، التهليل، ذكر التنزيه، ثم الذكر المفرد. متى فرغ المريد من صنف تعاطى للذي يليه.

وكان الشيوخ يجتهدون في صياغة أذكارهم حريصين على مضامينها، ومستواها الشكلي كل بحسب طريقته واتجاهه وآرائه في التربية والتلقين. وحياة الطريقة ونجاحها متوقف على مدى فعالية اذكارها وغناها وتنوعها وحسن تنسيقها.

وهذا ما يعطي لأدب الاذكار أهمية كبيرة تجعله من الخطابات الأدبية التي يجب دراستها وتحليلها، وهو ما لم يحدث الى الآن.

وقد حللت أهم أذكار سبعة رجال (حزب السبتي، ودلائل الخيرات، وأحزاب الغزواني) وصنفتها الى محاورها الأساسية، وحددت خصائصها الأسلوبية المشتركة مع الاشارة الى خصوصيات كل صنف بحسب زمن تأليفه. والمقام الذي أراده له مؤلفه، ومدى تأثيره في أدب

الأذكار التي جاءت بعده.

وقد تبين لي ان "دلائل الخيرات" يأتي في قمة هذه الأذكار كلها سواء في تعدد محاوره وتنوعها، أو في تفتحه على نصوص القرآن والحديث والأدعية المأثورة، أو في الاهتمام بأسلوب الأدعية التوسلية التي أبدعها مؤلفه من حيث وضوح العبارات واختيار الألفاظ ومراعاة موقعها في الجملة، وتناسق حروفها وانسجامها مع باقي ألفاظ الجملة، لتكون -بالاضافة الى دلالاتها المعنوية- جذابة آسرة مؤثرة، وهذا ما جعل المؤلف أوسع كتب الأذكار انتشارا في العالم الاسلامي.

هذه الآثار الأدبية التي تحدثنا عنها في الباب الثاني يربطها رابط مشترك عام، لعله كان الدافع الأساسي لاختيارهم دون غيرهم من أولياء المدينة : وهو سعيهم الى تحقيق وحدة الأمة المغربية الاسلامية وحمايتها من التفرقة والتشرذم : في تكريم عياض للنبوة في شعره وشفاه، والرفع من مقامها بالتنديد بالمذاهب التي تقول بعصمة الأشخاص وتخرج عن الخط السني الجماعي.

وهو ما عبر عنه السهيلي في شعره التوسلي وفي دعوته الى نبذ الانقسامات والخلافات والفتن التي عرفها عصره بالأندلس والمغرب، والتوجه الى الخالق والتماس عفوه ورضاه، لذلك لم يهتم بما اهتم به شعراء عصره من ولع بالمذهب الموحدي ومدح أصحابه ودعاته.

وتجلى هذا الاتجاه كذلك في سنية طريقتهم واصرارهم على التوفيق بين الشريعة والحقيقة عن طريق البدء بتعليم القواعد الضرورية للدين قبل الطريقة، وعرضهم للخواطر ومناجاة الالهام على نصوص الشريعة ورفض ما كان مخالفا لها.

الباب الثالث(*)

مظاهر التأثير

قصد منظمو الزيارة تحقيق أهداف سياسية محضة، وقد تم للمجدّد ذلك، الا ان هذه الزيارة قد حققت أهدافا أخرى لم تكن مقصودة في بداية الأمر، فقد كانت محور حركة أدبية

(*) خصصنا له الكتاب الثالث من هذه الأطروحة تحت عنوان "مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي".

وتأليفية شملت الشعر، والنثر الفني والتأليفي.

الفصل الأول : في الشعر

اثرت هذه الحركة في الشعر المدرسي والشعبي، من خلال ما قاله شعراء العصر العلوي وشيوخه من قصائد في مدحهم والتوسل بهم وطلب حمايتهم. وكانوا ينتمون الى فئات اجتماعية مختلفة، منهم العالم والفقيه والصوفي والشاعر. فكان من الطبيعي أن تختلف مستوياته الفنية وتتعدد، إلا انه يلتقي عند خاصية واحد هي صدق مشاعر قائلية وتحمسهم للموضوع، مما يجعل شعر التوسل اتجاها مهما من الاتجاهات الشعرية التي عرفها العصر. وتعتبر دراسته لذلك ضرورية للتعرف الى خصائص الشعر (المدرسي والشعبي) للفترة المذكورة.

الفصل الثاني : في أدب الأذكار

كان من الصعب تعقب اثر أذكار سبعة رجال في أدب الأذكار بعدهم، على العموم، لذلك ركزت على أهمم أذكارهم "دلائل الخيرات"، فتتبعت اثره في هذا القرن من خلال :

- الروايات والأسانيد والقراءات (فرق الدليل)
- شروحه والتعليقات عليه، وتلخيصاته وترجيزه

مؤلفات الأذكار التي سارت على نهجه مضمونا وأسلوبا ومنهجا، وقد وقفت في ذلك على نماذج كثيرة اكتفيت بالاشارة الى أهمها وأكثرها تأثرا بـ "الدلائل" مع مراعاة الجمع بين نماذج من المشرق والأندلس والمضارب وأوربا (شَرْحُه بالتركية). وأغلب هذه النماذج مخطوط يُعرَف به لأول مرة، وهو ما أعطى لهذا الفصل طابعا ببليوغرافيا مختلفا عن باقي الفصول.

الفصل الثالث : في مؤلفات التراجم والطبقات

تعكس هذه المؤلفات بعض سلبيات ظاهرة سبعة رجال :

- الابتعاد عن الزيارة/الرمز كما تصورها المنظمون، الى زيارة فعلية التزم بها الناس بتأثيراتها السلبية على عقليات الناس وتصرفاتهم.

- تحول في مستوى الكتابة الصوفية كما وجدناها عند سبعة رجال أنفسهم والتي تعتبر استمرارا للتآليف المشرفة التي أنتجها الغرب الاسلامي الى كُتابة تهتم بالخرافات والكرامات، وتقدم الحديث عن آداب الزيارة وفوائدها وثمراته، والمجاذيب وأخبارهم. على الحديث عن النظرية الصوفية والمقامات وآداب التربية ودرجات الأولياء. وفي منهج يعتمد

الاستطراد المخل، والتكرار الممل، والتناقض الصارخ أحيانا.

هذه حال كثير من المؤلفات المتأثرة بالظاهرة : كدرر الحجال، والكواكب السيارة، والارتجال، والمجد الطارف والتالد، وبادرة الاستعجال، واظهار الكمال. يبقى ما يشفع لها هو ما تتضمنه من وثائق فريدة وشهادات شخصية متصلة بالفترات التي عاصرها مؤلفوها.

انها علامة أخيرة على التحول من التصرف السني الى التصوف الشعبي.

الخاتمــــة :

خصصتها لاستخلاص النتائج، وتسجيل الخلاصات التي انتهى إليها البحث.

وذيلته بقائمة للمصادر والمراجع المعتمدة، وفهرست مفصل للموضوعات.

أما عن المنهج المتبع فإن تنوع موضوعات الأطروحة، وامتدادها الزمني، واختلاف مباحثها يحتم استعمال أكثر من منهج، ذلك لأن لكل مستوى من مستويات البحث منهجاً مناسباً وضرورياً :

- فكان من اللازم الاستعانة بالمنهج التاريخي في الباب الأول عند الحديث عن مراكش، والطرق الصوفية، والزوايا التابعة لها.

وتحقيق مسألة الزيارة والأدوار المختلفة التي نهضت بها (مع الاستعانة بالخرائط والرسوم عند الاقتضاء).

- والمنهج الوصفي التحليلي، والنقدي أثناء تتبعي صدى سبعة رجال في الشعر، وفي أدب الأذكار، ومؤلفات التراجم والطبقات فهو الذي يساعد على التعرف الى مدى أهمية هذا التأثير وعمقه وامتداده، وحصر خصائص الشعر والكتابة الصوفية التي تفاعلت مع الآثار التي تهمنا.

- وحرصت على الاستفادة من الدراسات اللسانية الحديثة والتفتح عليها في حدود، وخاصة مسلمات النظرية الشعرية الأسلوبية والمنهج الاحصائي، وذلك عند دراستي لبعض الآثار الأدبية لسبعة رجال والتي عقدت لها الباب الثاني.

فالنظرية الشعرية أشد ارتباطا بالمناخ الحضاري والثقافي للأدب الذي أدرسه لأنها تلتقي في كثير من مقولاتها بالنقد والبلاغة العربية. وقد قامت أساسا على عدم الفصل بين لغة الاثر الأدبي.

ومضمونه، وانطلقت من كون النص بنية مشتملة على عناصر تؤلف بينها علاقات، ولكل عنصر منها خصائصه وخصوصياته، يتم حصرها عن طريق تحليل كل عنصر، فبدراسة الجوانب الصوتية، المعجمية، التركيبية للاثر الأدبي -مع أخذ المقصدية بعين الاعتبار- يتم إدراك انتظام خصائص الأسلوب الفني.

وقد تمكنت بالفعل من ملاحظة الفروق بين شعر عياض والسهيلي مثلا، وتحديد طبيعة الصياغة التعبيرية عند كل منهما.

إلا انني تجنبت تطبيق المنهج على شعر الغزواني لخصوصيته، فهو شعر المعاني والرمز الصوفي، لا يهتم فيه قائله بالجوانب الأسلوبية الفنية من جهة، ولأنه طويل (ديوان كامل) سيخرج الأطروحة عن سياقها، لذلك فإنه في نظري يتطلب دراسة مستقلة.

وتتميما للنظرية الشعرية لجأت الى التحليل السيميائي بالنسبة للنصوص التي يغلب عليها الطابع السردي، وكذا في دراسة نماذج من الكرامات.

ولهذه النظرية كذلك اتصال بالمنهج الاحصائي (خاصة عند تناول الجانب المعجمي) وقد استعنت به في دراسة المعجم الشعري، وفي حصر الألفاظ والمصطلحات الأكثر ترددا في الأذكار والأحزاب والتصليات: فكل نص عبارة عن كلمات تتردد بنسب مختلفة، وكلما ترددت اما بصيغها أو بترادفها أو تركيب يفيد معناها، الا وكونت حقلا دلاليا يُحدد المحاور التي يدور حولها النص. وقد ساعد هذا المنهج ليس فقط على تحديد هذه المحاور، وإنما على تتبع تطور التجربة الصوفية عند المؤلف، بالنظر الى معجمه المستعمل: من ذكر الاستغفار مثلا، الى ذكر التصلية، فالتهليل. وبالتالي تدرج المريد من مقام الى مقام، وعلى تحديد نسبة تردد الكلمات والصيغ في الأحزاب لأن التكرار غاية في حد ذاته عند الذاكرين، فهو وسيلة للعلاج والتطهير وبالتالي التحول من مقام الى آخر، ولهذا فإن كُتّاب التصليات يركزون على كلمات وصيغ معينة يعتبرونها مفاتيح وطرقا لحدوث هذا التحول. وتطبيق المنهج الاحصائي يساعد على ضبطها وترتيبها واستخلاص النتائج من قوائمها وجداولها.

ولا أريد الاطناب في الحديث عن الصعوبات التي واجهتني في تهييء هذه الأطروحة: فقد سبقت الاشارة الى تشعب الموضوع وامتداده الزمني، وما يتطلبه من توسيع للقراءات وتنويع لمجالاتها كما أشرت الى انعدام دراسات أستنير بها، وعسى أن يكون هذا كله شفيعا لي فيما وقعت فيه من مزالق وعثرات، وارتكبته من أخطاء.

ولا يفوتني ان أتوجه بالشكر الجزيل لكل الذين فتحوا لي أبواب مكتباتهم من علماء

مدن : مراكش، والرباط، وفاس، وتطوان. وحسبي أن يكون شكرا جماعيا حتى لا تطول قائمة الأسماء، أو أغفل بعضها. كما أتوجه بالشكر الى السادة محافظي : الخزانة العامة، والخزانة الحسنية، وخزانة كلية الآداب بالرباط، وخزانة القرويين بفاس، والخزانة العامة بتطوان، وخزانة ابن يوسف بمراكش.

وفي الختام، أوجه كلمة شكر صادقة الى أستاذي الجليل الدكتور عباس الجراري، فقد أفادني بعلمه الغزير، وتوجيهه السديد وأحاطني برعايته الفائقة، وكان -بما يعرفه عنه الباحثون والطلبة من نبل وتواضع ومكارم أخلاق- خير مشجع لي على مواصلة البحث، وتجاوز صعوباته وعقباته. أعانه الله على مواصلة رسالته العلمية الخالدة.

والله أسأل التوفيق والسداد

مراكش في15 أكتوبر 1986

المدخل

الحركة الصوفية بالمغرب

قبل تأسيس مراكش

عرف المغاربة كغيرهم من الشعوب ديانات سماوية وغير سماوية. ومارسوا طقوسا وعبادات لا حصر لها. منها ما كان نابعا من أرضهم، ومستمدا من عاداتهم، ومنها ما نقلته إليهم شعوب وحضارات تفاعلت معهم وعايشتهم.

وقد سطع نور الاسلام على المغرب بعد بضعة عقود من اشراقه، على الجزيرة العربية. والثابت المقرر عند المؤرخين ان الفتح الاسلامي للمغرب قد طال أمده واعترضته عراقيل وعقبات. فقد بدأت المحاولات الأولى لفتح الشمال الافريقي منذ واحد وعشرين للهجرة على يد عمرو بن العاص(1).

وكان تشييد مدينة القيروان من طرف عقبة بن نافع إيذانا ببدء المرحلة الحاسمة من مراحل الفتح. فقد صارت نقطة ارتكاز للجيش الاسلامي، ومنها انطلقت الحملة الكبرى لعقبة (بين اثنتين وستين وأربع وستين) التي انتهت بمقتله بعد فتحه لبعض مناطق المغرب.

وتضافرت بعده جهود عدد من الفاتحين كزهير بن قيس البلوي، وحسان بن النعمان، وموسى بن نصير. وعلى يد هذا الأخير تم الفتح الاسلامي للمغرب حوالي سنة ست وثمانين(2).

وكانت جهود تعليم اللغة والدين موازية لحركة الفتح : فقد كان اسماعيل ابن أبي المهاجر مرفوقا ببعثة مكونة من (عشرة من التابعين أهل علم وفضل)(3) كما ان موسى بن نصير ترك بالمغرب (سبعة عشر رجلا يعلمونهم -أي المغاربة- القرآن والاسلام)(4).

إلا أن هذه الجهود لم تؤت أكلها الا مع نشأة دولة الأدارسة التي وفرت مجموعة من الشروط اللازمة لانتشار العربية ونشاط الدراسات الدينية، كتعميم الاستقرار وبناء المساجد، وتشجيع الرحلات العلمية الى المشرق، والهجرات العربية الى المغرب(5).

ان تفتح المغرب على المشرق جعل كافة المذاهب والاتجاهات الدينية تكون ممثلة فيه، سواء منها ما لقي التأييد الشعبي المطلق، أو ما تعامل معه المغاربة بقصد : كالمذهب

---

(1) فجر الأندلس، حسين مؤنس، ص 36 / 49 ط القاهرة 1959.
(2) انظر في تعثر الفتح وصعوباته، تاريخ ابن خلدون، 6 / 110. والأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي للدكتور عباس الجراري ص 23 / 26. الطبعة الأولى. ووحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ ط الدار البيضاء 1976.
(3) البيان المغرب 1 / 45-46.
(4) البيان المغرب 1 / 37.
(5) انظر الأنيس المطرب لابن أبي زرع، ط دار المامون ص 14، والاستقصا 1 / 73.

الخارجي(6)، والمذهب الشيعي(7)، والمذهب الحنفي(8)، والشافعي(9)، والاوزاعي(10).

إلا أن المذهب الأكثر شهرة وانتشارا بالمغرب هو المذهب المالكي -كما هو معروف- فقد انتقل من المشرق الى إفريقية فالأندلس، ومنها دخل الى المغرب فعند القاضي عياض : ان افريقية وما وراءها من المغرب قد (كان الغالب عليها في القديم، مذهب الكوفيين، الى أن دخل علي بن زياد، وابن أشرس، والبهلول بن راشد، وبعدهم أسد بن الفرات، وغيرهم بمذهب مالك، فأخذ به كثير من الناس، ولم يزل يفشو الى أن جاء سحنون فغلب في أيامه وفض حلق المخالفين، واستقر المذهب بعده في أصحابه، فشاع في تلك الأقطار الى وقتنا هذا) (11).

وحسب عياض كذلك يعتبر علي بن زياد (أول من أدخل الموطأ وجامع سفيان إلى المغرب، وفسر لهم قول مالك، ولم يكونوا يعرفونه. وكان قد دخل الحجاز والعراق في طلب العلم، وهو معلم سحنون) (12).

وتمكن المغاربة من المقارنة بين هذا المذهب والمذاهب التي سبق لهم التعرف إليها فاختاروه، ورحل عدد كبير منهم الى الحجاز للأخذ من مالك وتلامذته(13).

وهذا عامل من عوامل انتشار المذهب بالمغرب، تضاف اليه عوامل أخرى أهمها(14) :

- انتساب صاحبه الى المدينة مركز الاسلام وعاصمة الرسول واتصافه بالتواضع والأمانة العلمية.

---

(6) من أبرز الداخلين الى المغرب سلمة بن سعد الاباضي، وقد أسس الخوارج دولتين بالمغرب : دولة بني مدرار بسجلماسة، ودولة بني رستم بتاهرت. انظر كتاب الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري لمحمود اسماعيل عبد الرزاق، ط. دار الثقافة 1976 ص 109-208. وكتابنا الدولة الموحدية (اثر العقيدة في الأدب) ص 9 ط. أولى 1983.

(7) انظر في دخول التشيع الي المغرب : البيان المغرب 1 / 282-289.

(8) وفي دخول المذهب الحنفي، انظر ترتيب المدارك 1 / 25-26. والمراجع السابقة الذكر.

(9) لكن لم يكن له نفس الاقبال الذي لقيته باقي المذاهب. انظر أسماء بعض الاعلام الذين وصلوا الى المغرب من الشافعية في ترتيب المدارك 5 / 79.

(10) انظر حول مذهب الاوزاعي : وحدة المغرب المذهبية، والأمير الشاعر، ومقالة أسباب انتشار المذهب المالكي واستمراره بالمغرب، دعوة الحق عدد 224، غشت/شتنبر 1982. وكلها لأستاذنا عباس الجراري.

(11) تاريخ ابن خلدون 6 / 428 ط. بيروت.

(12) ترتيب المدارك 3 / 80.

(13) ترتيب المدارك 2 / 178، و 3 / 114-126 (ذكر أسماء عدد كبير منهم).

(14) انظر ترتيب المدارك 2 / 178 و 3 / 80. والمقدمة 440، ط. اميرية. ووحدة المغرب المذهبية 15-30. والفكر والوحدة، وأسباب انتشار المذهب المالكي واستمراره بالمغرب، دعوة الحق 224.

- ارتباط المغاربة الروحي بالمدينة والحجاز أكثر من ارتباطهم مثلا بالعراق.
- تشابه أنماط العيش بين أهل المغرب والحجاز بالمقارنة مع ظروف العيش في العراق.
- طبيعة المذهب المعتمد على النص والنقل، والمبتعد عن القياس والجدل تتفق ومزاج المغاربة الذي ينفر من التعقيد -في هذه المرحلة- ويتمسك بالاثر والرواية.

وطبيعي أن تصل كذلك الى المغرب أصداء التيارات الزهدية التي عرفها المشرق خلال القرنين الأول والثاني، سواء على يد الوافدين عليه من المشارقة، أو على يد المغاربة الذين زاروا المشرق. وقد وجدت هذه التيارات كل مظاهر القبول والترحيب من طرف المغاربة، خاصة وان الخوارج قد هيؤوهم لذلك بما تضمنه مذهبهم من اسراف في العبادة والتبتل وعزوف عن الدنيا وملذاتها. وثبات على المذهب والعقيدة. إضافة الى أنهم -أي المغاربة- أبدوا محبة عظيمة للرسول وآل البيت، وتمسكا بالدين الاسلامي الحنيف.

وكان لحلول الشرفاء الأدارسة بالمغرب أثر في ترسيخ الديانة ونشرها، ونقطة انطلاق لما سمي فيما بعد بظاهرة تقديس الأشخاص (الأولياء).

وقد ارتبطت هذه التيارات الزهدية بتعليم اللغة العربية وتفقيه المغاربة في أمور الدين. وكان ذلك في مساجد ومدارس منتشرة في المدن والقرى، وتصدت للتعليم بها نخبة من العلماء المكونين بالمشرق أو الأندلس أو المغرب.

ان هذه المدارس -الريفية منها على الخصوص- بما كانت تعرفه من نظام تعليمي وديني صارم، وما كانت تعانيه على العموم من نقص في الامكانيات وشظف العيش، وما كان يتقاطر عليها من محبي العلم والمعرفة والمسافرين وعابري السبيل قد نهضت بنفس الأدوار التي ستنهض بها الزوايا فيما بعد، بل ان كثيراً منها ستصبح من أهم الزوايا المغربية. فالشيخ المدرس يتلقى مظاهر التقدير والاجلال من طرف الطلبة والزائرين، وقد يبلغ صدى هذا الاحترام الى قرى ومدارس أخرى بعيدة مما يؤدي الى تكاثر المقبلين عليه والراغبين في الاستفادة من علمه، وبعد وفاته يدفن بالمدرسة أو قريبا منها فيتحول الاحترام والتقديس من شخصه الى قبره وضريحه(15).

هذه المدارس المحدثة أساسا لتعليم الدين واللغة ستتحول بالتدرج الى معاهد لتدريس العلوم الدينية واللسانية وغيرها(16).

---

(15) انظر وجهة نظر ميشو بيلير (Michaux Bellaires) في كتابه Les confréries religieuses au Maroc. Archives marocaines vol XXVII, 1927 p. 18.

(16) Les confréries religieuses p. 4

وترد أغلب الدراسات الأجنبية أصول التصوف المغربي (تقدير الأولياء) الى عوامل محلية أهمها :

- انه تعبير عن القومية البربرية المناوئة للقومية العربية(17).
- انه احياء للمعتقدات الوثنية : فقد كان البربر قبل الفتح وثنيين يقدسون السحرة والمتنبئين(18).
- انه تعبير عن العقلية البربرية التي لا تقبل النقاش المجرد لذا تضع وسطاء بين الخالق والمخلوق(19).
- انه ثأر ضد الانهزام السياسي(20).

وقبل التعرف الى الظاهرة الصوفية بالمغرب الى أواسط القرن الخامس الهجري (تاريخ بناء مراكش) نود تحديد بعض المفاهيم والمصطلحات التي ستترد في البحث، تحديدا يتلاءم مع موضوعنا ووجهة نظرنا مثل الرباط، الزاوية، المسجد.

1- الرباط :

أ- المعنى اللغوي : يختلف مدلول الكلمة بين الاسم والمصدر.

الاسم : الرباط ما يشد به. والمصدر : يحتمل معنيين، خاص : هو ملازمة ثغر العدو، وعام : المواظبة على الأمر. وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم مرتين(21)، وأعطيتها تفسيرات منصبة على الجانبين الجهادي والتعبدي، مع تغليب احدهما على الآخر بحسب زمن المفسر وشروط بيئته.

---

(17) Les confréries religieuses p.4 - 14, Esquisse d'histoire religieuse du Maroc. Paris 1951 p. 58 et 127.

(18) Le culte des saints musulmans dans l'Afrique du Nord, et plus spécialement au Maroc. Paris 1909 p.9-11.

(19) Les marabouts. Ed. Doutte. Ed. E. Leroux 1900 p. 3

. La religion musulmane en berberie : Esquisse d'histoire et de sociologie religieuse Paris 1938 p. 259.

(20) Un saint berbère : Moulay Bou Azza : histoire et légende V. Loubignac. Hesperis T 31, 1944 p. 15-34.

والتيار الصوفي والمجتمع في المغرب والأندلس خلال القرن الثامن الهجري ص 72 ط. بالآلة المكررة 1981.

(21) يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا (سورة آل عمران، آية 200) واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل (الأنفال، آية 60).

ب- المعنى الاصطلاحي : يتكامل التعريفان الفقهي والصوفي للرباط : فعند الفقهاء انه عبارة عن احتباس النفس في الجهاد والحراسة، في حين ان الصوفية يطلقونه على المواضع التي تلتزم فيها العبادة(22). وبذلك يجمعون بين الجهاد والعبادة.

والمرابطون أو المرابطة هم الذين يحرسون الثغور بأجر أو في سبيل الله.

وتطلق الكلمة أيضا على حراس القوافل والطرق. وهم كذلك الزهاد والعباد. ولهم شارات وعادات وطقوس لا يتسع المجال لذكرها. وقد جمع أتباع عبد الله بن ياسين مؤسس الدولة المرابطية بين المفهومين إذ تحولوا من العبادة والتعلم الى الجهاد والمثاغرة.

2- الزاويــــة :

أ- المعنى اللغوي : تفيد مادة ز-و-ي معنى الجمع والقبض. وفي الحديث {ان الله زوى لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها}(23) ومنها الانزواء أي العزلة والابتعاد عن الناس. وبذلك يقترب معناها من معنى الرباط.

ب- المعنى الاصطلاحي : الزاوية تعني المسجد الصغير مقابل المسجد الكبير وهي كذلك الموضع المخصص لإقامة الوافدين وإطعام المحتاجين(24). ومن هنا تبدو وظيفة الزاوية : العبادة، نزول المسافرين والمعوزين ومساعدتهم. وهي بعض وظائف الرباط كذلك.

والملاحظ ان المؤرخين لم يكونوا يميزون في الاستعمال بين الرباط والزاوية، فقد يطلق المصطلحان على نفس المكان : رباط وزاوية تارفرطاست(25)، وحسب دائرة المعارف الاسلامية ان اطلاق الرباط على الزاوية والعكس قد تم في القرن الثالث عشر للميلاد(26) وذلك اعتبارا لتداخل الوظائف، فيحدد الاطلاق بتغليب احداها على الأخرى.

والزوايا أنواع منها الكبيرة المشتملة على عدد من المرافق كالجامع وملحقاته وقاعات الدراسة، ومدارس السكنى. ومنها الصغيرة التي لا تتوفر على شيء من ذلك. ومنها ما كان مشيدا في القرى والمداشر، وما أحدث في المدن الكبرى. وبعضها يستقبل الوافدين فرادى، وبعضها الآخر يستقبلهم مع عيالهم(27).

(22) المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق م.خ.ع.ر. 111 ق.
(23) لسان العرب، ط. دار صادر 14 / 363.
(24) المسند الصحيح، ومادة Encyclopédie de l'Islam (Zawiya) T.3 p. 1289-1290/1934. Par L. Provençal.
(25) Mélanges; Gaudefroy Demombines p. 259-278.
(26) Encyclopédie de l'Islam 1289-1290... T.3.
(27) انظر التفاصيل عند الدكتور محمد مفتاح في كتابه التيار الصوفي والمجتمع 34..

3- مصطلحات أخرى :

هنالك مصطلحات أخرى مرادفة للرباط والزاوية نكتفي بالاشارة إليها والى مدلولها

أ- المحرس : الذي يطلق على الرباط لقيام ساكنيه بحراسة الثغور وتأمين الطرق.

ب- البرج أو المنظرة : قد يكون جزءا من الرباط وتتم منه عملية الحراسة والمراقبة.

ج- المسجد : يصير المسجد رباطا عندما يقام به محرس لذلك أطلقت كلمة رباط على بعض المساجد والعكس(28).

د- الحصن : القصر القلعة، القصبة : كانت تطلق على الرباطات لافادة وظائفها وخاصة في افريقية.

وقد يوجد الرباط في المدينة أو القرية أو الجبل أو الصحراء. وقد يكون كرباطات المشارقة ذا بناء عظيم أو عبارة عن بناء متواضع، أو مجرد كهف في جبل أو خيمة أو عريش. وذلك تبعا لنمط حياة المرابطين وظروف عيشهم.

وهكذا يتبين ان المفاهيم متقاربة، وان الوظائف تختلف باختلاف ظروف المكان والزمان. ففي الفترة التي تهمنا كانت مصطلحات مسجد / رباط / رابطة أكثر شيوعا واستعمالا، وحل محلها مصطلح زاوية فيما بعد. أما تواريخ استعمال المصطلح وتداوله فتقريبية لعدم حرص المؤرخين على الدقة في تحديد المصطلح وتعارضهم في ذلك أحيانا.

ومن أوائل الرباطات التي ظهرت في بلاد الاسلام رباط عبد الواحد بن زيد حوالي سنة خمسين ومائة للهجرة بعبدان.

وأسس بافريقية حزام من الرباطات تقي "دار الاسلام" من هجومات النصارى، وتمكن المجاهدين من حراسة الثغور والسواحل ومنها :

- رباط المنستير المؤسس سنة ثمانين ومائة للهجرة.
- رباط سوسة سنة ست ومائتين. وقد ذكر البكري أسماء رباطات أخرى، منها :
- رباط صفاقس، وحوله ستة محارس
- رباط بنزرت، وبينه وبين الأول عدة محارس
- رباط الحجامين بين قرطاج وبنزرت
- قصر ابي شاكر. ورباط الحمام قرب سوسة(29).

---

(28) يستعمل البكري في المسالك والممالك كلمة رباط، مسجد.

(29) انظر عن افريقية ورباطاتها ومحارسها، المسالك والممالك 14-67.

ولاحظ كل من "دوتي" Doutté و "مونتي" Montet ان الرباطات تتكاثر وتقديس الأولياء يتعاظم انطلاقا من شرق شمال افريقيا الى غربها، لتصبح الظاهرة شاملة وبارزة في المغرب الأقصى(30)، في حين ان "جورج مارسي" G. Marçais يوازي بين المغرب وافريقية في الاهتمام بالرباطات، ويرد ذلك الى :

- القوة البحرية والعسكرية لسكان المنطقتين.
- نشاطهم الثقافي والديني
- تحمسهم الشديد للجهاد)(31).

وقد عرف المغرب الأقصى الى منتصف القرن الخامس الهجري نشأة رباطات بقصد الجهاد أو التعليم والعبادة يؤمها الزوار للتعبد والتماس بركة نزلائها ودعواتهم. وفي أوقات معلومة من السنة (منتصف شعبان، ليلة السابع والعشرين من رمضان، ليلة عاشوراء) كانت تقام ببعضها المواسم، وتكتسي صبغة دينية ودنيوية معا، إذ الى جانب ما يجتمع من أولياء وصوفية، يكون التجمع مناسبة لتبادل السلع والبضائع وقضاء الحاجات والأغراض.

وكانت منتشرة في معظم مناطق البلاد على الشواطئ، وفي الداخل على ضفاف الأنهار، وعلى طول المسالك التجارية، وفوق قمم الجبال... وسنتعرض لأهم الرباطات التي عرفها المغرب الى حدود الفترة السابقة الذكر مع الأدوار الأساسية التي نهضت بها.

I - الرباطات الشاطئية :

ان الوظيفة الأولى والأساسية للرباط -أي الجهاد - تفسر تعدد ها وكثرتها على الشواطئ. فقد لاحظنا انها تكون حزاما أمنيا لافريقية. ونبدي نفس الملاحظة بالنسبة للمغرب، فهذا الحزام يمتد من امليلية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط الى أقصى الصحراء (دار المرابطين) على شاطئ المحيط الأطلسي مرورا برباطات ومحارس مشهورة كطنجة وسلا وأزمور وگوز...

فالبحر هو المنفذ والثغر الكبير الذي يمكن للأجنبي أن يتسرب منه الى داخل البلاد وقد أكدت الأحداث ذلك (كما سنرى).

---

(30) Les marabouts. Doutté p. 6-9.
Le culte des saints. Montet p. 7-8.

(31) Note sur les ribats; p. 412.

والى جانب هذا العامل الديني لتعدد الرباطات على الشواطئ، هناك عامل اقتصادي لا يجب اغفاله. فعطاءات البحر وأرزاقه وفيرة، والرباطات مرافئ تصل إليها البضائع والسلع من المناطق الداخلية للبلاد لتصدر الى الخارج، وتصلها السفن محملة ببضائع وسلع قصد التبادل. وأهم الرباطات الشاطئية :

1- قصبة مليلة :

ذكر البكري ان مليلة كانت قصبة مانعة(32)، بها مسجد كبير، ومرساها من المرابسي الصيفية(33)، يقابلها مرسى مدينة شلوبينة بالأندلس. وكان الاسبان يتاجرون مع مليلة والنكور وسبتة وطنجة. ومما يضفي أهمية خاصة على هذه التجارة وجود طريق مشهور بينها وبين سجلماسة المركز الفلاحي والتجاري المهم بالمغرب آنذاك، وطوله خمس عشرة مرحلة(34).

2- النكور :

تقع بين رواب منها جبل يقابل المدينة يعرف بالمصلى غزيرة المياه لوقوعها بين نهرين، نهر نكور ونهر غيس، يحتمعان بموضع يقال له أكدال.. ثم يتشعب هنالك جداول. وفي طرف هذا الموضع يوجد رباط النكور وبانيه سعيد بن ادريس بن صالح الحميري المعروف بالعبد الصالح. دخل المنطقة زمن الوليد بن عبد الملك.... وعلى يديه أسلم بربرها وهم من صنهاجة وغمارة(35)، لهذا يعتبره بعض الباحثين(36)، أول رباط شيد بالمغرب الأقصى.

وقد تعرضت النكور فيما بعد لهجوم المجوس سنة أربع وأربعين ومائتين للهجرة فقام الرباط بدور الدفاع عن المسلمين وطرد الأجانب المغيرين.

وكان بالنكور مرسى من أهم المرافئ التجارية على البحر الأبيض(37).

3- سبتـــة :

وصف البكري مدينة سبتة فقال (هي في طرف من الأرض داخل من الغرب الي الشرق

---

(32) المسالك والممالك 88.

(33) المسالك والممالك 89.

(34) المسالك والممالك 152.

(35) المسالك والممالك 90-91.

(36) Note sur les ribats p. 402.

(37) Géographie économique de l'Afrique du Nord selon les auteurs arabes du IXe siècle au milieu du XIIe siècle Claudette Vanacker. Dans les annales ESC mai-août 1973

ضيق جدا، والبحر محيط بها شرقا وشمالا وقبلة، ولو شاء ساكنوها أن يوصلوه من ناحية الشمال لوصلوه فتكون جزيرة منقطعة)(38)، ولذلك سميت بسبْتة عند بعضهم(39)، وهي وضعية تجعل مرساها من أهم المراسي على البحر الأبيض.

وقد عرفت المدينة عددا من الرباطات بلغت حسب كتاب اختصار الأخبار سبعة وأربعين، إضافة الى ثمانية عشر محرسا(40). وكانت تقع داخلها وخارجها وفي نواحيها. كما اشتهرت بعلمائها وحركتها العلمية، باعتبارها برزخا بين العدوتين المغرب والأندلس، ونقطة التقاء علمائها، ففي كتب الطبقات والفهارس(41) ذكر لأسماء عدد كبير منهم.

ومن هؤلاء من اشتهر بالزهد مثل : سعيد بن خلف الله بن ادريس البصري المعروف بالرياحي الذي قال عنه عياض في ترتيب المدارك (كان منقبضا زاهدا متبتلا، صاحب سلامة وعفاف، وخمول وتقشف وعزلة. وكان مقامه ليله ونهاره بمسجده بزقاق الخير(42) وفي التشوف إشارات الى زهاد آخرين كان بعضهم بمينا ء المدينة، والبعض الآخر في أرباضها(43).

وهذا العدد الكبير من الرباطات والمحارس يفسر دور المدينة في الجهاد والمثاغرة ومراقبة السواحل، وساعد علي ذلك أهمية المرسى وما يدره البحر من خيرات. ففي مدينة سبتة مصايد للحوت، ولا يعدلها بلد في إصابته وجلبه، ويصاد بها من السمك نحو من مائة نوع. ويصاد بها المرجان كذلك(44).

ومن رباطات ساحل المحيط الأطلسي :

4- **رباط رأس اسبوتال** : وكان بين سبتة وطنجة(45).

---

(38) المسالك والممالك 103.

(39) يقال سبت النعل إذا قطعتها. وقيل سميت بذلك نسبة لمخططها سبت بن سام بن نوح. خلاصة تاريخ سبتة 15-16، ط. تطوان 1976. وانظر اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، لمحمد الأنصاري السبتي.

(40) نفس المصدر، وانظر كذلك المناهل عدد 22، خاص بسبتة 1982 ص 729...

Une description de Ceuta musulmane au XVe siècle L. Provençal
Hesperis T XII 1931 p. 145-177

(41) انظر الغنية وترتيب المدار والديباج المذهب.

(42) ترتيب المدارك 8 / 86.

(43) صفحات 138-139-272.

(44) خلاصة تاريخ سبتة لمحمد السراج، تطوان 1976، ص 11.

(45) المسالك والممالك 112

5- رباط أصيلا :

(أول مدن العدوة من جانب الغرب وهي في سهلة من الأرض، حولها رواب لطاف، والبحر بغربيها وجوفيها)(46).

وسبب بناء رباط أصيلا ان المطقة شهدت هجومين للمجوس في منتصف القرن الثالث الهجري. قال البكري (فاتخذ الناس موضع أصيلا رباطا فانتابوه من جميع الأمصار)(47). وكانت تقام فيه سوق جامعة ثلاث مرات في السنة، وذلك في شهر رمضان، والعاشر من ذي الحجة، وفي عاشوراء. وكان الناس يقصدونها في هذه الأوقات بضروب السلع للبيع والتبادل. وخيموا فيها ثم بنوا شيئا بعد شيء فعمرت(48).

وهكذا فإن الجهاد كان سببا في ظهور الرباط، والمواسم والتبادل التجاري سببا في توسعه وعمرانه.

6- رباط سلا :

أسس قبل بناء رباط الفتح بحوالي قرنين، بقصد رد هجومات النصارى على السواحل، ومواجهة قبائل بوغواطة المجاورة لما عرف عنها من فساد وخروج عن الدين(49). وستصبح له أهمية أكبر مع الدولتين المرابطية والموحدية. كما أنه سيكون من أهم المرافئ التي تهتم بقضايا القرصنة والتبادل التجاري(50).

7- رباط تيط انفطر :

عين الفطر أو العين الباردة(51)، وهو مرسى على المحيط الأطلسي، يقع جنوب أزمور، تأتيه السفن للتجارة والقرصنة. وحوله سهول خصبة، تسكنها قبائل صنهاجة بربرية اللسان.

ويعتبر رباط تيط من أقدم الرباصات المغربية(52) اعتمادا على وثيقة تاريخية هي رسالة تميم بن علي اليفرني الى أولياء تيط يصفهم فيها بالقطبانية ويلتمس دعاءهم(53).

---

(46) المسالك والممالك 111-112.

(47) المسالك والممالك 111-112.

(48) المسالك والممالك 112

(49) Note sur les ribats 402-403

(50) Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle L. Massignon tableau géographique d'après léon l'africain. Alger 1900.

(51) انس الفقير، ص 71.

وتفيد الوثيقة وجود الرباط في مطلع القرن الخامس الهجري أما مؤسسه فهو شخص يدعى اسماعيل بن سعيد أمغار من أهل المغرب الأقصى استقر بعد عودته من الحج بهذا المكان وبدأ بتدريس علوم الدين وارشاد الناس الى تعاليم الاسلام الصحيح(54).

وكانت المنطقة تابعة للأدارسة خلال القرن الثالث الهجري، وغزاها البرغواطيون في القرن الرابع، وعادت في منتصف القرن الخامس للسلطة المرابطية وتضاربت المصادر في نسب آل أمغار، بين قائل بانتسابهم الى الحسن أو الحسين وناف عنهم ذلك : فابن عبد العظيم الزموري من القائلين بشرفهم وانحدارهم من عبد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب(55). وكان قد فقد سلطانه بفاس لصالح موسى بن أبي العافية، وفر الى سوس حوالي سنة اثنتين وعشرة ومائتين.

وقد أورد البكري ان عبد الله المذكور توفي بسوس وبها قبره(56).

وممن قال بانتسابهم الى آل البيت محمد بن علي الدكالي(57)، ومحمد بن جعفر الكتاني(58). وعلى هذا الأساس كانت توجه إليهم ظهائر (التوقير والاحترام) من طرف ملوك المغرب(59).

إلا ان القدماء لم ينصوا على هذا الانتساب واكتفوا بالاشارة الى صلاحهم كما في التشوف، وانس الفقير، ومفاخر البربر، وغيرها.

ويميل بعض الباحثين الى هذا الرأي فيعتبرهم (برابرة من صنهاجة كما تدل على ذلك نسبتهم. وبخاصة ان أهل هذا المجال كانوا بربري اللسان والعادات، فلذلك لا يعقل أن يأتي شرفاء غرباء الى مجال غريب عنهم ويصيرون زعماء فيه(60).

ومن أن هذا الرأي تدحضه تجربة المولى ادريس مع قبائل أوربا، والتي كانت محل تقليد -بدون شك- من الأمغاريين، فإننا نلاحظ بالفعل ان تيار النسب الشريف نشط على

(52) طب الانفاس، للحجوي الثعالبي ص 331.
(53) حكم بين 424 و 431 هـ، وارسلها الى اسحاق بن اسماعيل امغار. انظر بهجة الناظرين للزموري م.خ. 20 ب 43 ب 144.
(54) آل أمغار صباح ابراهيم الشيخلي. مجلة البحث العلمي عدد 33، نونبر 1982 ص 170.
(55) بهجة الناظرين من 1 الى 18 ظ. حيث حاول اثبات ذلك بالبراهين.
(56) المسالك والممالك 162.
(57) كناشته ص 156 م.خ.ع.ر. 158 د.
(58) سلوة الأنفاس، ط. حجرية 2 / 218.
(59) أمثلة لها من بهجة الناظرين 20 ب، 25 أ، 43 ب، 44 أ.
(60) التيار الصوفي والمجتمع 170. هناك آراء تجعل صنهاجة عربا من حمير.

عهد المرينيين لأسباب سياسية ودينية واقتصادية(61)، وادعاء الامغاريين الشرف بعد هذه الفترة بالذات تحقيقا لنفس الأهداف، هو ما يفسر إشارة الكتب المتأخرة إليه، دون الكتب السابقة على العصر المذكور.

والمعتقدون بصحة نسبهم العلوي يرجعون الدم الصنهاجي لدى آل أمغار الى مصاهرة اسماعيل لسكان تيط الصنهاجيين، واستمرار تقليد زواج الأولياء الامغاريين من نساء صنهاجيات(62). وقد ساهموا بزعامة أبي جعفر اسحاق بن اسماعيل في الجهاد ضد كفرة برغواطة، واضطروا تحت ضغط هؤلاء الى الرحيل عن المنطقة مدة وعادوا إليها في منتصف القرن الخامس الهجري بعد انتصار المرابطين على برغواطة وكان المرابطون يستشيرونهم في كثير من أمور دولتهم(63)، ويلتمسون بكرتهم. وقد شاركوا الى جانبهم في الحروب ضد نصارى الأندلس.

وسيعرف رباط تيط ازدهارا كبيرا خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ويحظى أصحابه بمكانة عالية لدى ملوك بني مرين(64) حتى ان ابن الخطيب قال عنه (رباط للأولياء به سرور واغتباط)(65).

8- رباط گوز :

يقع على المحيط الأطلسي (قرب الصويرة). وكان يطلق عليه كذلك رباط "رتنانة أو هرتنانة"(66).

وقد قال عنه البكري (وهو رباط يعسره الصالحون)(67). وله أهمية اقتصادية كبيرة لكونه مرسى مدينة اغمات. هذه المدينة الواقعة في مفترق الطرق التجارية الرابطة بين الشمال والجنوب والشرق. وفي گوز (تنزل السفن من جميع البلاد ولا تخرج منه السفن صادرة الا في زمان الأمطار...)(68).

---

(61) Les confréries religieuses P. 60-61.

(62) آل أمغار 173.

(63) استشارة علي بن يوسف لأبي عبد الله أمغار عند بناء سور مراكش، انظر بهجة الناظرين 217.

(64) للمرينيين اهتمام خاص بالأولياء والشرفاء لذا صدرت عنهم ظهائر ورسوم بين 696 و 755 هـ، في موضوعات مختلفة تتصل بأسرة آل امغار.

(65) معيار الاختيار. تحقيق محمد كمال شبانة 159.

(66) Note sur les ribats p. 410.

(67) المسالك والممالك 86.

(68) المسالك والممالك 153.

وأعطى البكري مقاييس المراحل بينه وبين اغمات فقال (من وريكة الى نفيس خمسة وثلاثون ميلا، ومن نفيس الى شفشاوة ثلاثون ميلا، ومنها الى مرامر ثلاثون ميلا، ومنها الى رباط گوز خمسة وعشرون ميلا، وذلك عشرون ومائة ميل)(69).

9- رباط ماسة :

يبدو بموقعه على شاطى المحيط وعلى مصب النهر انه قد نهض بأدوار مهمة في القديم. وهو من الرباطات الجنوبية المعروفة بكثرة الوافدين عليها والمقيمين بها، خاصة وانه كان يعقد به موسم سنوي. قال عنه البكري (وماسة رباط مقصود عندهم له موسم عظيم، ومجمع جليل، وهو مأوى للصالحين(70) فهو يجمع بين العبادة والتبادل التجاري والصيد.

10- رباط الصحراء :

لما يئس عبد الله بن ياسين من تعليم قبائل صنهاجة وإصلاح دينهم بعدما استقدمه يحي بن ابراهيم الگدالي لذلك، قرر الابتعاد عنهم بمكان وصفه له يحي قائلا (ان ههنا جزيرة في البحر... فيها الحلال المحض من شجر البرية، وصيد البر والبحر، ندخل فيها ونقتات من حلالها، ونعبد الله تعالى حتى نموت)(71). ودخلها معهما سبعة نفر من گدالة، وبنى بها عبد الله رباطا أقاموا به يعبدون الله. وبعد عدة أشهر تسامع الناس بهم (فكثر الواردون عليهم والتوابون لديهم)(72). ولما كثر عددهم (نحو الألف رجل) خرج بهم الى الجهاد في سبيل الله ونشر دينه ودعوته ، وتسموا بالمرابطين.

وكما لاحظنا في وصف يحي للموقع، فقد كان كثير الأشجار والصيد البري والبحري الشيء الذي يمكن إعداد المرابطين من العيش في رخاء. ولم يؤسس هذا الرباط -كما هو الشأن بالنسبة للرباطات السابقة- لمواجهة الغازي الأجنبي وإنما لتعليم القبائل الصنهاجية وتوحيدها، ونشر تعاليم الاسلام بينها والوصول بها الى عمق بلاد السودان.

II - الرباطات الداخلية :

أي الواقعة في المدن والقرى والبوادي، منها ما يقع على المسالك التجارية ومنها ما يقع على ضفاف الأنهار، أو فوق الجبال.

---

(69) المسالك والممالك 154.

(70) المسالك والممالك 161.

(71) الأنيس المطرب 124-125 والاستقصا 2 / 7.

(72) الأنيس المطرب 124-125.

1- الواقعة على المسالك التجارية :

فاس واغمات وسجلماسة، مدن واقعة على مسالك تجارية حيوية في البلاد. فهي تقوم بربط تجارة الجنوب والصحراء بتجارة الشمال وأوربا :

- فمحور فاس اغمات الذي سيصبح فيما بعد محور فاس مراكش كان مهما، لأن مدينة اغمات تستقبل تجارة الصحراء والجنوب عبر خط اوليل/نول/تارودانت. والبضائع المحملة في الاتجاهين هي، الذهب، الملح، العبيد، القمح، النحاس، ويتكفل هذا المحور بربط هذه الطرق بالأندلس وأوربا.

- ومحور فاس/سجلماسة، يقوم بمهمة مماثلة، ذلك ان سجلماسة تستقبل تجارة السودان والصحراء عبر خط : اوداغشت/ازقي/درعة/سجلماسة القائم على تبادل النحاس والخيل والجلود والعبيد، ومواد فلاحية كالقمح والكمون والحناء... وتصل هذه التجارة من سجلماسة الى فاس التي تتكفل بنقلها كذلك الى الشمال وأوربا(73).

فلا عجب أن تتركز الربط والزوايا بين المحورين لما في ذلك من فوائد اقتصادية :

-استفادتها من النشاط التجاري، خاصة وانها كانت تعرف مواسم دينية خلال السنة، لا تخفى أهميتها الاقتصادية.

- استفادتها من حراسة القوافل وتأمين الطرق التجارية، وإقامة التجار...

وأهم الربط الواقعة على الطرق التجارية :

أ- فاس : إضافة الى أهميتها كمركز اقتصادي تجاري، لفاس أهمية دينية باعتبارها عاصمة الأدارسة وتضم جامعة القرويين. فكانت تستقطب لذلك اهتمام المشارقة والأندلسيين والقيروانيين، وتفد عليها أفواج مهمة منهم، من شخصيات علمية وغيرها. فمكنها ذلك من الاطلاع على التيارات الفكرية والدينية الموجودة في باقي أنحاء العالم الاسلامي آنذاك.

لهذا تعددت الرباطات والزوايا بفاس منذ هذا العصر وتكاثرت بعد ذلك مما جعل ابن القاضي يقول بأن عددها كثير لا يأتي عليه الحصر(74).

وفي التشوف ذكر لأسماء بعض صوفية فاس وعلمائها كأبي عمران موسى بن عيسى

---

(73) المرابطون : تاريخهم السياسي، محمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة 1969 ص 15-23.
(74) جذوة الاقتباس 1973، ص 51.

الفاسي، وأبي جبل يعلى، وأبي محمد عبد الله بن محسود الهواري(75) وغيرهم.

وبين فاس وسلا رابطة زرهون، وهي التي دفن بها ادريس الأكبر(76)، فاكتسبت بذلك أهمية ستتضاعف مع ظهور المرينيين واهتمامهم بالنسب الشريف. وعلى محور فاس/ سجلماسة توجد رابطة صفرو(77).

ب- اغمات : مدينتان سهليتان، الأولى اغمات أوريكة قرب الوادي الذي يحمل هذا الاسم (وبها مسكن رئيسهم، وبها ينزل التجار والغرباء)(78) والثانية اغمات ايلان على بعد ثمانية أميال الى الجنوب من الأولى(79).

وبالاضافة الى موقعها كنقطة التقاء عدد من المسالك التجارية الرئيسية لاغمات أهمية فلاحية، فمجالها خصب، كثير المياه، وافر الغلل.

وعند البكري (ان سوقها يقوم يوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر يذبح فيها أكثر من مائة ثور، وألف شاة، وينفد في ذلك اليوم جميع ذلك)(80).

وتشحن السلع والبضائع المجمعة باغمات الى مرسى گوز، ومنه عبر البحر الى ماسة والصحراء والأندلس. وتبعد عن هذا المرسى بعشرين ومائة ميل عبر نفيس، شفشاوة ومرامر(81).

وتذكر المصادر ان عقبة فتح مدينة اغمات التي كان بها نصارى من البربر وان موسى بنى بها مسجدا. وان أشياخها يعتقدون ان مسجدهم من بناء الحواريين. وصارت تابعة لحكم الأدارسة بعد ظهورهم. فكانت بيد محمد بن إدريس، ثم أخيه عبد الله من بعده. وفي خضم الصراعات والاضطرابات التي عرفها المغرب بعد ضعف الأدارسة، دخلت الى اغمات جماعة من مغراوة الزناتيين وأسست بها إمارة ظلت قائمة الى حين توحيد المرابطين للبلاد في منتصف القرن الخامس الهجري(82).

---

(75) التشوف طبعة أولى صفحات 64-78-95-157.

(76) التشوف 373.

(77) التشوف 370. وحول صفرو انظر معلمة المدن والقبائل لعبد العزيز بنعبد الله 1977، ص 294.

(78) المسالك والممالك 153.

(79) يعتقد دوتي (Doutté) انها تقع بالقرب من حصن تاسغيمون بقرية تدعى الآن "ايغبل".
Marrakech désorigines à 1912 p. 44.

(80) المسالك والممالك 153 / 154. وصف افريقيا للادريسي 42.

(81) المسالك والممالك 153 / 154.

(82) Marrakech des origines à 1912 p. 43-44.

وعرفت اغمات حركة علمية وصوفية نشيطة قبل تأسيس مراكش غدتها هجرة علماء القيروان اليها بعد سقوط مدينتهم. واحتفظ لنا صاحب التشوف بأسماء جماعة منهم، مثل :

- أبو عبد الله محمد بن سعد بن علي القيرواني، كان من أهل الفضل والعلم، استقر بالمدينة وأدرك بها مكانة كبيرة(83).

- أبو محمد عبد السلام التونسي، (كان زاهدا في الدنيا ماكلا وملبسا، لا يأكل إلا من حرث يده أو صيدها)(84).

- أبو محمد عبد العزيز التونسي، كان زميل وجاج بن زللوفي الدراسة، إذ أخذا معا على ابي عمران الفاسي. استقر باغمات وكان يدرّس بها الفقه، وكتب التصوف (وكان ورعا متقللا من الدنيا، هاربا من أهلها)(85).

- أخت عبد العزيز التونسي، حلت بالمدينة مع أخيها المذكور، قال عنها صاحب التشوف (... انها انقطعت الى عبادة الله تعالى الى أن ماتت وهي بكر، وان عبد العزيز كان إذا جاءه أحد يستوهب منه الدعاء، يأمره بأن يذهب إليها لتدعو له)(86).

- ومن صوفية افريقية الذين حلوا باغمات ثلاثة إخوة من صفاقس هم أبو الطيب، محرز، ومحمد. وكانوا على قدر من العلم(87).

وكانت اغمات بحكم موقعها وما شاع عنها في الآفاق من نزول شخصيات علمية ودينية بها، مقصدا للصوفية. ودفن بها عدد كبير منهم. بالغ بعض المتأخرين فجعلهم سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة وأربعين(88).

وستظهر باغمات "الطريقة الاغماتية" ومؤسسها هو محمد بن عبد الكريم الهزميري. ومن اتباعه أخوه أبو زيد، وتلميذ هذا الأخير ابن البناء المراكشي(89).

وبعد حركة صوفية واقتصادية نشيطة ستأخذ المدينة المحدثة (مراكش) مكانة اغمات تجاريا وعلميا وصوفيا. فتدهورت حالتها، وعجل بخرابها ما توالى عليها من غارات

(83) التشوف 61 والاعلام 2 / 308. والسعادة الأبدية 1 / 63.
(84) التشوف 88.
(85) التشوف 68.
(86) التشوف 70.
(87) التشوف 140.
(88) السعادة الأبدية 1 / 57.
(89) سنعود الى هذا الموضوع في الفصل الثاني.

العرب(90)، ومن اقتتال بين سكانها وبين أهل الجبل الذين كانت تدفعهم قساوة الحياة الطبيعية الى الاغارة على المدينة للتزود من خيراتها.

وقد بنى المرابطون حصونها لحراسة الطرق التجارية مثل حصن هيلانة وحصن تاسغموت على بعد بضعة أميال من اغمات. ومن الرباطات القريبة منها كذلك رباط تاسماطت. وقد ذكر صاحب التشوف بعض الصوفية المنحذرين منه كأبي تونارت ولجوط بن ومريل، وأبي حدو القاسم الايلاني، وأبي ابراهيم اسحاق بن ويعزان(91).

وعلى طريق فاس/اغمات، توجد حصون : تادلا، داي، ورباط ملولاسن، ورباط هسكورة. وسيكون لها شأن بعد بناء مراكش، ونشاط ما سمي بطريق النحاس. وفي التشوف أسماء كثير من صوفية تادلا وادي وهسكورة المنتمين لهذه الفترة.

2- الرباطات الواقعة على ضفاف الأنهار :

أ- رباط نفيس : نفيس من المدن المغربية القديمة التي اندثرت وعفت آثارها ولم تبق عنها الا أخبار متضاربة لدى المؤرخين والرحالة. فقد قال عنها البكري (تعرف بالبلد النفيس، كثير الأنهار والثمار، وليس في ذلك القطر موضع أطيب منه ولا أجمل نظرا. وهي مدينة قديمة أزلية غزاها عقبة بن نافع صاحب رسول الله (ص) وحاصر بها الروم ونصارى البربر، وكانوا قد اجتمعوا لحصانتها وسعتها فلزمهم حتى فتحها وبنى بها مسجدا...)(92).

وعنده انها تقع على طريق اغمات/گوز الذي تمر به البضائع المحملة الى هذا المرسى. بينها وبين اغمات خمسة وثلاثون ميلا. وصعب على المؤرخين المتأخرين تحديد مكانها بالضبط، فجعلوها في موقع زاوية الشرادي، أو رباط شاكر، أو بين تانزالت ودركالة، أو بين تامصلوحت وللاتكركوست(93).

ويبقى تحديد البكري أكثر دقة إذ جعلها على وادي نفيس وذكر المسافة الفاصلة بينها وبين محطات معروفة الى الآن على طريق اغمات/گوز.

كما اختلفوا حول نسبة المسجد لعقبة، هذا المسجد الذي ظل قائما خلال القرن الخامس

---

(90) معيار الاختيار لابن الخطيب 32.
(91) التشوف 143 / 160 / 220.
(92) المسالك والممالك 140. انظر كذلك وصف افريقيا للادريسي نشره بيريس بالجزائر 1957.
(93) فَصَّل دوفردان القول في نفيس وموقعها، انظر كتابه :
Marrakech des origines à 1912 p. 38-43.

الهجري، وهو الذي سماه البيذق حصن نفيس، وأطلق عليه رباط نفيس ورباط عقبة(94). وكان هذا الرباط مجمعا للصوفية يمارسون فيه شعائرهم، وفي نفس الوقت يقوم بدور حراسة قوافل التجارة وتأمين طريق اغمات/گوز. وستصبح له أهمية كبرى في عصر ابن الزيات الذي نقل عن أبي علي عمر بن يحي ما كان يعرفه رباط نفيس من دروس وعظية بليغة يلقيها بعض الصوفية على مجمع المصامدة في موضوع الزهد في الدنيا، والاقبال على الآخرة(95). وفي التشوف أسماء عدد من الصوفية المنحذرين من نفيس أو المقيمين به.

ب- رباط شاكر : أشهر رباط في المغرب الأقصى يقع على نهر تانسيفت على الطريق بين اغمات ومرسى گوز، بالمكان المدعو شفشاوة، بينه وبين نفيس ثلاثون ميلا. ويعتقد ان شاكرا الذي يحمل الرباط اسمه من أصحاب عقبة بن نافع وانه مات هناك. وينسب بناؤه ليعلى ابن مصلين الرجراجي الذي كان ينطلق منه لقتال البرغواطيين(96). والى جانب أهميته التجارية والجهادية كان للرباط دور علمي كبير، فقد كان يحضره العلماء والزوار من جميع أطراف المغرب.

وازدادت هذه الأهمية مع مرور الزمن إذ كان يقام به موسم سنوي كل شهر رمضان تشارك فيه أعداد هائلة من الزوار، مما أدى الى ارتفاع أصوات الاحتجاج والاستنكار من طرف بعض الفئات.

وكان ابن الزيات من المدافعين عن هذا الموسم(97)، ومن المترددين عليه(98)، الشيء الذي مكنه من تسجيل أخبار ثمينة عن الحياة الدينية والعلمية بالرباط في عصره :

- حلقات الذكر الجماعية التي كان المصامدة يقيمونها(99).

- حضور كبار الوعاظ الى الرباط، فقد قال في ترجمة أبي محمد تيلجي بن موسى الدغوغي(100) (كان واعظا برباط شاكر، في وقت لا يصعد منبر رباط شاكر إلا الآحاد).

- مستوى الصوفية الذين كانوا يحضرون في المواسم، وما كان يصدر عنهم من

94) اخبار المهدي بن تومرت وبداية الموحدين للبيذق، الرباط 1971 ص 92.
(95) التشوف 413.
(96) التشوف 26.
(97) التشوف 26.
(98) التشوف 394-395.
99) التشوف 405.
(100) التشوف 414.

كرامات(101).

- مساهمة المرأة المغربية في مواسم رباط شاكر، فقد روي عن أبي عبد الله محمد بن خالص الأنصاري، ان منية بنت ميمون الدكالي قالت (حضر هذا العام بهذا الرباط ألف امرأة من الأولياء)(102). ومع ما قد يتضمنه الرقم من مبالغة، فإنه يدل على الحضور المكثف الذي يعرفه الموسم من طرف الرجال والنساء على السواء.

3- رباطات على قمم الجبل :

لم يكن اختيار الصوفية للجبال بسبب ما توفره لهم من هدوء وخصب، وموارد طبيعية فحسب، وإنما لما تنهض بها من أدوار اجتماعية ودينية بسبب ما تعرفه من نزاعات قبلية محلية حول الأرض والماء والمرعى. وعرفت الجبال كذلك مسالك تجارية أكثر أمناً ونشاطا من المسالك التجارية الساحلية. وقد بنى بها المرابطون حصونا لحراسة هذه المسالك تحصنوا فيها، فيما بعد، لما خرج عليهم المهدي بن تومرت(103)، منها : حصن تافركوكنت في كيك، حصن ويرگان، حصن تارولوكوت بگدميوة، وحصن تاسغيموت بمسفيوة، وكلها بجبل درن(104).

وعندما ظهر ابن تومرت لجأ الى قومه وبنى رباطا بهرغة لتعليم سكان الجبال واعدادهم لمواجهة المرابطين(105).

وفي جبال الريف كانت غمارة تابعة للحسنيين (الأدارسة) وأهلها يعظمونهم تعظيما مفرطا(106). وعرفت هذه الجبال ثوارا أخذوا الدين مطية للخروج والظهور وجمع الناس حولهم، أشهرهم أبو محمد حاميم بن منّ الله الغماري الذي ظهر بجبل مجكسة على مقربة من تطوان (فأجابه بشر كثير أقروا بنبوته)(107). وقد حدثنا البكري بتفصيل عن ديانته. وبعد مقتله سنة خمس عشرة وثلاثمائة، ظهر ثوار آخرون بنفس المكان، وسلكوا سبيل سابقهم، منهم رجل ساحر عرف بابن كيسة(108) وعاصم بن جميل اليزدجومي(109).

---

(101) التشوف 420.
(102) التشوف 313.
(103) اخبار المهدي 90-93.
(104) اخبار المهدي 90-93.
(105) اخبار المهدي 94
(106) المعجب 67-68.
(107) المسالك والممالك 100
(108) المسالك والممالك 100-101
(109) تاريخ ابن خلدون، ط. دوسلان 1 / 287.

وستعرف هذه المناطق على عهد الموحدين حركة صوفية نشيطة، تساهم فيها قبائل كثيرة بعدما يتم القضاء على هذه الثورات والادعاءات، ويكون محورها عبد السلام بن مشيش، وتلميذه أبو الحسن الشاذلي.

ولعل أهم رباط جبلي وجد بالجنوب المغربي هو رباط رجراجة بجبل الحديد. فقد دخل الاسلام الى هذه المناطق منذ بداية الفتح الاسلامي للمغرب مع العلم ان القائلين بصحبة رجال رجراجة يرجعون تاريخ تعرف المنطقة الى الاسلام الى عهد الرسول(110).

ولن نتناول الآن قصة رجراجة وصحبتهم واعلامهم وأدوارهم السياسية والدينية إذ ستتاح لنا فرصة أخرى للحديث عن ذلك، وإنما نريد الاشارة الآن الى ان منطقة جبل الحديد خاصة، ومدافن باقي رجال رجراجة عامة عرفت في هذه الفترة المتقدمة من تاريخ المغرب نشاطا دينيا وتجاريا شبيها بتلك التي عرفتها الرباطات والزوايا. فبالاضافة الى مظاهر التقديس والاحترام التي كانت هذه الأضرحة موضوعة والى اعتبارها أماكن للعبادة والدراسة، كانت تعرف موسما سنويا يدوم حوالي أربعين يوما، تحضره القبائل من جميع نواحي البلاد. وكان يسمى "جمع الأخيار" ينطلق من ضريح باقي رجال رجرجة. ويشتد حماس رواد الموسم ويتكاثرون عند الوصول الى ضريح أبي بكر بن شماس(111). ويدور هذا الطواف في مساحة تمتد الى مرسى گوز (رتنانة) على البحر المحيط عند مصب نهر تانسيفت، والى منطقة مسكالة على الحدود بين الشياظمة وحاحا.

وإذا صح ما قيل من ان شاكرا دفين رباط نفيس هو ابن الولي الرجراجي يعلى بن واطيل(112)، فان نفوذ رجراجة يكون قد تجاوز هذه المناطق ليصل الي بلاد احمر والحوز. ويذكر المؤرخون ان رباطاتهم كان يعمرها الصالحون(113)، واستمر ذلك أجيالا عديدة ليصبحوا في منتصف القرن الحادي عشر الهجري رمزا للقوة والاستماتة أثناء المواجهة التي دارت بين السعديين والشياظمة(114).

ان مواقع رباطات رجراجة في الجبل، وعلى الشاطئ (گوز)، وعلى ضفة تانسيفت، وعلى مسلك تجاري (اغمات/گوز)، مكن هذه القبائل من الجمع بين الدين والدنيا، حتى قيل

---

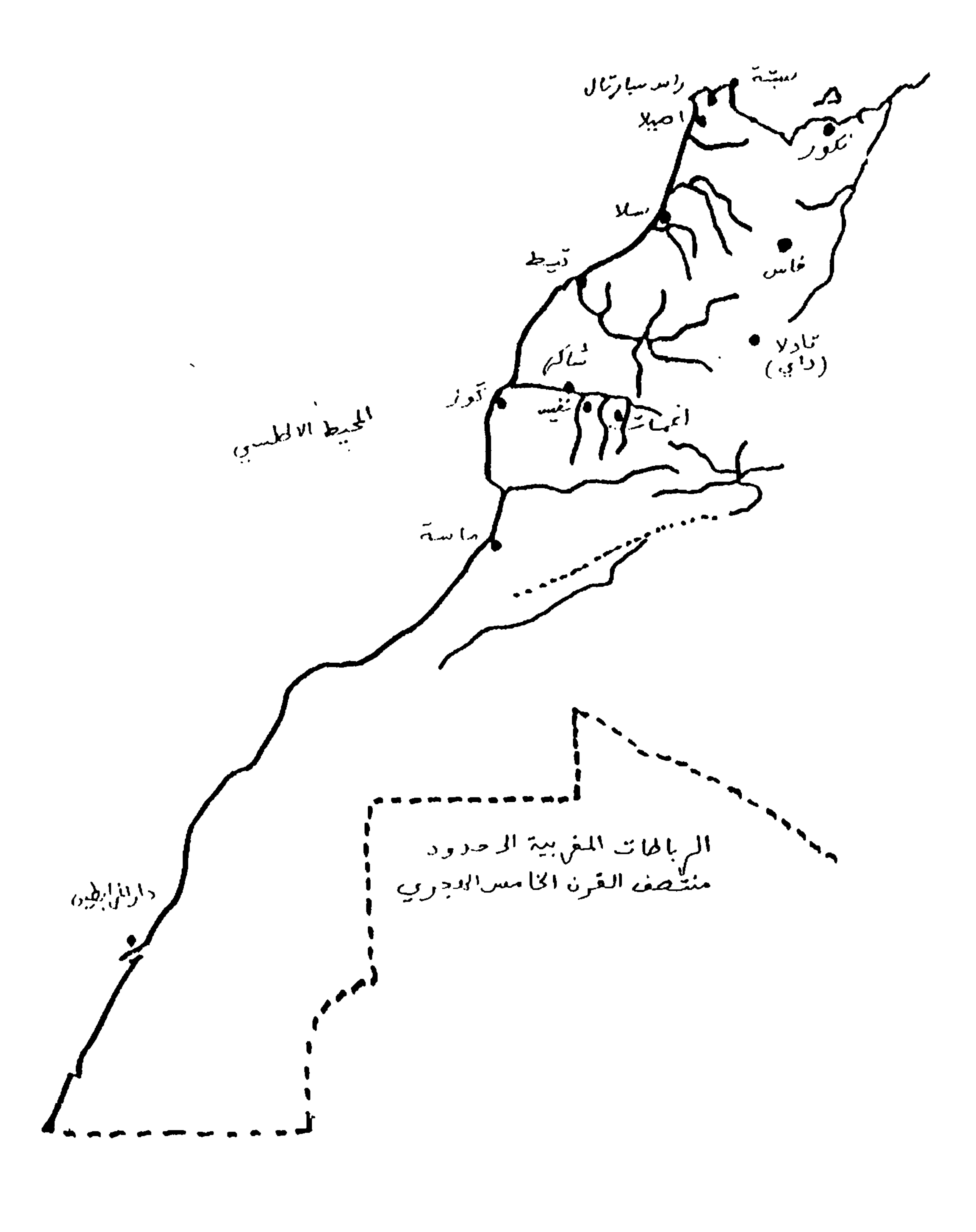
(110) العيون المرضية لمؤلف مجهول، م.خ.

(111) انظر في رجراجة ورجالهم وأخبارهم، كتاب العيون المرضية، ومقالة
Décastries : Les 7 patrons de Marrakech. Hesperis 1924 T IV 3e Trimestre pp. 252-258.

(112) العيون المرضية م.خ. (بدون ترقيم).

(113) المسالك والممالك 86

(114) سنتحدث عن ذلك بتفصيل عندما نتناول موضوع سبعة رجال مراكش.



سبتة
راس سبارتال
اصيلا
نكور
سلا
فاس
تيط
تادلا
(داي)
شاكر
كوز
نفيس
اغمات
المحيط الاطلسي
ماسة
دار المرابطين
الرباطات المغربية الحدود
منتصف القرن الخامس الهجري

فيها (من أراد الدنيا والآخرة فعلية ببلاد رجراجة)(115).

وفي التشوف ذكر لمجموعة من صوفية رجراجة، ينتسب أغلبهم الي الفترة التي عاشها المؤلف، من أمثال : أبي محمد خميس بن أبي زرج الرجراجي الأسود، وأبي زكريا يحي بن أبي موسى المليجي، وأبي عثمان سعيد بن ميمونا سن الرجراجي... وغيرهم(116).

وخلاصة القول :

- هذه أهم الرباطات التي عرفها المغرب الى حدود منتصف القرن الخامس الهجري -تاريخ بناء مراكش- وقد تجاوزنا هذا التاريخ أحيانا للاشارة الى مستقبل بعض الرباطات والأهمية التي ستدركها دون الدخول في التفاصيل. كما اننا ركزنا على الرباطات التي نهضت بأدوار دينية واجتماعية وتجارية، دون الاهتمام بما قد يوجد في بعض المناطق الجبلية خاصة من خلوات لأشخاص اعتزلوا الحياة العامة للاخلاد الى العبادة والتأمل دون أن يكون لتصرفهم تأمل يذكر.

- ان التقسيمات المتبعة في عرض الرباطات والزوايا تقريبية : رباطات شاطئية داخلية، على المسالك التجارية، ... ذلك ان بعض الرباطات قد يجمع بين عدة خصائص كأن يكون علي الوادي، وفي مسلك تجاري معا (نفيس/شاكر)، أو على الشاطئ ومصب النهر (گوز/ماسة) الخ... وقد سلكنا هذا التقسيم لنبين تأثير الموقع في وظائف الرباط ومستقبله.

- إذا كنا على يقين بأن الرباطات الشاطئية ظهرت أساسا لمقاومة النصارى والمجوس وغيرهم من المغيرين على بلاد المغرب المسلمة، فإننا لا نستطيع الجزم بأن الرباطات الواقعة على المسالك التجارية قد سبقت تلك المسالك أو أنها جاءت بعدها لتحافظ على الأمن فيها ؟ وهل سبقت العمران وكانت أساسه ؟ أو جاءت لحماية السكان ومساعدتهم وتوجيههم، بل أحيانا ما يكون موقع الرباط نفسه محل شك وأخذ ورد.

ومع ذلك نرجح أن تكون مدينة اغمات أساس محوري فاس/اغمات، واغمات/گوز. وستفقد المدينة هذه الأهمية الموقعية بعد ظهور مراكش، ليصبح المحوران فاس/مراكش (أو طريق النحاس)، ومراكش/آسفي، في حين ان الحصون والرباطات التي بناها المرابطون جاءت

---

(115) كتاب الانساب ص 27، التيار الصوفي والمجتمع 68.

(116) انظر صوفية رجراجة في الصفحات 62-63-91-93-124-212-222-351-360-434 من التشوف.

لتأمين المسالك التجارية وحمايتها.

ورباطات مدينة فاس مثلا لم تكن أساس العمران، في حين ان رباط الصحراء (دار المرابطين)، ورباط شاكر قد سبق العمران وكان أساسه.

- بعض الرباطات تأسست منذ الفتح الاسلامي للمغرب، أو بعده بقليل، في حين ان رباطات أخرى لم تظهر الا مع الدولة المرابطية. ومن هذه وتلك ما لم تبرز أهميته وتتجلى أدواره أحيانا الا في العصور المتأخرة مع الموحدين أو المرينيين، أو حتى بعد ذلك كما هو شأن رجراجة. وهذا ما دفعنا الى الاشارة الى ذلك وان كان خارجا عن شرط الفصل الذي عقدناه.

ولم نتعرض للرباطات والزوايا التي لن يتم تأسيسها الا بعد بناء مراكش وأجلنا ذلك الى مكانه، كما هو الشأن بالنسبة لرباط أبي محمد صالح بآسفي ورباط ابن حرزهم بفاس، ورباط أبي يعزى بتاغيا...

وقد بقي بعض هذه الرباطات صامدا يقوم بأدواره المتنوعة لاستمرار شروط وجوده، والبعض الآخر تلاشى بتلاشيها. فبعض الربط الشاطئية لم يعد لها وجود اما بسبب الاحتلال الأجنبي لمواقعها، أو بسبب ضمان الأمن وزوال الخوف من الهجومات خلال فترات قوة الدولة (رباطات الشمال)، وبعضها الآخر كان تلاشيه بسبب نسخ مدن أو رباطات أخرى ظهرت بمقربة منه (اغمات لصالح مراكش، وكوز لصالح آسفي...)، أو بسبب تحول المسالك التجارية عنه.

ان عوامل المحافظة على مكان الرباط ووجوده تتجلى في أهمية موقعه (الرباطات الجبلية، وعلى المسالك التجارية) وقوة عصبيته (بنو امغار، رجراجة...) وإمكانياته المادية المستخلصة أساسا مما يصله من هبات وعطاءات وزيارات ومداخيل عقارية وفلاحية وتجارية (المواسم، تأمين الطرق التجارية...)(117).

وإذا أردنا أن نتعرف الى العوامل المؤدية الى ظهور التصوف فإننا نلاحظ وجود اختلاف بين المشرق والمغرب. فإذا كان العامل الديني ثابتا لا يتغير في كل المجتمعات الاسلامية، ويتجلى في أعراض بعض الأشخاص عن الدنيا وتأثرهم بما جاء في الكتاب والسنة وما داب عليه بعض الصحابة والتابعين عموما من تقشف وتبتل وعبادة ورفض لمتع الحياة وزخرفها فإن ذلك وحده لا يكفي لتفسير انتشار الظاهرة على نطاق واسع في المجتمعات وانبثاقها في فترات معينة وفي أماكن مخصوصة.

---

(117) التيار الصوفي والمجتمع 68.

ولذلك فإن عوامل أخرى سياسية واجتماعية ونفسية كانت وراء انتشار تيار الزهد (الذي صار تصوفا فيما بعد) بالمشرق تتمحور في :

- رفض كثير من المسلمين المساهمة في مقاتلة إخوانهم خلال الفتنة التي شبت بين أنصار علي ومعاوية.
- احتجاج سلبي ضد استبداد الأمويين وتنكيلهم بمعارضيهم.
- احتجاج ضد التمايز الطبقي الذي عرفه العصر الأموي، والذي تفاحش فيما بعد بثراء الطبقة الحاكمة وافتقار قاعدة واسعة من الطبقات الاجتماعية.
- وأخيرا زهدت جماعات من العلماء والمفكرين بسبب عجزها عن الاسهام في إيجاد حل لهذه المشاكل المستعصية وإصلاح لما عرفه المجتمع الاسلامي من فساد.

لقد كانت هموم المغرب الأقصى من نوع آخر، ووضعية سكانه مختلفة كل الاختلاف عما ذكرناه، فبالرغم من دخول كل التيارات المذهبية والفكرية التي ظهرت في الشرق من خوارج وشيعة. فإنه لم يعرف هذه الصراعات السياسية الدامية ولا استبدت فيه طبقة ونكلت بغيرها الى حد ظهور تيار عملي أو فكري يندد بذلك. ولم تصل العلاقة بين الطبقات الاجتماعية الي هذا الحد من الانفصام والتمايز بحيث تبلغ بعضها أعلى درجات الغنى، وتصل الأخرى أدنى درجات الفقر.

لقد بدأت الرباطات تظهر ولو بشكل أولي وبسيط منذ الفتح الاسلامي ولاحظنا ان أسماء بعضها ارتبط بعقبة بن نافع ونسب إليه، أو لبعض أصحابه أو لموسى بن نصير وغيرهم من الفاتحين الأوائل (اغمات، نفيس، رباط شاكر...) ومعنى ذلك أن نشر الديانة نفسها كان عاملا من عوامل هذا الظهور.

ثم ان موقع المغرب على واجهة بحرين عظيمين، ورابطا بين عالمين مختلفين أوربا وافريقيا جعله قبلة الطامعين والمحتلين سواء في ذلك من كانت لهم أهداف دينية واقتصادية تجارية (نشر ديانات، استغلال الشواطئ) فكان الدفاع عن البلاد ضد أنواع الغزو مطلبا ملحا ومهما.

وتحملت هذه المسؤولية فئات عرفت باخلاصها للدين وتفانيها في نصرته، لأن رد هؤلاء المغيرين جهاد في سبيل الله. فكان هذا عاملا من عوامل تكاثر الرباطات والحصون، وبالتالي انتشار التصوف، إذ ان رواده كانوا يجمعون كما بيننا بين الجهاد والعبادة.

ولا يجب اغفال العامل الاقتصادي في ظهور الرباطات أو استمرارها، وازدهارها ذلك

ان بعضها قد استمد قوته من موقعه على مسلك تجاري نشيط فكانت تختلط بمريديه ونزلائه أفواج التجار والمسافرين بسلعهم وبضائعهم، فتستفيد وتفيد. كما كانت أخرى تقوم بمهمة خفر القوافل وتأمين الطرق والضرب على أيدي قطاعها ، والفصل بين التجار فيما قد يطرأ بينهم من مشاكل. وتعظم الاستفادة وتتضاعف عندما يكون من تقاليد الرباط إقامة مواسم خلال السنة وغالبا ما تكون مناسبتها رمضان وعاشوراء... إلا انها لا تخلو من فوائد اقتصادية وتجارية.

مع كل هذا يبقى العامل الاجتماعي مهما لأنه يمس قاعدة أكبر من سكان البلاد . ذلك ان نشر الديانة الاسلامية، وتوضيح مبادئها وأهدافها السامية، وتعليم لغة القرآن، كان عاملا من عوامل نمو الرباطات وتكاثرها في السهول والجبال. ويوازي ذلك قضاء حاجات السكان، والفصل بينهم في خلافاتهم وخصوماتهم وتحرير عقودهم. وعندما تظهر على بعض شيوخ الزوايا ملامح الصلاح والتقوى والزهد، كانت بعض الفئات الاجتماعية تسعى إليهم التماسا للبركة، أو تزكية لأموالهم، أو صلاحا لأبدانهم ولأولادهم. ومنذ ذلك التاريخ وهذه المهام موكولة الى الفقيه العالم والشيخ في البوادي والقرى والجبال.

واعتمادا على هذه الشروط الخاصة بالمغرب لم يتدرج التصوف المغربي من زهد الى تصوف فطرقية، ولم تسبق المرحلة التنظيرية المرحلة العملية، وإنما بدا عمليا : الجهاد ، العباد ، اصلاح المجتمع. وسيقتحم ميداني السياسة ثم التنظير عندما تتقوى بعض الرباطات لتصبح زوايا كبيرة لها قواعد وشارات ومبادئ واتباع. ولن يتم ذلك لكل الرباطات ولا في هذا الوقت المبكر.

والآن، وقد نقبنا عن جذور التصوف المغربي ووقفنا على العوامل المؤدية الى نموه وانتشاره، ما حظ مدينة مراكش من ذلك ؟ متى عرفت الرباطات والزوايا وما أدوارها ؟ وقبل ذلك ما مراكش ؟ لماذا بنيت في هذا الموقع بالذات ؟ وما هي العناصر التي سكنتها ؟ وكيف كانت العلاقات بينها ؟

ذلك ما سنقف عليه في الفصول المقبلة.

الحركة الصوفية بمراكش :
ظاهرة سبعة رجال

تمهيـــــد :

يتناول هذا الباب(*) الموضوعات التالية :

1- فصل ذو طبيعة تمهيدية :

نطرح فيه مجموعة من الاشكالات المتصلة بموضوعي مراكش والتصوف :
- اشكالية التسمية، لما يحصل من خلافات في النطق بكلمة "مراكش" التي سترافقنا من أول البحث الى آخره.

- الموقع، لما له من تأثير مباشر في نشاط الزوايا فقد لاحظنا في المدخل ان الرباطات الأكثر صمودا هي الواقعة على الشواطئ أو في ملتقى طرق تجارية أو في مناطق جبلية خصبة.
- التأسيس والبناء، يمكننا التعرف الى بناء أسوار المدينة وأبوابها وتعمير احيائها من القاء الأضواء على تاريخها الصوفي : الطرق والزوايا التي أسست بهذه الاحياء، والأولياء الذين دفنوا بها، والأدوار الاجتماعية والتربوية التي نهضوا بها.
- الوظائف داخل المدينة، لما لها من علاقة بالتصوف، إذ ان وجود السلطة في المدينة يؤدي الى حجب أدوار الأولياء أو على الأقل مراقبتهم والحرص على توفير نوع من التوازن بينهم. اما غيابها فيؤدي الى تقوية الدور السياسي والاجتماعي لهؤلاء فيأتمر العامة بأمرهم. وقد عرفت مراكش كل هذه الحالات.
- عوامل ومؤثرات، داخلية وخارجية كان لها دور في تنشيط التصوف وابراز تياراته واتجاهاته بالمدينة.

2- الطرق الصوفية التي عرفتها المدينة :

سواء نشأت فيها، أو دخلت إليها، والزوايا التابعة لها في الاحياء والدروب مع التعريف بشيوخها واسانيدهم في الطريقة ونشاطهم الديني والتربوي. وسنستعين على بلورة ذلك "بالخرائط".

3- ظاهرة سبعة رجال بمراكش :

التعريف بالطواف ومراحله ومحطاته وتاريخ تنظيمه، والأدوار السياسية والاجتماعية والعلمية لشيوخه، وتأثيرهم في المجتمع عبر التاريخ.
وبذلك نتعرف الى كل الاتجاهات الصوفية الفاعلة التي عرفتها المدينة، والتي ستكون لها تأثيرات فكرية وأدبية عميقة وشاملة في التراث المغربي والاسلامي عموما.

(*) أي الكتاب بكامله.

الفصل الأول

مراكش والتصوف : إشكاليات وعوامل

1- التسمية والمدلول
2- الموقع
3- البناء والتعمير
4- الوظائف
5- عوامل ومؤثرات
خاتمة

1- التسمية والمدلول :

من الضروري أن نتعرض لاشكالية التسمية التي سترافقنا من أول البحث الى آخره. فليست هناك وحدة في النطق بالكلمة.

ومع أن الشائع في الوثائق والمصادر القديمة(118) هو "مُرَّاكُش" بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة وضم الكاف، فقد أشار ياقوت ان هناك من ينطق الكاف بالكسر(119).

وقد استعمل صاحب كتاب التبيان عبارة :مَرُّوكُش" بفتح الميم وضم الراء المشددة وضم الكاف، وحسب جورج كولان انها أصل التسمية الاسبانية Marruecos أو هو تعريب لها. ويعتقد "دوفردان" (Deverdun) ان عبارة "مُرَّاكِش" بيمم مضمومة وراء مفتوحة مشددة وكاف مكسورة من صنع المتأخرين الذين حاولوا اضفاء الصبغة العربية على التسمية كابن خلكان وحاجي خليفة(120).

وبهذا تبقى التسمية الأولى -أي مَرَّاكُش- هي الأصلية والجديرة بالاعتبار.

ولا يخلو مدلول الكلمة من تناقض وأخذ ورد. فعند صاحب المعجب انها سميت باسم عبد اسود كان يستوطنها يُخيف الطريق اسمه "مراكش"(121) الا ان البعض يميل الى القول بأن الموضع الذي بنيت فيه المدينة هو الذي يحمل هذا الاسم، ومعناه بلغة المصامدة (امش مسرعا) ذلك انه كان مأوى اللصوص، وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة، فعرف الموضع بها(122).

ومن الصعب تحقيق الكلمة للاختلاف الحاصل بين لهجة المصامدة الأصلية ولهجتهم اليوم. وأقرب مدلول وجدناه للكلمة هو (أُمَرْ) بمعنى أسرع، والذي يفيد معنى (مر مسرعا) هو (أكرول)(123).

---

(118) المراسلات الموحدية، والمصادر مثل معجم البلدان 8 / ص7. ط. السعادة 1906. انظر الاعلام لعباس بن ابراهيم 1 / 60-63.
Marrakech des origines à 1912. p. 64.

(119) معجم البلدان 8 / ص 7.

(120) الاعلام 1 / 83. Marrakech des origines à 1912. p. 64.

(121) المعجب 100، ط. القاهرة 1949.

(122) وفيات الأعيان 7 / 124 ط. بيروت.

(123) اينولتان (1850-1912) احمد التوفيق ط. أولى 1978. 1 / 74.
وكرول مكان يقع جنوب شرق دمنات.

وسواء دلت الكلمة على اسم شخص أو اسم موضع، فالرابط بين المدلولين واحد وهو ان المكان كان قفرا، وقد قال عنه صاحب الحلل الموشية (وهو خلاء لا أنيس به الا الغزلان والنعام، ولا ينبت الا السدر والحنظل)(124).

ويقع ابن خلكان في تناقض اذ بعد إشارته الى ان المكان كان قفرا ومأوى للصوص يعود الى القول (وكان في موضعها قرية صغيرة، في غاية من الشجر، وبها قوم من البربر)(125).

فلا نعجب إذا وجدنا كذلك مدلولا ثالثا للكلمة عند بعض المتأخرين، فقد كانت تطلق على بئر يقع وسط البقعة التي شيدت عليها المدينة(126).

ويعتقد المؤرخ (ل. رين- L. Rinn) ان كلمة مراكش مشتقة من "اركش" بمعنى "أوركش" ومدلولها "اولاد كوش" أي أرض اولاد كوش(127). إلا انه يبقى مجرد افتراض لا تدعمه قرائن.

ويذهب أحمد توفيق الى ان اسم مراكش مركب من كلمتين :

- مر أو أمر ومعناه عند الصنهاجيين الحماية أو الموضع المتمتع بها.
- واكش أو أكوش بمعنى الله.

طرات عليها تغييرات أثبتها الباحث حتى أصبحت تنطق "مراكش" أي حمى الله أو المكان الذي ترعى فيه عهود الله(127م).

وتسمى مراكش كذلك "بالحمراء"(128)، لأنها حمراء التربة والأسوار وقد وردت هذه التسمية المستعملة بدون شك منذ تأسيس المدينة، في الكتب التاريخية (حمراء لمتونة والموحدين) و (حمراء الحوز)(129).

(124) الحلل الموشية 16. ط. الدار البيضاء.

(125) وفيات الأعيان 7 / 124.

(126) Notice sur la ville de Maroc. P. Lambert. Bull. de la socio. de géogr. de Paris 186 n° 107 p. 430.

(127) Les origines berbères, études linguistiques et ethnologiques. L. Rinn. Alger 1889 p. 332.

(127م) معنى اسم مراكش، ندوة مراكش من التأسيس الى آخر العصر الموحدي التي نظمتها كلية الآداب بمراكش 14-16 أبريل 1988.

(128) هناك مدن أخرى تسمى بالحمراء، منها في المغرب مدينة البصرة، انظر معجم البلدان 1 / 440.

(129) نزهة الحادي 253.

ومنذ تنظيم زيارة الرجال السبعة أطلق على المدينة اسم "بلدة سبعة رجال" واشتهرت به كما اشتهرت باسم البهجة (وإنما لقبت بها لكونها ذات منظر حسن تنشرح بها الصدور، ولاشتمالها على حدائق ذات بهجة بالنظر إليها يكمل السرور) وقيل بل سميت بذلك لأن البرج الذي بنيت فيه هو برج الغبطة(130).

وهذه التسميات المختلفة كثيرة الورود في التراث التاريخي والصوفي والعلمي والأدبي، مما يستلزم الاشارة اليها.

2- الموقـــع :

لقد سبق لنا ان قوة الزاوية أو الرباط تكمن في موقعه اما علي الشاطئ أو على طريق تجاري مهم، أو على جانب نهر. فهو الذي يمده بالدعم المادي اللازم للقيام بوظائفه العديدة والمتنوعة. ان اختيار الموقع المناسب كان وراء استمرار رباطات ونموها، أو تجميد أخرى واندثارها.

وان المسألة أكثر أهمية بالنسبة للمدينة التي تحوي أعدادا أكبر من الناس، وتكرس وجودها للقيام بمهام ووظائف أكثر تنوعا وتعقيدا.

ولم يكن بناء مراكش بهذا الموضع عن طريق المصادفة، وإنما بعد معاينة وتدبر. ففي البيان المغرب انه في سنة واحد وستين وأربعمائة للهجرة (ضاق المجمع بمدينة اغمات وريكة عن الخلق فيها، فشكا أشياخ وريكة وهيلانة بذلك الى الأمير ابي بكر بن عمر مرة بعد أخرى الى أن قال لهم : عينوا لنا موضعا ابني فيه مدينة إن شاء الله تعالى)(131).

وبعد المشاورة اتفق أشياخ قبائل مصمودة على مكان محايد بين القبيلتين المتنافستين في المنطقة. قال (فوقع تدبيرهم ان يكون موضع تلك المدينة بين بلاد هيلانة، وبين بلاد هزميرة، فعرفوا بذلك أميرهم)(132).

وسواء كان المكان في الأصل مفازة يقطع فيها اللصوص على القوافل(133)، أو ملكاً

---

(130) الاعلام 1 / 132.
(131) البيان المغرب 4 / 19. ط. بيروت 1980.
(132) البيان المغرب 4 / 19.
(133) معجم البلدان 8 / ص 7.

لعجوز من المصامدة(134)، أو مزرعة لنفيس(135). فالمتفق عليه أن أبا بكر بن عمر قد اشتراه بماله الذي خرج به من الصحراء(136). ويبدو ان اجتماع الكلمة حول الموضع الذي بنيت عليه المدينة جاء نتيجة تحقيقه لجملة أهداف :

1) موقع محايد لا يتبع ايًا من القبيلتين هيلانة أو هزميرة لما كان (بينهما من الفتنة ومداولة الامارة)(137) فقد حاولت كل قبيلة أول الأمر ان تحظى بشرف بناء المدينة الجديدة فوق أرضها. ولكن أشياخ المصامدة رفضوا ذلك حتى لا تثار حفيظة احدى القبيلتين. وهو ما لم يكن متوفرا لاغمات وريكة أو اغمات ايلان الموجودتين على أرض وريكة وهيلانة، أو نفيس التابعة لكيك(138).

2) الطبيعة الصحراوية للموقع، فالمرابطون القادمون من الصحراء لا يناسبهم مكان كثير الأغراس والمياه، لذلك ابتعدوا عن وادي تانسيفت وردوا على من اقترح من سكان اغمات النزول عنده (نحن من أهل الصحراء، ومواشينا معنا لا يصلح لنا السكنى على الوادي)(139).

وكان من جملة ما وصف به الأشياخ المكان المتفق عليه للأمير (قد نظرنا لك موضع صحراء لا أنيس به الا الغزلان والنعام، ولا تنبت الا السدر والحنظل)(140). فالغزلان والنعام تناسبهم، والسدر يناسب مواشيهم.

وقد لاحظ "لامرتنيير" ان الدول التي اتخذت مدينة مراكش عاصمة لها ترجع أصولها الى الصحراء، فهي شبيهة في طبيعتها ببلادهم(141) وعبر عبد الواحد المراكشي عن نفس الراي قبل ذلك بقرون، ورد اتخاذ لمتونة ومصمودة مدينة مراكش عاصمة لهم، لا لأنها خير من فاس، ولكن لقربها من جبال المصامدة وصحراء لمتونة(142).

---

(134) الاعـــلام 1 / 82.
(135) وفيات الأعيان 7 / 124.
(136) وفيات الأعيان 7 / 124، والانيس المطرب لابن أبي زرع 138.
(137) البيان المغرب 4 / 19.
(138) Le Haouz de Marrakech. P. Pascon. 1/157
(139) البيان المغرب 4 / 19.
(140) البيان المغرب 4 / 19.
(141) Souvenirs de Marrakech. p. 219-210.
(142) المعجب 358.

3) ولمراكش موقع استراتيجي مهم، يصلح لإقامة معسكر. وهو ما فكر فيه المرابطون أول الأمر. فليست من مدن الدير اذ تبعد عن السفوح بمسافة ثلاثين كيلومترا. ومنه تسهل مراقبة سكان الجبال وتأمين هجوم المصامدة (وزمام جبل درن بيد أميرها طول زمانها)(143). وتشرف على سهول الحوز لوقوعها في جانبها الشرقي، وسهولة مراقبتها الى حدود "الجبيلات".

وهي متوسطة بين المحيط والصحراء : أربعون ميلا الى البحر ومثلها الى الصحراء(144). ان موقع مراكش بهذه المميزات ليفرض نفسه على الفاتح المتجه من الجنوب الى الشمال، فبعد تجاوز جبال الأطلس لابد من إقامة قاعدة للاستعداد للمرحلة اللاحقة(145).

5) وبالاضافة الى هذا يتوفر الموقع على مميزات طبيعية مناسبة :

- فأرض مراكش (صليبة التربة كأنها غطاء من حجر على حجر)(146).
- وماؤها قريب تمكن ابن يونس من استغلاله عن طريق الخطارات(147).
- تؤمن غذاء سكانها بواسطة السهول المحيطة بها. قال ابن عذاري (فنظروا له ذلك الموضع لكي يكون واذي نفيس جنانها، وذكالة فدانها)(148).

ويمكن أن نضيف الى هذا ان سهل الحوز مرعى لماشيتها.

- واستفادت من قربها من الأطلس، إذ جر منه الموحدون السواقي لاقامة الصهاريج والحدائق، ومنه تجلب المدينة ما تحتاجه من خشب للصناعة والبناء والاستعمال اليومي.
- كما ان قربها من جبل جليز وفر لها الحجر اللازم للبناء، فأكثر مساجدها وصوامعها مبنية به. اما الحجر الصناعي (حجر المعاصر...) فيجلب من الجبيلات بالحوز.

لقد نظر أشياخ المصامدة الى هذه الأهداف واختاروا البقعة المحققة لها وذلك بما لهم من تجارب عمرانية، فهم بناة اغمات ايلان، واغمات اوريكة، ونفيس، وتمت موافقة المرابطين لما

---

(143) البيان المغرب 4 / 19.

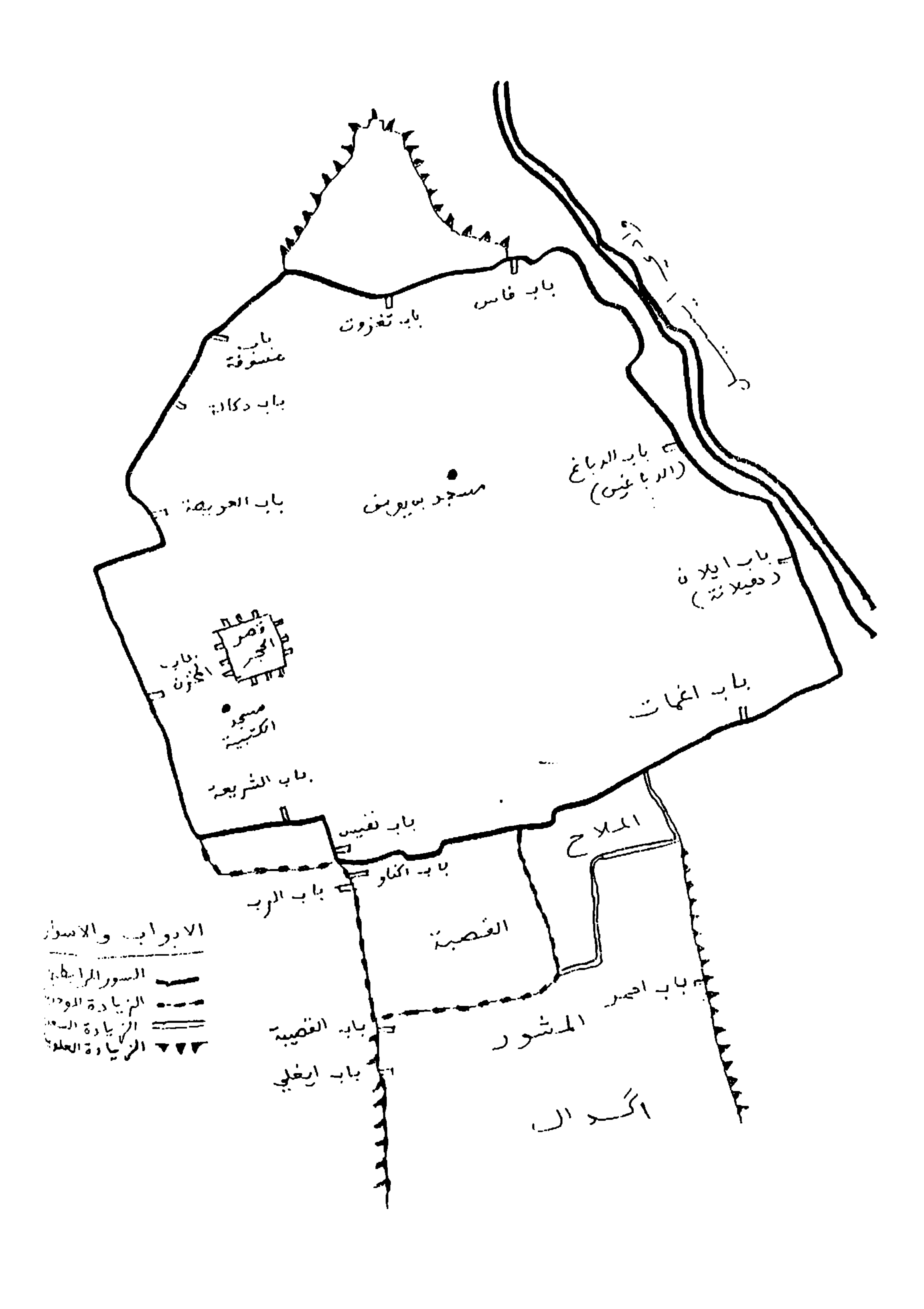
(144) قطعة من مسالك الأبصار نشرها محمد المنوني في كتاب ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين. ط. الرباط 1979، ص 300.

(145) Croissance et urbanisme de Marrakech Mandleur. RGM. N° 22; 1972. p. 33.

(146) الاعــلام 1 / 58.

(147) وصف افريقيا للادريسي 43-44.

(148) البيان المغرب 4 / 19.


باب فاس
باب تغزوت
باب مسوفة
باب دكالة
باب الدباغ
مسجد بن يوسف
باب العريصة
باب ايلان
قصر الحجر
باب المخزن
مسجد الكتبية
باب اغمات
باب الشريعة
باب نفيس
الملاح
باب اكناو
باب الرب
القصبة
باب احمر
المشور
باب القصيبة
باب ايغلي
اكدال
الابواب والاسوار
السور المرابطي
الزيادة
الزيادة
الزيادة

للبقعة المتفق عليها من شبه بالبيئة التي عاشوا فيها من قبل.

3- البناء والتعمير :

شرع في بناء مراكش بين سنتي تسع وخمسين واربعمائة واثنتين وستين وأربعمائة(149). فشيد قصر الحجر لاقامة الأمير المرابطي، وبدا الناس في تشييد منازلهم(150).

الا ان عملية البناء لم تكن عامة وشاملة لأن المرابطين كانوا يفضلون سكنى الخيام كما انهم لم يفكروا في تسوير المدينة الا مع ظهور ابن تومرت وحركة الموحدين، وشنهم الهجومات على العاصمة المرابطية(151).

- فطبيعتهم الصحراوية تميل الى الآفاق الرحبة وتنفر من البناء والتسوير.
- واكتفوا بسور الحجر (أو قصر الحجر) الذي يحفظ سلاحهم وأموالهم.
- وكانو طالبين غازين فلم يفكروا في الحاجة الى الأسوار.

الا أن تغير الأحوال دفعهم الى تسوير المدينة. ومع اختلاف الآراء في تاريخ ذلك يبدو ان الأنسب هو سنة عشرين وخمسمائة الوارد عند الزركشي وعند صاحب الحلل الموشية ذلك لان ابن تومرت بدأ في تهديد الحكم المرابطي منذ سنة ثمان عشرة وخمسمائة(152).

وان القاضي أبا الوليد بن رشد الذي استشاره علي بن يوسف توفي سنة تسع عشرة وخمسمائة. استغرق البناء ثمانية أشهر، وكان قائما خلال مواجهة المرابطين للموحدين في

---

(149) رجح (دوفردان) هذا التاريخ بالنسبة لبدء البناء، ذلك لأن المؤرخين اختلفوا في الأمر فجعلوه بين 452 و 490، وهذا الاختلاف راجع بالأساس الى اختلاف القصد : فمنهم من أشار بالتاريخ الى وضع الحجر الأساس، ومنهم من قصد انتشار البناء وظهور المدينة، ومنهم من قصد إقامة الأسوار انظر تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي ص 5، ونزهة الحادي ص 480.
Marrakech des origines à 1912. p. 59-64.

(150) عند ابن عذاري المراكشي ان أول دار بنيت بمراكش هي دار تورزجين بن الحسن، الكائنة بموضع اسدال (البيان المغرب 1 / 20). ولعله تحريف لحي "اسوال" أو "اسول" أول احياء المدينة.

(151) الحلل الموشية 97-98.

(152) الحلل الموشية 97-98.

معركة "البحيرة" سنة أربع وعشرين وخمسمائة(153).

وفتحوا أبوابا استمدت أسماءها :

– اما من الجهة التي تؤدي إليها، باب اغمات، باب هيلانة (إيلان)، باب فاس، باب مسوفة، باب دكالة، باب نفيس.

– أو لسبب خاص، باب الدباغين (المؤدي الى دار الدباغة بالمدينة)، وباب المخزن القريب من قصر الحجر، وباب الشريعة الذي تنفذ أمامه الاحكام الشرعية، وباب الصالحة المؤدي الى الحدائق المعروفة بهذا الاسم.

وفتحت أبواب أخرى فيما بعد، كباب أكناو، وباب الرب على عهد الموحدين(154)، وباب ايغلي، وباب احمر، وباب القصيبة على عهد العلويين. وفتحت أبواب أخرى خلال العقود الأخير لتسهيل حركة المواصلات بين المدينتين القديمة والحديثة.

ومن الصعب التعرف الى مراحل تعمير المدينة والانتماء القبلي لاحيائها، لأن الوثائق لا تعيننا على ذلك، إلا ان الثابت ان اشتراط بقعة محايدة –عند اختيار أرض مراكش– لا تدخل في نطاق نفوذ القبيلتين المتنافستين في المنطقة (هيلانة وهزميرة) يرمز الى تهييء المدينة ليتعايش فيها الجميع، من صنهاجة ومصمودة، بفصائلها القريبة من المكان والبعيدة عنه. بعدما كانت العلاقات التي تربطها علاقات تنافس وصراع(155).

---

(153) انظر اجتهاد دوفردان (Deverdun) في الموضوع :

Marrakech des origines à 1912. p. 109.

عرفت سنتا 519 و 520 هـ بناء وترميم أسوار بعض المدن الأندلسية هي قرطبة، غرناطة، اشبيلية. ربما لنفس السبب (البيان المغرب 4 / 73) وتهيّب عليّ من المشروع لذلك طلب استشارة ابن رشد ودعاء الشيخ أبي عبد الله أمغار برباط تيط (بهجة الناظرين 22).

(154) انظر ذكر باب الرب في تاريخ المن بالامامة 174.

Les portes anciennes de Marrakech. C. Allain. et G. Deverdun. Hespéris. 1957 1er, 2e tri. p. 85-126.

(155) كان المصامدة يعيشون على أحسن الأراضي بالبلاد.

– مصامدة الشمال (غمارة) بين البحر الأبيض ونهر سبو.

– مصامدة الوسط (بوغواطة) بمنطقة تامسنا بين نهري سبو وأم الربيع.

– مصامدة الجنوب الذين كانوا منتشرين في سهول شاسعة بين أم الربيع والأطلس الصغير، وموزعين الى قبائل : دكالة الحمراء (عبدة، واحمر)، ودكالة البيضاء (بين أم الربيع وتانسيفت) وقبائل نفيس وهزميرة وهيلانة (الحوز) وفي الدير وجبال الأطلس الكبير. قبائل هنتاتة، ومسفيوة، ووريكة، وجد ميوة وسكتانة.

– وعلى سيف البحر بين تانسيفت ووادي سوس، قبائل رجراجة وحاحا.

– وعلى جانبي وادي سوس الى الأطلس الصغير، هرغة وكنفيسة وهشتوكة وكان الصنهاجيون يعيشون –في أغلبهم– في أقصى الصحراء ويتشوفون الى تلك المناطق الخصبة الشاسعة.

الا ان هناك عوامل ساعدت على مواصلة عملية التعمير بعد فترة ركود طويلة منها :

- تجارب المصامدة وخبرتهم في البناء (مدن اغمات، نفيس...) ووفرة المواد في المنطقة.
- تحول الصنهاجيين من سكنى الخيمة الى سكنى الدور بعد تفتحهم على الحضارة الأندلسية أثناء جوازاتهم الى العدوة(156).
- أصبحت مراكش العاصمة المرابطية، مركزا تجاريا -بدل اغمات- تربط تجارة الجنوب بتجارة الشمال : من السودان/اوداغشت/وسوس. فمراكش/ثم فاس/والأندلس. وتجارة الشرق والغرب : من طرابلس/وافريقية/والمغرب الأوسط/عبر سجلماسة الى مراكش فرباطا كوز وماسة حيث تصدر البضائع عن طريق البحر. فأدى ذلك الى تعمير سكان اغمات (وكانوا تجارا وأصحاب أموال) للمدينة التجارية الجديدة(157).

ويبدو ان الأمور سارت في مراكش حسب المعتاد في بناء المدينة الاسلامية من تأسيس المسجد أولا، ثم دار الأمير، فالاسواق، وحولها الدور السكنية.

فبعد قصر الحجر ومسجد يوسف بن تاشفين، سيد على عهد علي بن يوسف مسجد آخر وبجانبه الأسواق، وحولهما الاحياء السكنية، وهي "اسول". وكانت به لمتونة "وحارة الصورة" (وقيل "الصورة" هو اسم بنت يوسف)، وكانت تسكن هذا الحي أسرة الأمير واصهاره(158).

"وزاوية الحضر" و "ازبزط" و "اسبتيين". وفيه نزل بعض النازحين من سبتة الى العاصمة و "الموقف" وبه سوق العمل وهو حي خاص بالطبقات الفقيرة العاملة. وحي "باب الدباغ" سكنه الاغماتيون الذين نقلوا خبرتهم في صناعة الجلود ودبغها الى مراكش(159).

وراعى علي بن يوسف عند تسويره للمدينة ان يكون المسجد في وسطها مع ترك مساحات واسعة تستجيب للتطور المحتمل للمدينة، فكانت الأبواب الأكثر قربا من المنازل السكنية والأكثر نشاطا هي : باب فاس، وباب الدباغ، وباب اغمات (الجانب الشرقي من المدينة، حيث دفن علماء وأولياء ورجالات المدينة خلال العصرين المرابطي والموحدي).

(156) Marrakech des origines à 1912 p. 78-79.

(157) انظر حول بعض هذه المراكز المسالك والممالك 86-153-154-161. وكتاب (المرابطون، تاريخهم السياسي) لشعيرة 15-23، ط. القاهرة 1969.

(158) Marrakech des origines à 1912 p. 143.

(159) اشتهرت اغمات بجودة جلودها واتقان أهلها لهذه الصناعة، انظر .
Marrakech des origines à 1912 p. 134-135.

وكانت لهجومات ابن تومرت وأصحابه على المدينة اثر كبر في تطورها إذ شعر سكانها لأول مرة بضرورة التكتل والتجمع، وتنظيم وسائل الدفاع عن أنفسهم وأموالهم. وهو الشعور الذي تجسد أكثر خلال الشهور الطويلة التي حاصر فيها عبد المومن المدينة. فإلى هذه الفترة يعود التنظيم السكني الخاص بالمدينة : أي تكونها من مجموعة من الوحدات، والوحدة هي الحومة، بما تحمله من إيحاء بالدفاع عن الأهل والموت من أجلهم.

وتشتمل على دروب ومرافق عمومية من مسجد وفرن ومطحنة وحمام وسقايات يحميها سور داخلي -في الغالب- ينتهي الى باب، فوقه غرفة يتعلم فيها الصبيان مبادئ القراءة والكتابة نهارا، وتأوي حراس الحي ليلا.
وسيصبح لكل حومة ولي خاص يحميها، ويلتمس منه سكانها المدد والعون(160).

وقد استرعى هذا الواقع انتباه زوار المدينة الأجانب من رحالة وغيرهم فلاحظ الكثيرون انها كانت عبارة عن قرى صغيرة متلاصقة تجتمع حول سوق تزوره قبائل من برابرة الجبال وسكان الصحراء(161).

وكان دخول الموحدين الى مراكش حدثا بارزا، ستكون له مضاعفات قبلية واجتماعية. فانتصار الموحدين هو انتصار المصامدة أصحاب الأرض، فكيفما كان إخلاصهم وولاؤهم للصنهاجيين لم يترددوا في مناصرة ابن تومرت المصمودي، خاصة وان فقهاء المرابطين اشتهروا خلال حكم علي بالتعصب ورعاية مصالحهم الخاصة. وحقد سكان القبائل المجاورة على المدينة وسكانها لما كانوا يقومون به من إبادة لغاباتهم ومشاركتهم في المياه التي كانوا ينعمون بها وحدهم، ولعل هذا ما يفسر شراسة الحرب التي دارت حول المدينة وبداخلها أثناء الحصار وبعده. فالمسألة لم تقف عند حد انتصار دولة على أخرى، وإنما دخلتها اعتبارات قبلية واقتصادية واجتماعية متشابكة(162).

وتحدث البيذق عن اسكان الخليفة للقبائل الموحدية بمراكش دون تعيين الاحياء التي نزلت بها كل قبيلة : (وحينئذ دخل الخليفة رضي الله عنه البد وقسم ازقتها بالمروس للموحدين)(163).

---

(160) ما زالت أغلب احياء المدينة القديمة محافظة على هذه الهندسة الى اليوم.
(161) انظر ملاحظة ديبوا (Despois) في : Croissance et Urbanisme de Marrakech. Mandleur : R.G.M. n° 1972.
(162) Le Haouz de Marrakech 1/75.
(163) اخبار المهدي بن تومرت 66.

وقد استقطبت العاصمة الجديدة اهتمام القبائل فتوجهت اليها للزيارة أو الاقامة واتسع بذلك عمرانها ونشطت أسواقها. وبعد نجاة عبد المومن من المؤامرة التي دبرها له بعض قرابة ابن تومرت(164)، استدعى أهل كومية فاقبلوا عليه في اعداد هائلة وقربهم منه واسكن من بقي منهم في مراكش حوالي سنة سبع وخمسين وخمسمائة(165).

واستمر هذا التوسع على عهد يوسف بن عبد المومن فقد تسابقت القبائل الى الاقامة بالمدينة، وبعضها كان يستدعى لذلك من طرف الخليفة، كما هو حال بعض الهسكوريين والصنهاجيين الذين استقدموا الى مراكش وشيد لهم حي "سيدي ميمون" سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

ومع ان الموحدين بنوا مسجدا جامعا ضخما، هو مسجد الكتبية، فإنهم لم يفلحوا في تحويله الى مركز جديد لمدينة موحدية بالرغم من وجود بعض المتاجر والفنادق حوله (كان أبو العباس السبتي يسكن في فندق مقبل في نفس المكان).

لقد ظل مسجد ابن يوسف مركزا للمدينة، والأسواق والاحياء حوله قلبها النابض بل ان الموحدين قاموا بتوسيع هذه الأسواق لتلائم التطور الاقتصادي والحضاري الذي عرفته عاصمة الامبراطورية. وشيدوا بجانب السوق حيا خاصا بكبار العلماء والشخصيات الوافدة على المدينة، هو حي "قاعة بناهض"(166).

وتبقى القصبة أهم إضافة موحدية الى المدينة، فقد بني المنصور الموحدي القصر والمسجد والسوق، ودعا بطانته والمقربين إليه للنزول بها، إلا أنها مع ذلك لم تنافس المدينة المرابطية منافسة كبيرة، إذ لم تتخذ صورتها الحالية الا مع اصلاحات السعديين(167).

وسكن العنصر العربي المدينة في هذا العصر كذلك، بعد دخول بعض القبائل العربية الى المغرب لمساندة الدولة : منهم عرب الخلط الذين أدخلهم الرشيد الموحدي حوالي سنة أربع وثلاثين وستمائة، وبنو جشم على عهد السعيد، حوالي سنة أربعين وستمائة(168) واختلطوا

(164) تحدث صاحب المعجب عن القصة بتفصيل 233-235، وعن افتداء اسماعيل بن يحي الهزرجي للخليفة بروحه عندما قبل النوم على فراشه.

(165) وصف ابن أبي زرع اقبال أهل كومية في أربعين ألف فارس على عبد المومن والاحتفالات العظيمة التي أقيمت بالمناسبة (الأنيس المطرب 202-210، والاستقصا 2-109).

(166) ولد بهذا الحي العالم والصوفي الكبير احمد بن البناء العددي المراكشي سنة 654 هـ (جذوة الاقتباس 1 / 148-152. والسعادة الأبدية 1 / 73).

(167) البيان المغرب 1 / 90، والاعلام 1 / 83.

(168) البيان المغرب 4 / 397-398، و 309-310.

بالسكان ولم يعين لهم حي خاص(169).

أدى انتقال العاصمة الى فاس الى مغادرة كثير من الأسر المساندة للدولة الجديدة المدينة، كما ان الأضواء أصبحت مسلطة على العاصمة الجديدة فاس، فلم تشيد بمراكش أحياء جديدة وإنما تناقص عدد سكانها خاصة بعد طاعون سنة عشرة وستمائة وأربع وعشرين وستمائة، وثلاثين وستمائة(170). وآل الأمر فيها الى أمراء هنتاتة المصامدة الذين دفعوا عنها بمساعدة السكان وعلى رأسهم العالم الصوفي أبي محمد عبد الله العزواني (مول القصور) حملة برتغالية(172).

وبسبب هذه الاحداث نقص سكان المدينة الى حوالي الثلث، مما كان يعيش فيها من قبل(173)، تحصنوا داخل أسوار المدينة وأسوار الحومات. فزادت القطيعة بين المدينة والمجال الخارجي، بل أحيانا بين الوحدة والأخرى.

فامّنت الحومات كل ضرورياتها ببناء المساجد الصغرى وإقامة المنشآت الاجتماعية والاقتصادية الضرورية داخل الحومة، حتى لا تضطر الى مغادرتها أثناء الاضطرابات ولا تحتاج الى غيرها في حالة تعرض المدينة للحصار(174)، وحتى الولي حامي الوحدة غالبا ما يوجد ضريحه داخلها.

ومع مجئ السعديين الى الحكم تعود الأهمية الى مراكش (العاصمة) فبذلت جهود كبيرة في تعميرها، وتم توسيعها من الشمال والغرب والجنوب، وشيدت احياء :

- سيدي بنسليمان، أسس حول مسجد مريني صغير هو مسجد "روض الجنة" وبجانبه حي

(169) قامت بعض القبائل العربية بهجومات على المدينة خلال فترة ضعف الدولة الموحدية فنهبوا أسواقها وزرعوا الرعب بين سكانها (عرب سفيان سنة 629 هـ، وعرب بني هلال سنة 632 هـ) انظر الاستقصا 2 / 175-214-215

(170) الاستقصا 2 / 262-264. Marrakech... 210

(171) يرجع أصلهم الى أبي حفص عمر الهنتاني أحد رجال ابن تومرت.

Les emirs des hintata rois de Marrakech. P. de cenival.

Hesperis 1937 T. XXIV 4e tri. p.245-258.

(172) كانوا محتلين لأزمور وآسفي ونظموا حملتهم على مراكش سنة 920هـ-1514م وبداية سنة 921هـ-1515م بقيادة حاكمي المدينتين : D.Pedro de sousa Numo Fernandez d'Astaïde, فحاصروا المدينة من الشمال محاولين الدخول من باب تغزوت، إلا ان حملتهم باءت بالفشل فتراجعوا الى آسفي، انظر :

- Les 7 patrons de Marrakech. H. de castries, Hesperis 1924 3è tri. 245-304.

(173) Marrakech ... 344.

(174) Marrakech ... 345.

الولي أبي عمرو القسطلي المراكشي وزاويته وضريحه(175).

- حي باب دكالة، بنت به مسعودة الوزگيتية والدة المنصور السعدي مسجدا وسقاية. وقد وكلت اليه مهمة الاحياء/الابواب، أي تهيئ الداخل الجديد الى المدينة بأن يقدم له ما يحتاجه من إقامة، واكل، ولوازم... فكان بمثابة الاحياء الهامشية التي ينزل بها سكان البادية، وخاصة الدروب والأزقة القريبة من الباب. ولعل من آثار هذه المهمة التسمية التي ما زالت تحتفظ بها الدروب : درب زمران، درب الزموري، زريبة العرب، زريبة حاحا، زريبة سوس، زريبة الشياظمة.

- حي المواسين وحي القصور، سيدت بهما رياضات وقصور الأغنياء ورجال الدولة وبنى عبد الله السعدي بالمواسين مسجد الأشراف الذي سيصبح مركزا مهما للتدريس والعلم ينافس مسجد ابن يوسف.

- وأعاد المنصور السعدي تجديد قصور القصبة واحيائها، وبنى الى جانبها قصره "البديع"(176).

ويبدو ان المدينة قد أخذت صورتها الحالية واستكملت المزيج البشري الذي يتساكن فيها منذ هذا العصر : فبالاضافة الى الشعوب البربرية الثلاثة المذكورة (صنهاجة، مصمودة، زناتة)، والعناصر العربية الواردة على المدينة في آخر العصر الموحدي، دخلت عناصر بشرية أخرى الى المدينة.

- **الأندلسيّون** : خصص لهم حوالي سنة سبعين وتسعمائة حيان هما "روض الزيتون القديم" و "روض الزيتون الجديد" (بنوا بهما القصور والدور واغترسوا خلف الأسوار جنات معروشات وغير معروشات في ساحات شاسعة)(177).

والتحق بهم كثير من أندلسي الرباط وسلا هروبا من مضايقات العياشي وأصحابه الذين كانوا يتهمونهم بمَدِّ يَد العون الى الاسبان(178).

---

(175) Marrakech ... 324.

(176) العمران وفن البناء في العصر السعدي، د. ابراهيم حركات. الثقافة المغربية عدد 6.ص 86-87.

(177) اغلبهم من (Orgiba و Tavernas) انظر مناهل الصفا ص 42، ط. الرباط، وملامح من تطور المغرب العربي.. دعوة الحق أكتوبر 1977 ص 70.

(178) نزهة الحادي 270.

- **عنصر المماليك** : استجلبهم المنصور السعدي من السودان وأضاف الى الجيش المغربي فرقة منهم. ولعل الكثيرين منهم كانوا ينزلون بالقصبة بالقرب من قصر البديع حيث احياء العبيد والتوارگ. وتكاثر عددهم فيما بعد وامتزجوا بالسكان.

- **اليهود** : تم تجميعهم في هذا العصر في حي واحد هو "حي الملاح". فبعدما كانوا يمنعون من المبيت في المدينة ويضطرون الى مغادرتها كل ليلة من باب ايلان خلال العصر المرابطي(179)، سمح لهم فيما بعد بالسكن الى جانب المسلمين. وكانوا "بأسول، والمواسين"، قبل أن يعين لهم عبد الله السعدي مكانا يشيدون به حيا خاصا(180).

- **المسيحيون** : جرفت المدينة عناصر مسيحية كذلك، فمنذ عصر يوسف بن تاشفين والجيش المغربي يتوفر على فرقة مسيحية تضاعف عددها مع ابنه علي، وكانوا يقيمون قرب قصبة المرابطين. الا ان الوجود المسيحي بمراكش سيعرف أوجه وازدهاره في آخر العصر الموحدي بعدما سمح لهم بإقامة شعائرهم بالقصبة وإقامة الكنيسة على مقربة من المسجد المنصوري، وستقل أهميتهم بعد ذلك(181).

وآخر الزيادات التي عرفتها المدينة القديمة كانت خلال العصر العلوي : ففي اقصى الشمال شيدت احياء : "قاع المشرع" و "الزاوية العباسية" (نسبة الى أبي العباس السبتي) و "سيدي غانم" خارج باب تاغزوت، ثم ادير حولها السور ليصبح هذا الباب داخليا، ويأخذ السور شكله الحالي.

وفي الجنوب أعاد محمد بن عبد الله بناء قصر القصبة، وخطط ساحاتها وجدد احياءها واسكن بها القبائل(182). وشيد للخدم العبيد حي باب احمر.

وفي هذه الفترة كذلك أقيمت كثير من المنتزهات والعراصي داخل الأسوار(183)، فاتخذت المدينة شكلها الحالي اليوم.

---

(179) قيام دولة المرابطين، حسن احمد محمود 419 ط. القاهرة 1957.

Marrakech ... 139.

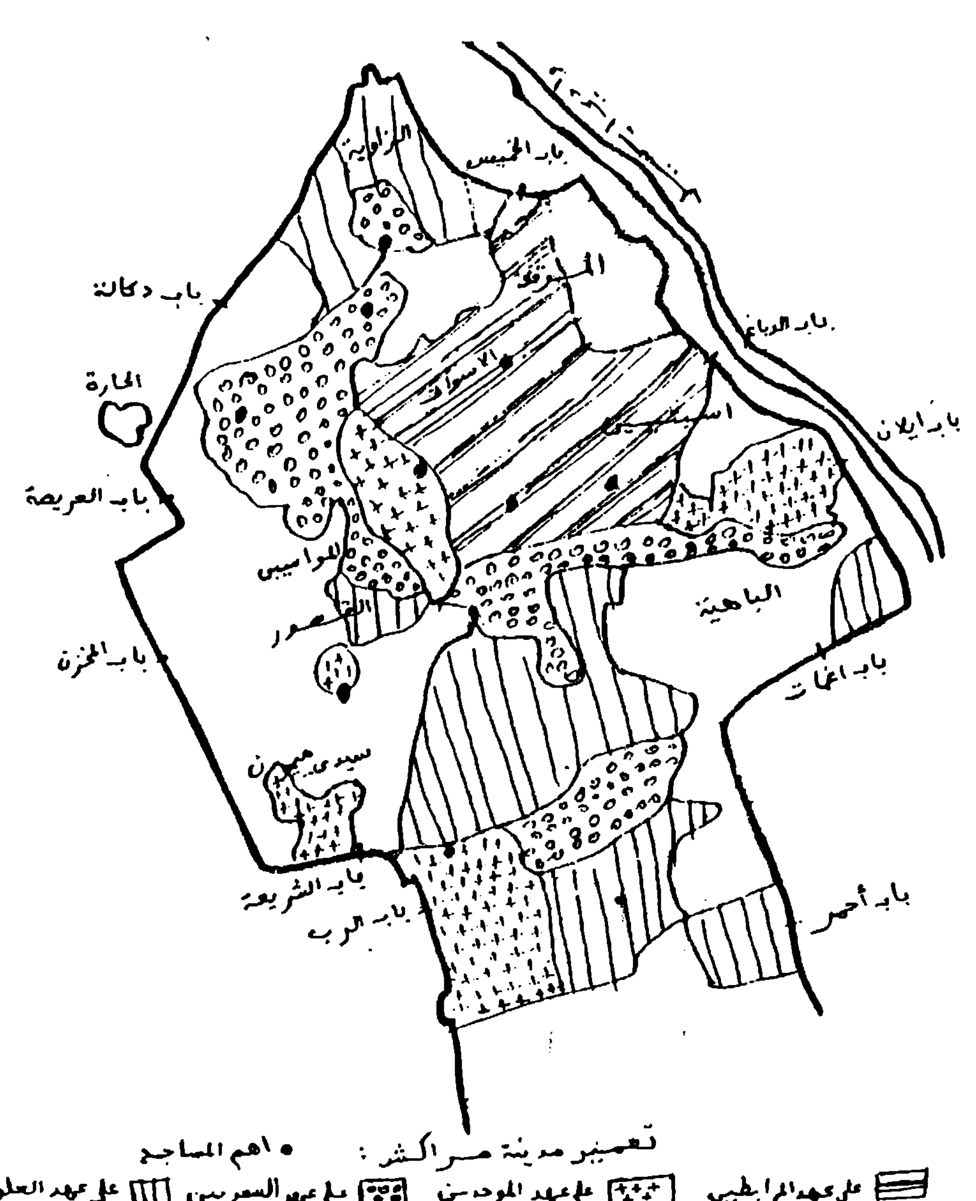
(180) يقع الى جانب القصبة وحي بريما، اشرف على البناء ونقل اليهود وتوطينهم به الحزان مردوشي بن العطار حوالي سنة 970 هـ.

Marrakech ... 360-363-364.

(181) L'Eglise Chrétienne de Marrakech au XIIIe Siècle

P. de Cenival. Hesperis T. VII 1927 1er tri. 69-84.

(182) Marrakech ... 471.



الزاوية
باب الخميس
باب دكالة
المسوق
الأسواق
باب الدباغ
الحارة
باب ايلان
باب العريصة
المواسين
القصور
الباهية
باب المخزن
باب اغمات
سيدي ميمون
باب الشريعة
باب الرب
باب أحمر
تعمير مدينة مراكش :
• اهم المساجد
على عهد المرابطين
على عهد الموحدين
على عهد السعديين
على عهد العلويين

4- الوظائف :

لا يمكن لمجتمعات سكنية كبيرة كالتي وجدت في مراكش ان تسير سيرا طبيعيا ما لم يقم أفرادها بوظائف تضمن لهم الاستقرار والأمن، وتحقق التوازن بين الفئات المتعايشة.

ولعل أهم هذه الوظائف : الوظيفة السياسية والقضائية، لذلك كان من شروط المدينة وجود قصر السلطان وتحقيق العدالة. والحوا على هذه الوظيفة الى درجة تعريفهم للمدينة بقولهم (عمران يبنى في أرض حصينة يدير أمرها ديان يمثل العدالة والسلطان) فاشترطوا العدل والسلطان كشرط أساسي لوجود المدينة بل واستقوا لفظ المدينة من "دَيّنَ" وهو السلطان والحكم والعدل، والديّان وهو القاضي والحاكم. وذهبوا الى القول بأن المدينة كلمة آرامية تطلق على المكان الذي يسوده العدل(184).

وهناك علاقة وثيقة بين حالة السلطان في المدينة وأحوال السكان : فقوته تؤدي الى الاستقرار والرخاء، وضعفه يؤدي الى العكس أي الهجرة من المدينة وعموم الكساد والاضطراب. فالحالة الأولى عرفتها مراكش خلال حكم الدول القوية من المرابطين الى العلويين. في حين عرفت الحالة الثانية خلال المراحل الانتقالية من دولة الى أخرى : من المرابطية الى الموحدية وحصار مراكش، ومن الموحدية الى المرينية وتدخل بعض القبائل العربية، وأثناء حكم أمراء هنتاتة وحصار البرتغاليين.

ومن الدولة السعدية الى العلوية وصراع أبناء المنصور حول الحكم بين سلطاني فاس ومراكش، وتدخل أرباب الزوايا كابن أبي محلي، وأبي دميعة، وعرب الشبانات.

وترتبط الوظيفة القضائية بالوظيفة السياسية إذ مع قوة الدولة لا يمكن تنفيذ العدل بدون أجهزة قضائية وشرطية خاصة في وسط سكني هائل. فالقاضي والمحتسب وأعوانه وصاحب الشرطة. هيئة تدعم عمل السلطان وتنفذ أوامره داخل المدينة لتضمن التوازن وتطبق العدل بين السكان حتى لا تبغي فئة على أخرى.

وفي المدينة الاسلامية تعتبر الوظيفة الدينية أساسية ينهض بها العلماء ورجال الدين بتوجيه ورعاية السلطان أو ولاته ونوابه. ومن هنا كان المسجد أول ما يبنى في المدينة، ونقطة

---

(183) اعيد غرس حدائق أكدال والمنارة وبناء منتزهها وعراصي مولاي عبد السلام وابن ادريس، ومولاي موسى، والمامونية، والسملالية، وجنان العافية، وشيد احمد بن موسى قصر الباهية وحدائقه.

(184) المدينة في الاسلام، طه الولي : الفكر العربي عدد 29، أكتوبر 1982 ص 11 وما بعدها ولسان العرب 13 / 166 طؤ بيروت.

ارتكاز في هندستها -فحوله تشيدُ الأسواق والدور- ليلتقي فيه المسلمون للصلاة والتعلم والتقاضي والتشاور في أمور الجماعة الاسلامية. ومن هنا كان حرص الدول المتعاقبة على الحكم على الاكثار من المساجد والجوامع(185) وساعد نظام الأوقاف علي المحافظة عليها وصيانتها وتسييرها(186).

ولا يمكن اغفال دور الزوايا في الوظيفة الدينية بالمدينة بما تقدمه لروادها من طمأنينة روحية عن طريق الورد والذكر، ومساعدات اجتماعية واقتصادية تساهم في نشر الأمن والاستقرار بالمدينة.

وللوظيفة الاقتصادية أهمية قصوى في المدينة لارتباطها بسد الحاجيات المادية للسكان وضمان الأمن والاستقرار بينهم. ومن هنا كان لاختيار موقع المدينة أثر في نموها واتساع عمرانها :

- فوقوعها في منطقة فلاحية خصبة يضمن لها الغذاء الوفير والرخاء (نفيس جنانها ودكالة فدانها).

- بناؤها بالقرب من اغمات جعلها تأخذ مركزها التجاري كنقطة التقاء لشبكة واسعة من المسالك التجارية المتجهة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، والمتصلة بأقصى افريقية، وأعماق الصحراء، والأندلس وأوربا.

وتزداد الأهمية التجارية للمدينة بأهميتها السياسية فقد كانت عاصمة امبراطوريات المرابطين والموحدين والسعديين، فكان تصلها البضائع من جميع جهات العالم، فمكنها ذلك من التعرف الى حضارات الشعوب وتقاليدها عن طريق التجار والرحالة والمهاجرين منها وإليها.

ولابد من توفر أجهزة ومؤسسات لاستيعاب هذا النشاط التجاري :

- **الأسواق الخارجية** : تقع خارج أسوار المدينة لأهمية منتجاتها وضيق المدينة بها. وكانت خارج باب دكالة الى عهد السعديين حيث تم نقلها الى خارج باب الخميس.

---

(185) بلغت مساجد المدينة 136، منها 23 جامعا تنتصب فيها 42 صومعة (داخل الأسوار) انظر احصاء صاحب الاعلام 1 / 94-98. مع لائحة بأسماء هذه المساجد. وهذه الأرقام أصبحت متجاوزة الآن.

(186) لأغلب مساجد مراكش أوقاف مهمة مكونة من حوانيت تجارية في السوق ومن أرض وعرصات وأفرنة ومعاصر ودور، انظر حوالات أوقاف الزاوية العباسية بمراكش ع. ع. ر. ميكرو فيلم 118 / 119. وحوالات أوقاف الجزولي ميكرو فيلم 125 وبها لوائح لأسماء المساجد التي لها أحباس بمراكش وتعيين التحبيسات.

- **الأسواق الداخلية** : أقيمت وسط المدينة حول مسجد ابن يوسف، وتم توسيعها والزيادة في مرافقها عبر العصور، وباتساع الحركة التجارية ونموها وخاصة في العصر السعدي. وقد شيدت على غرار الأسواق في المدينة الاسلامية، أي اشتمالها على وحدات تجارية وصناعية متكاملة. تحيط بها ثلاثة مساجد كبرى : ابن يوسف، مسجد الأشراف، ومسجد سيدي اسحاق. وبداخلها ثمانية مساجد صغرى. وهذا بالاضافة الى الزوايا والأضرحة مما يؤكد الالتزام الديني للصناع والتجار. بل يكاد يكون لكل حرفة وليها. ومن الأولياء من كان صانعا أو تاجرا.

- **الفنادق** : كانت لها أدوار متعددة في سير التجارة بالمدينة،
فهي أسواق نشيطة للتجارة وعرض السلع الداخلة الى المدينة من الأسواق الخارجية والسلع المحلية المعروضة للتصدير.
وفيها مخازن لخزن السلع والبضائع، ومرافق لإيواء التجار الغرباء.
ومنها ما كان مخصصا لعمل الصناع التقليديين وسكناهم (الفنيدقات)(187).

وستكون لبعض صوفية المدينة تحركات داخل هذه الأسواق والنادق لمدّ يد المساعدة لروادها من تجار وصناع غرباء.

لقد مرت المدينة بفترات محن وكوارث طبيعية واضطرابات سياسية تعطلت فيها هذا الوظائف كلا أو بعضا، فاختل التوازن. وتأثرت من جرائه الحياة العامة فلم يكن لدى الانسان البسيط من ملجإ الا الولي الذي سيتمكن -بسلطته الروحية- من احداث التوازن المطلوب وسط المجتمع، أو على الأقل التخفيف من عبء المصاب والحفاظ على كيان المدينة في انتظار زوال المحنة أو حدوث الاستقرار وعودة الأمور الى مجراها الطبيعي.

5- عوامل ومؤثرات :

هنالك عوامل ومؤثرات داخلية وخارجية وجهت التيارات والمذاهب الصوفية التي عرفتها مراكش وأثرت فيها :

أ- الداخليـــة :

1) قرب مراكش من مراكز صوفية كبيرة مثل رباط نفيس، ورباط شاكر، ورباط

(187) أهم فنادق المدينة وأكبرها توجد حول السوق أي في حومات سيدي عبد العزيز، وروض العروس، وزاوية الحضر، وأسول، وامصفح، والملاح.
Les Foundouks de la Médina de Marrakech soci. géogr. du Maroc Rabat 1973.

اغمات مما جعلها على صلة وثيقة بصوفيتهم منذ تأسيسها. ومع نمو المدينة أصبحت الأنظار متجهة إليها وأخذت بالتدريج مكانة اغمات.

ولا يخفى الدور الصوفي لاغمات وريكة، فلقد تلقت تصوف افريقية على يد بعض الصوفية النازحين اليها من القيروان وتونس، وكانت تعقد بها مجالس للعلم وتجمعات للصوفية، وينعكس ذلك كله على مراكش التي تلقت بعض هؤلاء احياء، ودفنوا بها أمواتا(188).

وتعد الطريقة الاغماتية أهم ما ظهر بهذه المدينة على يد محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الهزميري (المتوفى سنة ثمان وسبعين وستمائة) وأخيه أبي زيد عبد الرحمن (المتوفى سنة ست وسبعمائة)، وهي مزيج مما في كتب الغزالي، ورانية الشريشي، ومذهب الملامتية(189).

ومن مظاهر التكامُل بين اغمات ومراكش ان كثيرا من أتباع الطريقة الاغماتية كانوا بمراكش كأبي عبد الله محمد بن تيجلات، وأبي العباس احمد بن البناء المراكشي، ومحمد بن احمد بن شاطر الجمحي المراكشي(190).

وبهذا هيّأت اغمات بتجربتها الصوفية مدينة مراكش لتتلقى الطريقة الجزولية التي ستعرف انطلاقتها خلال العصر الوطاسي(191).

2) انتقاد التيار الذي يمثله بعض أمراء الدولة المرابطية وفقهائها وخاصة في آخر حكم علي. فقد كانوا على قدر من الغنى مكنهم من أن يحيوا حياة الدعة والمجون. وشاع شرب الخمر وانتشر : (واستولت النساء على الأحوال، وأسندت إليهن الأمور... وأمير المسلمين في ذلك كله يتزيد تغافله، ويقوى ضعفه... وعكف على العبادة والتبتل، فكان يقوم الليل ويصوم النهار... واهمل أمور الرعية غاية الاهمال)(192). أخذ هذا الانتقاد منحيين :

- **منحى سياسي** : فقد استغله المهدي بن تومرت للتشنيع بالمرابطين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل المدينة وخارجها، وفي نفس الوقت نشر مبادئ الدعوة الجديدة التي يهيئها.

---

(188) انظر التشوف ص 260.

(189) التيار الصوفي والمجتمع 183.

(190) ورقات عن الحضارة المغربية لمحمد المنوني 239.

(191) Marrakech ... 333.

(192) المعجب 177.

- منحى اخلاقي : دعوة الى الوهد وعدم الانغماس في الملذات والمحرمات تزعمها أبو بكر بن العربي(193) وغيره من العلماء، وخاصة أنصار الغزالي(194).

3) إذا كان المغرب -ومنذ انتشار الاسلام به- قد عرف المذاهب والعقائد التي وجدت بالمشرق من خوارج وشيعة.... فان حركة ابن تومرت بمنحاها الفكري العقلي قد عمقت معارف المغاربة في هذا المجال، وسمحت لهم بدراسة الفلسفة وعلم الكلام، خلافا لما كان عليه الأمر في العصر المرابطي. فنتج عن هذا تعرف أوسع الى مؤلفات الغزالي وآرائه والى المعتزلة واخوان الصفا. وحرية أكبر في مناقشتها وتدارسها. وكان التصوف من العلوم التي حظيت بعناية مماثلة.

واستفادت مراكش من هذا كله لأن أغلب هذه المناقشات والدراسات كانت تجري بمساجدها. فلا نعجب إذن إذا وجدنا اعلاما من الصوفية يتميزون في هذا العصر ويكفي تتبع تراجم التشوف للوقوف على ذلك.

ولعل هذه الظاهرة شبيهة الى حد ما بما وقع في الشرق إذ ان الحركة الفكرية والعلمية التي ظهرت به ابتداء من آخر القرن الثاني الهجري، والتي تمثلت في نشاط الدراسات الكلامية وترجمة الفلسفات الأجنبية كان لها اثر واضح في التحول من الزهد ذي الاتجاه العملي الى التصوف النظري الفلسفي.

والى هذا يشير بعض الباحثين الأجانب في دراسته للفرق الاسلامية بالمغرب عندما قال : "وكنا نستغرب لو لم يظهر التصوف في المغرب، ذلك ان كل الحركات التي ظهرت في المشرق كان لها صدى في المغرب، مذاهب الخوارج والشيعة. والنزعة العقلية التي اتجه إليها الموحدون"(195).

4) ومع استفادة التصوف من حرية الرأي والتعبير والاتجاه العقلي الفكري للمذهب الموحدي، فإن الجانب الآخر من هذا المذهب لم يصادف استحسان العلماء والصوفية، وهو المتصل بالمهدوية والتشيع والعصمة(196). كما أنهم لم يلقوا العناية المتوقعة من طرف عبد المومن الذي لم يكن يومن الا بولي واحد هو المهدى ابن تومرت. هذه العناية التي ستظهر مع

---

(193) Le soufisme en Occident Musulman au XIIè siècle.
A. Bel 145-147. Ann. de l'Institut d'Etudes Orient. 1934-1935.
والفرق الاسلامية لا لفريد بيل ترجمة عبد الرحمن بدوي ص 378.
(194) Esquisse d'histoire religieuse 36.
(195) الفرق الاسلامية 379.

ابنه يوسف، وتبلغ أوجها مع يعقوب المنصور(197) في الرجوع الى الكتاب والسنة، وطرح مبالغات المهدي. وآنذاك يكون التفكير في التخلي عن المذهب الموحدي عاملا من عوامل ازدهار التصوف بمراكش والعودة الى المذهب المالكي(198).

وان كنا لا نغفل ملاحظة لها أهميتها وهي التي ترد عناية المنصور بالصوفية الى عامل نفسي : شعوره بالذنب بعد فتكه ببعض أفراد أسرته الخارجين عليه(199).

5) والملاحظ أن الصوفية يكونون أكثر حيوية وحماسا ونشاطا وانتشارا خلال فترات ضعف السلطة المركزية، وتدمر الطبقات الشعبية، فيحاولون التدخل لاعادة التوازن السياسي والاجتماعي والاطمئنان الروحي إنْ بالاستيلاء علي السلطة أو مساعدة جهة أخرى على القيام بذلك(200).

ويمكن أن نمثل لهذا بما حدث في آخر الدولة الموحدية مما أدى ببني مرين الى المبالغة في الاهتمام بالشرفاء والأولياء(201). وبما حدث في آخر هذه الدولة نفسها بعد ضياع الأندلس ونزول النصارى بالثغور وانتشار الفوضى والخوف، فقد كان للصوفي عبد الله بن المبارك دور كبير في مساعدة السعديين على أخذ السلطة(202). واستعان أحمد الأعرج بكل من عبد الكريم الفلاح، وعبد الله الغزواني من صوفية مراكش. كما انه لا يخفى ما كان لنقل ثابوت الجزولي من افوغال الى مراكش من تأثير على العامة(203).

وتتكرر هذه الظاهرة في آخر حكم السعديين أنفسهم بظهور زوايا عظيمة في أنحاء البلاد : الدلاء، أيليغ، تابوعصامت.

وكان حظ مراكش من ذلك ان زارها أرباب الزوايا بالجنوب مناصرين لهذا أو ذاك من أبناء المنصور السعدي مثل ابن أبي محلي، وأبي حسون السملالي، وأبي زكريا يحي بن عبد الله الحاحي(204).

---

(196) انظر تفاصيل المذهب الموحدي في كتابنا، الدولة الموحدية ط. أولى 1983، والثانية 1985.

(197) Marrakech ... 271.

(198) الفرق الاسلامية 324-325

(199) معطيات الحضارة المغربية لعبد العزيز بنعبد الله 1 / 132.

(200) ظاهرة تقديس الأولياء بالمجتمع المراكشي، رسالة دبلوم السك الثالث، مقدمة للسربون سنة 1983، عبد الواحد بن ياسر ص 277.

(201) اثر القبائل العربية... مصطفى أبو ضيف ث 252.

(202) Esquisse d'histoire religieuse p. 57.

(203) Esquisse ... 59.

(204) انظر الأحداث بتفصيل وتحليلها في Esquisse ... 67-68

ب- الخارجية :

1) لا يمكن إغفال التأثير المشرقي في التصوف المغربي أو تجاهله، ذلك ان ركن الحج يحتم على المغاربة المستطيعين التوجه الى الديار المقدسة، فيمرون بإفريقية ومصر وبعض البلاد المشرقية ويأخذون على علمائها، كما ان علماء الشرق وفقهاءه كانوا يرحلون الى المغرب والأندلس وخاصة بعد توحيدهما وظهور الغرب الاسلامي بمظهر قوة تضاهي قوة المشرق. وليس من شأننا هنا أن نتتبع تفاصيل الرحلة في الاتجاهين، أو ان نذكر أسماء العلماء، فمراجعة تراجم التشوف تغني عن ذلك، وتُظهِر أهمية الرحلة الى المشرق أو الى المغرب.

وعن طريق الرحلة دخلت المصنفات الصوفية المشرقية وبواسطة أسلوب الاجازة العامة تَصدّر بعض العلماء لتدريسها بعدما أخذوها عن مؤلفيها. وبذلك دخلت الطرق الصوفية والآراء والمذاهب، وتدارسها الناس بالمدن والقرى. إلا ان الاهتمام كان مركزا على الخصوص حول الجنيد والغزالي.

فالجنيد أصبح معلما من معالم التصوف بالمغرب، وبه ترتبط مدارسه وطرقه : الشاذلية، ثم الجزولية، وتفريعاتها.

ولا يخفى دور الغزالي في التصوف بالمغرب. فقد كان حلقة وصل بين الطريقتين الجنيدية والشاذلية بواسطة علماء مغاربة أشهرهم صالح بن حرزهم الذي أخذ عليه بالمشرق ونشر مذهبه بفاس ثم بالمغرب عموما على يد ابن أخيه علي بن حرزهم. ودرس على هذا الأخير أبو الحسن الشاذلي في حين درس عبد السلام بن مشيش على أبي مدين(205).

ومن الذين نشروا مذهب الغزالي كذلك أبو بكر بن العربي الذي أخذ عنه بالمشرق أثناء رحلته العلمية الطويلة وقد أقام بمراكش مدة وأعطى الخرقة لكل من أبي يعزى وعلي بن حرزهم(206).

2) وكان لافريقية والأندلس تأثير في التصوف بالمغرب عموما وبمراكش خصوصا. فقد سبقت الاشارة الى أسماء الصوفية الذين حلوا باغمات قادمين من القيروان وصفاقس وتونس عبر بجاية فسجلماسة، وامتد نفوذهم وتأثير مذاهبهم فيما بعد الى مراكش التي ورثت ثقافة اغمات ومكانتها التجارية والاقتصادية.

---

(205) les confreries religieuses ... p.20.

(206) الفرق الاسلامية ... 378

وطبيعي ان يتأثر المغرب بما يجري في الأندلس خاصة بعد تحقيق الوحدة بين العدوتين من طرف المرابطين. فكانت الكتب والآراء تنتقل بينهما بكامل الحرية والسهولة. وفي كتابي التشوف والسعادة الأبدية أسماء الصوفية الذين عبروا من الأندلس وإليها. وعدد منهم أقبروا بمراكش، في الجانب الشرقي من المدينة.

إلا ان دخول ابن العريف وابن برَّجَان الى مراكش كان له صدى خاص في مؤلفات التراجم والتاريخ. واستمر تأثيرهما في التصوف بالمدينة الى ما بعد وفاتهما بكثير. ولعل هذا راجع الى موقف المرابطين منهما، وعلاقتهما بثورة ابن قسي، والمريدين.

ويبدو ان لعلاقتهما بالفكر الغزالي أثراً في امتحان المرابطين لهما. هذا الذي لم يحظ بالقبول والتوافق مع الاتجاهات الفقهية المرابطية :

- فابن العريف ينتمي الى مدينة المرية التي انتهى إليها مذهب ابن مسرة والتي حملت لواء معارضة المرابطين(207).

- وكان يدعى هو وأصحابه (أتباع الطريقة الغزالية)(208)، واشتهر ابن برجان "بغزالي المغرب"(209).

- وطريقة ابن العريف الصوفية تنتهي الى الجنيد كطريقة الغزالي مع اختلاف في السند(210).

- ويلتقي ابن العريف مع الغزالي في "احيائه" في كثير مما جاء في كتاب "محاسن المجالس" مناقضا للاتجاه الفقهي المرابطي : التمييز بين الشريعة والحقيقة، أو الظاهر والباطن. والدعوة الى تجاوز الظاهر الى الباطن، وترك علم الدنيا (الفقه) الى علم الآخرة (التصوف). الى غير ذلك مما جعل العلماء يقربون بين الشخصيتين(211).

---

(207) الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب، عبد العزيز بنعبد الله. البينة 7 / 99. والتعريف بابن العريف، نهاد خياطة، المعرفة عدد 217، مارس 1980.

(208) الثقافة المغربية الاسلامية بين المرابطين والموحدين. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد 44، ج 4، أكتوبر 1969 ص 743.

(209) الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب، البينة 6 / 61، أكتوبر 1962.

(210) اخذ ابن العريف عن أبي بكر بن عبد الباقي الأنصاري/عن أبي محمد أحمد المعافري/عن أبي عمر احمد بن عبد الله/ عن أبي سعيد احمد بن الأعرابي/عن أبي القاسم الجنيد. انظر شاهدة قبره المنقولة في كتاب :

Inscription arabes de Marrakech:

Deverdun. Rabat 1956 p. 17-18.

(211) انظر للمقارنة كتاب "العلم" من "ربع العبادات"، في "احياء علوم الدين". ومحاسن المجالس، نشر اسين بلاسيوس، باريس 1933.

3) يعتبر الجهاد من أهم الوظائف التي ندب الصوفية أنفسهم للقيام بها لذلك أسس حزام من الرباطات والحصون على شواطئ المغرب لمواجهة النصارى المهاجمين للبلاد منذ نهاية القرن الثاني الهجري. وإذا كان بعضها قد أهمل وتخلى عنه نزلاؤه بسبب قوة الدول المغربية، وعودة الأمن الى البلاد وزوال حالة الخوف من مهاجمة الأجنبي، فان تردي الأوضاع من جديد خلال القرن التاسع الهجري تحت حكم المرينيين واحتلال البرتغال للموانئ المغربية مع عجز الحكام عن مواجهتهم، أدى الى تحرك أرباب الزوايا والطرق الصوفية، وقيامهم بالدفاع عن البلاد بطرد الأجنبي الدخيل.

فبين ثمان عشرة وثمانمائة، وتسع عشرة وتسعمائة للهجرة تم احتلال مدن سبتة، القصر الصغير، أنفا، أصيلا، طنجة، الجديدة، آسفي، أگدير، أزمور. بل لقد وقف البرتغاليون على أبواب مراكش وحاصروها مدة سنة واحد وعشرين وتسعمائة(212) فلجأ السكان الى الشرفاء والصوفية لانقاذ البلاد من التنصر والاحتلال وقام هؤلاء بتنظيمهم وجمع الأموال لافتداء أسرى المسلمين والخروج الى الجهاد. وتزعم الحركة ضد البرتغال :

- احمد بن موسى بتزروالت (سوس)
- سعيد بن عبد المومن بحاحا
- ابو محمد عبد الله الغزواني بمراكش
- الشرفاء الأدارسة بالشمال.

واتجهت الأنظار الى الشرفاء الحسنيين بدرعة وتافيلالت وهم الذين سيؤسسون دولة مغربية جديدة (السعدية) بمساعدة الصوفية وأرباب الزوايا وخاصة منهم اتباع الشيخ محمد ابن سليمان الجزولي. هذه الطريقة التي أفرزتها هذه الأحداث بالجنوب ومراكش والتي ستصبح فيما بعد من أهم الطرق الصوفية في المغرب والعالم الاسلامي.

الخاتمـــة :

بعد التطرق الى اشكاليات التسمية ودلالاتها، وأسباب اختيار الموقع وتحديد المصطلحات، تطرقنا الى مسألة البناء وتعمير المدينة لالقاء الأضواء على نشأة الحومات باعتبارها البنيات الأساسية التي تستوعب عناصر السكان وفئاتهم الأمازيغ والعرب وأهل الكتاب. وفي اشكال تساعدها على النهوض بالمهام والوظائف الدينية والاجتماعية

(212) الاستقصا 4 / 92، و Les confréries religieuses... 59-61.

والاقتصادية الضرورية والتي بدونها لا يمكن لمجمعات سكنية من حجم مدينة مراكش ان تعرف التوازن الضروري.

لقد كان للتصوف حضور دائم وفعال في هذه البنيات كما سيتبين في الفصلين اللاحقين : بوجود الولي الحامي للحومة والراعي لشؤون قاطنيها، ووجود القطب الكبير الحامي للمدينة بأجمعها، وتوافر خلايا وفروع تابعة لمشاهير الطرق الصوفية المغربية الاسلامية تستقطب أصنافا وفئات من السكان يلتقون بها لتبادل الآراء والأخبار وقراءة الأوراد والتذاكر في شؤون الحومة وسيرها.

وتبين من خلال حديثنا عن الوظائف المختلفة الضرورية في المدينة ان الأولياء يسهمون فيها بنصيب وافر اما تكميلا لمهام السلطان والقاضي والمحتسب متى كانت الدولة في أوج قوتها وسلطانها، أو يتولونها جملة متى ضعف مركز السلطان بالمدينة.

وقد كان لبعض العوامل والمؤثرات الداخلية والخارجية اثر في ترسيخ هذه الأدوار التي نهض بها الصوفية جعلت من مراكش "مدينة التصوف وتربة الأولياء".

وسنفصل القول في ذلك في الفصلين اللاحقين من خلال حديثنا عن :

- الطرق الصوفية والزوايا التابعة لها بمراكش.
- وظاهرة سبعة رجال وأدوارهم.

الفصل الثاني

الطرق الصوفية والزوايا التابعة لها بمراكش

المبحث الأول : الطوائف الصوفية وأسانيدها

المبحث الثاني : الطرق والزوايا

المطلب الأول : المرحلة الأولى : ما قبل الجزولي

المطلب الثاني : المرحلة الثانية : الجزولي وما بعده

المبحث الثالث : ملاحظات واستنتاجات

خاتمة

تعددت الطرق الصوفية بالمدينة، فكان الصوفي ينتقي منها ما يتلاءم وظروفه، وبيئته الخاصة، وأحواله، وما يلبي حاجاته وحاجات وسطه والمادية والروحية. وكثيرا ما يتم الاتصال بشيخ أو أكثر، أو بطريقة أو أكثر... وأحيانا أخرى بأشخاص لا ينتمون لطرق معينة، ولكن لظهور آثار الخير والصلاح عليهم.

وقبل الحديث عن هذه الطرق، وعن مذاهب بعض الصوفية البارزين، وتتبع زواياهم بالمدينة، نرى من المفيد وضع هذه الطرق والمذاهب في إطارها العام بالاشارة الى أهم الطوائف الصوفية التي عرفها المغرب، والتي لا يمكن فصلها عنها.

المبحث الأول

الطوائف الصوفية وأسانيدها

لقد سبق ميشوبيلير الى تحديد المراحل التي مرت بها الطوائف الصوفية بالمغرب في ثلاث :

1- من الجنيد الى الشاذلي
2- ومن الشاذلي الى الجزولي
3- وما بعد الجزولي. وكان أكثر دقة عندما جعل هذا التصوف ممثلا في ثلاث مدارس :

1- مدرسة الجنيد، يتبعها الشعيبيون والأمغاريون.
2- مدرسة الغزالي، يتبعها الماجريون والحاحيون والاغماتيون والحنصاليون.
3- مدرسة الشاذلي وهي التي سيمثلها الجزولي وزروق وأتباعهما[1] وقد تبع علال الفاسي[2] تقسيم "بيلير" مع تعديل بسيط عندما جعل المراحل أربعة :

1- من الجنيد والبسطامي الى عهد أبي مدين والجيلاني
2- من أبي مدين الى ابن مشيش والشاذلي
3- من الشاذلي الى الجزولي
4- ما بعد الجزولي.

---

(1) Les confréries religieuses... M. Bellaires.

(2) التصوف الاسلامي في المغرب، علال الفاسي، المحاضرات الثقافية 1 / 1959 الرباط. ص 44.

وتتفق هذه التقسيمات على وجود شخصيات مهمة وجهت التصوف وتركت آثارها عليه. وأهمها : الجنيد، الجيلاني، الغزالي، أبو مدين، ابن مشيش، الشاذلي، ومع كثرة الطرق وتعددها (فكما قيل، الطرق الى الله عدد أنفاس الخلائق) فانها متأثرة عموما بتصوف هؤلاء الاعلام. كما ان التأثير يمكن أن يكون عن طريق شخصيات غير هذه اذ ان المغاربة اختاروا ما لاءم بيئتهم وشروطهم ومع صعوبة تحديد المراحل والفصل بينها لما تتميز به مصادر التصوف المغربي من غنى وتداخل وتنوع، سنحاول التعريف بهذه الطرق وأسانيدها لما لذلك من أثر في تبين معالم الطرق التي عرفتها المدينة.

الجنيد ومدرسته :

بنيت طريقة أبي القاسم الجنيد بن محمد الزجاج (المتوفى سنة سبع وتسعين ومائتين للهجرة) على متابعة السنة ومراقبة الباطن، واختيار الصحو دون السكر ورياضة النفس بالخلوة. وشروطها كما وضعها الجنيد ثمانية :

دوام الوضوء، الخلوة، نية الاختلاء، المداومة على الذكر، دوام الصوم، ترك الخاطر، دوام ربط القلب بالشيخ، دوام الرضى بقضاء الله وترك الاعتراض على الله وعلى الشيخ(3).

وهناك عدة أسانيد تربط الجنيد بالرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق كبار الصحابة علي وأبي بكر وعبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب.

وقد أورد صاحب المواهب القدسية ستة أسانيد، نكتفي بذكر أشهرها، وأكثرها تداولا :

- الجنيد
- عن خاله السري السقطي
- عن معروف الكرخي
- عن داوود الطائي
- عن حبيب العجمي
- عن الحسن البصري
- عن علي بن أبي طالب
- عن الرسول صلى الله عليه وسلم(4).

---

(3) الطرق الصوفية م.خ.ع.ر. ضمن مجموع رقم 637 ك من ص 90 الى 135.
(4) انظر باقي الأسانيد في المواهب القدسية، لمحمد بن العباس الجزولي السوسي م.خ.ع.ر. 97 ج ص 399-400.

وتتجمع أسانيد الطرق الصوفية المغربية عند الجنيد لتتفرع بعد ذلك، إذ لا نكاد نجد طريقة لا تتصل بها الا نادرا. وحتى في هذه الحالة غالبا ما تتوفر هذه الطريقة على سند ثان يوصلها الى الجنيد(5).

وتفسر هذه الظاهرة بحرص الطرق على أن تكون سائرة على نهج السنة المحمدية لشهرة الجنيد بذلك.

من الجنيد الى أبي مدين :

من الصعب الإحاطة بأسماء كل الذين أخذوا عن الجنيد وأسانيدهم، لذلك نركز الحديث على ما يهمنا من هؤلاء. وهم الذين ترتفع أسانيدهم الى أبي مدين عبر شخصيات كان لها أكبر الأثر في التصوف، وهي : ابن حرزهم، الجيلاني، وأبو يعزي.

أما السند الثاني :

فقد أخذ علي بن اسماعيل بن حرزهم رأس المدرسة الغزالية بالمغرب :

- عن عمه صالح بن حرزهم (وأبي بكر بن العربي)
- عن الامام الغزالي
- عن أبي المعالي أمام الحرمين
- عن أبي طاهر المكي
- عن الجنيد(6).

اما السند الثاني : أخذ عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية :

- عن أبي سعيد مبارك المخزومي
- عن أبي القاسم القرشي
- عن أبي بكر التميمي
- عن أبي بكر الشبلي
- عن الجنيد(7).

(5) نموذج طريقة أبي عمرو القسطلي، انظر السندين معا في شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة للحلفاوي م.خ. ابن يوسف، رقم 171 ص 45-46.

(6) انس الفقير، تحقيق محمد الفاسي وادولف فور. ط. الرباط 1965 ص 93.

(7) Esquisse d'histoire religieuse : Annexe

ويصل صاحب المواهب القدسية الجيلاني بالجنيد :

- عن أبي الحسن العكاري
- عن أبي الفرج الطرطوشي
- عن أبي الفضل الهندي
- عن أبي بكر الشبلي
- عن الجنيد(8).

وأما السند الثالث :

فقد أخذ أبو يعزى يلنور (المتوفى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة) :

- عن أبي شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي (مؤسس الطريقة الشعبية)
- عن أبي ينور بن عبد الله الدكالي الاغماتي
- عن أبي الفضل عبد الله الجوهري
- عن أبي بكر الدينوري
- عن أبي الحسين بن محمد النوري
- عن الجنيد(9).

ويشبه أبو مدين الجنيد في انتهاء أسانيد عصره إليه لكثرة تنقله واتصاله بالشيوخ ثم تفرعها عنه بعد ذلك عن طريق تلامذته ومريديه.

وأبو مدين الغوث هو شعيب بن حسين الأنصاري التلمساني (المتوفى سنة أربع وتسعين وخمسمائة)، تحدث عنه ابن قنفد طويلا وذكر شيوخه وتلامذته وطريقته ونسبه الى اشبيلية(10) في حين ينسبه آخرون الى بجاية أو سبتة(11).

أخذ عن عبد القادر الجيلاني بمكة، ودخل المغرب فمر بطنجة، وسبتة، واستقر بفاس للدراسة، ودرس بها على أبي الحسن علي بن حرزهم رعاية المحاسبي، وأخذ عنه طريقة الغزالي. وقد كان معجبا به وبمؤلفاته التي قال عنها : «طالعت كتب التذكير فما رأيت كالاحياء للغزالي»(12).

---

(8) المواهب القدسية 399-400.

(9) نفس المصدر، و Esquisse d'histoire... Annexe

(10) خصص له ولأصحابه انس الفقير، ص 11.

(11) Les confréries religieuses... M. Bellaires 46

(12) التشوف 195.

وأخذ بفاس كذلك على أبي عبد الله الدقاق(13)، وأبي الحسن علي بن غالب. وكان بعد انتهاء الدروس يلجأ الى خلوة خارج المدينة(14). كما كان كثير الاتصال بأبي يعزى، وأخذ عنه، وله معه اخبار ونوادر(15). وفي التشوف ان أبا مدين كان معجبا به الى أقصى الحدود(16)، قيل انه لم يمت حتى أدرك القطبانية(17).

وقد انتهى به المطاف في بجاية ومنها استدعاه المنصور الموحدي خلال الفترة التي اهتم فيها بالتصوف وتقريب الصوفية. وتوفي في الطريق إليه فدفن بالعباد (قرب تلمسان)(18).

وتتفرع الأسانيد عن أبي مدين نظرا لكثرة تلامذته، فقد جاء في التشوف عن محمد ابن ابراهيم الأنصاري ان أبا مدين خرّج ألف تلميذ ظهرت على يد كل واحد منهم كرامة(19). لذلك يقال له "شيخ مشايخ الاسلام" وإمام العباد الزهاد"(20) وذكر ابن قنفد طائفة منهم(21). وأسس تلامذته طرقا في الأندلس والمغرب.

من أبي مدين الى الشاذلي :

يصل أبو مدين طرق الغزالي/الجيلاني/أبي يعزى (الجنيدية) بالشاذلي بواسطة سندين مشهورين :

السند الأول : عن طريف تلميذه أبي أحمد بن سيد بونة :

- عن عبد الرحمن المدني الزيات
- عن عبد السلام بن مشيش
- عن أبي الحسن الشاذلي. وتسمى عند الناصريين بسلسلة العلماء(22).

---

(13) انس الفقير ص 27، ومقالة الفريد بيل (Alfred Bel) : - Abou Médian et son maître Eddakak à Fès. Mélanges R: Basset T I Paris 1923 p. 31-68.

(14) انس الفقير 16-26.

(15) انس الفقير 15-21-36.

(16) التشوف 195.

(17) انس الفقير 16.

(18) حكى ابن قنفد تفاصيل رحلته من بجاية الى العباد حيث دفن. انس الفقير 102-103.

(19) التشوف 322. وانس الفقير 16.

(20) انس الفقير 16.

(21) انس الفقير 36، وما بعدها.

(22) فهرست ابن ناصر ص 162، والمواهب القدسية 410-411.

السند الثاني :

- عن تقي الدين الفقير
- عن عبد الرحمن المدني الزيات
- عن عبد السلام بن مشيش
- عن أبي الحسن الشاذلي(23)

وأهمية هذا السند تأتي من كونه منطلق سند مهم ومشهور بالشرق يصل الشاذلية بالرسول صلى الله عليه وسلم، دون الاتصال بالجنيد، ويسمى "بسلسلة الأنوار، وسلسلة الذهب، وسلسلة العارفين، وطريقة الأقطاب". وأخذ به بعض المغاربة كذلك، يبدأ من :

- عبد الرحمن المدني الزيات
- عن فخر الدين
- عن تاج الدين
- عن أبي محمد شمس الدين التركي... الخ(24).

كما انه لا يجب إغفال دور عبد السلام بن مشيش في تطعيم طرق صوفية مغربية. فبعد نشأته في قبائل بني عروس شمال المغرب في احضان أسرة إدريسية، رحل الى المشرق حيث قضى زهاء عشرين سنة، وهناك لقي عددا من الشيوخ، وعلى رأسهم شيخه عبد الرحمن المدني الزيات، راس "سلسلة الأنوار" السابقة الذكر. وبعدها عاد الى موطنه للتدريس والعبادة. وكان مقتله بين سنتي اثنتين وعشرين وستمائة وخمس وعشرين وستمائة(25).

وبالاضافة الى أبي الحسن الشاذلي يعتبر أبو محمد صالح بن سعيد بن ينصارن الماجري من أخص تلامذة ابن مشيش. وهناك من جعله يأخذ مباشرة عن أبي مدين، عن علي ابن حرزهم، عن أبي بكر بن العربي، عن الغزالي... الخ عاش بين خمسين وخمسمائة وواحد وثلاثين وستمائة للهجرة.

يرجع نسبه الى بني ماجر من بني أمية خاصة(26).

(23) الروض الزاهر في التعريف بالشيخ ابن حسين واتباع السادات الأكابر.
(24) سلسلة الأنوار في طريقة السادات الصوفية الأخيار، لأحمد بن محمد بن عطية السلاوي م.خ.ع.ر رقم 2458 ك ص 31-32.
(25) Les confréries religieuses... 52-54.
(26) المنهاج الواضح لأحمد بن ابراهيم بن احمد بن أبي محمد صالح ط. مصر 1933، ث 123.

رحل إلى المشرق وقضى به عشرين سنة، وهناك درس على بعض تلامذة أبي مدين وهو مؤسس الطائفة الماجرية بآسفي وتسمى كذلك الطائفة الدكالية، وطائفة الحجاج(27). وكان لهم أتباع في المشرق والأندلس والمغرب. وطريقته سنية تقوم على محاربة البدع، لها شارات. دافع عنها حفيده أحمد بن إبراهيم رادا على منتقديها(28). وتتلخص في :

- الحج ووجوبه للتوبة
- حلق الرأس واللحية رجاء التوبة
- لبس الشاشية
- التقيد بالتسبيح
- لزوم العصا
- الركوة
- تلاوة الأذكار(29).

وتصدت هذه الطائفة لمواجهة الأجنبي الدخيل وهي المهمة التي ستتميز بها فيما بعد الطائفة الجزولية(30).

وهنالك طرق تابعة لطائفة أبي محمد صالح آخذة بشاراتها وتعاليمها هي :

1- الطريقة الحاحية :

أسسها أبو زكريا يحي بن أبي عمر عبد العزيز بن عبد الله بن يحيى الحاحي دفين تيغزا (المتوفى في آخر القرن السابع الهجري) تعدى صيته المغرب الى تونس(31)، وكان له أتباع بسلا(32)، وبتشنباشت حوز مراكش(33)، وبجل درن. وأغلب مريديه من أهل البوادي،

(27) انس الفقير 63-64.
(28) المنهاج الواضح (انظر التفاصيل).
(29) المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح ص 158-188.
(30) Les confréries religieuses... 50-51.
كانت هناك فرقة من أصحابه بالأندلس للدفاع عنها ضد المسيحيين. انظر ورقات عن الحضارة المغربية على عهد بني مرين، لمحمد المنوني 244.
(31) من أتباعه التونسيين : أبو الربيع سليمان بن سالم النفوسي البربري، وصاحبه أبو حفص عمر ابن بركات الكتاني، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، للدباغ، ط. 1320 هـ. 4 / 157.
(32) من أتباعه السلاويين : أبو العباس احمد بن عاشر، أبو البقاء يعيش المصمودي، وأبو الحسن المغيلي، السلسل العذب للحضرمي، ص 58.
(33) من أحواز مراكش، أصبح الآن من أملاك الزاوية المصلوحية.
Le Haouz de Marrakech; P. Pascon T 2 Annexe.

فبالغوا في تعظيمه وتقليده الى حد جعل الفقهاء يحملون عليهم وعلى الطريقة، ويعتبرونهم من الفرق الضالة(34).

2- **الطريقة الاغماتية :** (سنعود إليها فيما بعد)

3- **الطريقة الحنصالية :**

أسسها سعيد أحنصال تلميذ أبي محمد صالح ودفين دادس، ورغم دورها في نشر العلم واللغة العربية بمناطق القبلة، لم تعطنا المصادر القديمة تفاصيل عنها وعن شاراتها واتباعها.

وبعد قرون من الخمول ستعود الى الظهور في آخر القرن الحادي عشر الهجري على يد أبي عثمان سعيد بن يوسف الحنصالي(35).

من الشاذلي الى الجزولي :

ليس في نيتنا التعرض الى الطريقة الشاذلية بتفصيل، فهذا لا يسمح به المجال. ولكن هدفنا تقديم الخطوط الرئيسية لها مع التركيز على الأسانيد الرابطة بين الشاذلي والجزولي.

والشاذلي هو أبو الحسن علي بن جبار المغربي دفين صعيد مصر (المتوفى سنة ست وخمسين وستمائة)، فقد قضى أغلب مراحل حياته في الرحلة بين مصر والحجاز وبلدان المشرق آخذا عن العلماء والصوفية به، إلا أن أشهر شيوخه هما : عبد السلام بن مشيش، ومحمد بن علي بن حرزهم. لهذا اشتهرت طريقته أول الأمر بالمشرق والأندلس قبل أن ينقلها تلامذته المغاربة الى المغرب(36).

واعتنى بها الناس في مختلف العصور، وبالغوا في تقديرها وتعظيمها حتى اننا كثيرا ما نسمع عند المصنفين أمثال محمد المهدي الفاسي مثل هذه الأقوال (لو حلف حالف ان ما عليه أهل الطريقة الشاذلية هو الذي كانت منطوية عليه صدور الصحابة، رضي الله عن جميعهم، لَبَرّ في يمينه). وقيل ان الطريقة الشاذلية نسخت سائر الطرق، كما نسخت الملة المحمدية سائر الملل(37).

---

(34) انس الفقير 64-65.

(35) انظر الدراسة المفصلة لدراك Esquisse... 163-182 (G. Drague)

(36) التيار الصوفي والمجتمع، د. محمد مفتاح ص 162.

(37) ممتع الاسماع ص 4.

وبنى الشاذلي طريقته على المواظبة على الذكر والصلاة على النبي، ولم يشترط الشيخ إذ بوسع السالك أن يصل الي درجة القطبانية بلا واسطة. كما انه لم يشترط اتخاذ رباط أو زاوية.

وعرفت الطريقة تغييرات على يد تلامذته. ولخص ابن الخطيب مبادئ الشاذلية في عبارة (لا اله إلا الله). وجعل السالكين تسعة أصناف تبدأ من أفراد الكلمة باللسان وتنتهي بمرتبة الفناء أي التوحيد واسقاطا لتدبير مع الحق(38).

وقد أحصى دراكَ تسع عشرة طريقة متفرعة عن الشاذلية في المغرب العربي(39). وأشهرها الطريقة الزروقية، والطريقة الجزولية. خصص لهما محمد المهدي الفاسي مؤلَّفه "تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزروقية" تحدث فيه عن مبادئهما وطبقاتهما، واتباع كل طبقة(40).

أما سند الطريقة الجزولية التي تهمنا فتكاد كتب الفهارس والطبقات تتفق على تسلسله :

- فقد أخذ محمد بن سليمان الجزولي
- عن أبي عبد الله محمد أمغار (من رباط تيط)
- عن سعيد الهرتناني (من رباط هرتنانة)(41)
- عن أبي زيد عبد الرحمن الرجراجي
- عن أبي الفضل الهندي
- عن أحمد عنوس البدوي
- عن أحمد القرافي
- عن أبي عبد الله مُحمد المغربي
- عن أبي الحسن الشاذلي(42).

وقد نظم بعض العلماء هذا السند تسهيلا لحفظه(43).

---

(38) روضة التعريف 2 / 629. انظر بها الأصناف التسعة بتفصيل.

(39) Esquisse d'histoire religieuse 277.

(40) م.خ.ع.ر. 76 ج.

(41) المسالك والممالك للبكري 86 و 153. Note sur les ribats 410.

(42) الدوحة لابن عسكر 3-4، وسلسلة الأنوار لابن عطية 31-32. والمواهب القدسية 408-409. مع خطأ في اسم البدوي.

(43) التشوف الصغير للصومعي م.خ.ع.ر. 1103 د. ص 75 ظ.

ما بعد الجزولي :

يعد الجزولي معلمة من معالم التصوف المغربي والاسلامي. فإليه انتهت الطريقة الشاذلية، وعنه تتفرع جملة من الطرق التي يكثر اتباعها في كافة أنحاء العالم الاسلامي : كالطريقة التباعية، والغزوانية، والبوعمرية... واشتهر الجزولي كذلك بأحزابه وأوراده وأذكاره وعلى رأسها دلائل الخيرات التي ظلت محل رعاية وعناية في مختلف العصور. هذا بالاضافة الى اسهامه في المجالات التربوية والاجتماعية والسياسية وسعيه نحو اصلاح مجتمعه وتوجيهه. وسنقف على ذلك كله فيما بعد.

تلك كانت أهم الطوائف المغربية التي تمخضت عنها طرق صوفية عديدة كان أغلبها ممثلا بزوايا داخل مدينة مراكش.

المبحث الثاني

الطرق والزوايا

تبين من الحديث عن الطوائف الصوفية بالمغرب وأسانيدها ان بوسعنا التمييز -في مراكش- بين مرحلتين :

مرحلة النشأة والتطور، أي ما قبل الجزولي :

وفيها ظهرت زوايا تابعة للطريقة القادرية، وطريقة أبي يعزى، والغزالي... وكان نشاطها اجتماعيا وتربويا أكثر مما كان سياسيا. ولم تكن تغطي كل احياء المدينة، ذلك بالرغم من أن الحركة الصوفية لم تكن في بدايتها بالمغرب.

مرحلة الانتشار والازدهار، أي الجزولي و ما بعده :

وفيها كثرت الزوايا وانتشرت في كل الاحياء والدروب. وكانت لها أدوار سياسية الي جانب الأدوار الاجتماعية والتربوية. وسنتناول الحديث عن الطرق الصوفية بمراكش بحسب هذا التصنيف.

المطلب الأول

المرحلة الأولى : ما قبل الجزولي

بالرغم من وجود رباطات حول مراكش : اغمات، نفيس، شاكر. فإن المدينة لم تعرف زوايا ورباطات بعد تأسيسها مباشرة أي خلال العصر المرابطي مع العلم ان هذه الدولة نشأت على المرابطة والجهاد ومواجهة برغواطة، وهذا راجع الى :

- منافسة هذه الرباطات القريبة واستمرارها في استقطاب الصوفية وخاصة منها رباط اغمات.
- موقف الفقهاء السلبي من التصوف : احراق الاحياء، محنة ابن العريف وابن برجان ومصرعهما. مما لم يشجع الصوفية على التجمع وإقامة الزوايا بالمدينة وتفضيل اغمات عليها.

وهذا لم يمنع من دخولهم الى مراكش وتنقلهم أو استقرارهم بها الشيء الذي مهّد للنشاط الصوفي الذي ستعرفه المدينة في العصر الموحدي. وفي "التشوف" اشارات الى هذا النشاط. وأقدم ما عرفته المدينة : عبّاد جبل جيليز، رابطة أبي اسحاق، ورابطة الغار، ومذهب أبي العباس السبتي.

أولا ـ عباد جبل جيليز :

يقع جبل جيليز في الشمال الغربي للمدينة، ويبلغ ارتفاعه سبعة وعشرين وخمسمائة متر. ولإشرافه على المدينة كان الثوار والغزاة يبادرون الى احتلاله للتحكم فيها : ابتداء بعبد المومن وانتهاء بغزاة الحماية الفرنسية(44) وبهذا يرتبط هذا الجبل بتاريخ المدينة.

ولوقوعه خارج الأسوار، وفي مكان خال وهادئ، كان ملجأ للعباد والزهاد كذلك. وقد حدثنا ابن الزيات في ترجمته لأبي عبد الله محمد بن تميم الزناتي عن وجود عباد بهذا الجبل فقال : «سمعت أبا العباس احمد بن ابراهيم بن محمد الأزدي يقول : أخبرني المريسي عن ثقات من المريدين قالوا : كنا مع ابن تميم (وهو صاحب الترجمة) بجبل ايجيليز فاردنا أن نتوضأ من ساقية قريبة منا فلم نقدر أن نتوضأ من الساقية لعمقها الا بالنزول فيها، فذهبنا الى موضع منها يمكن أن يتوضأ منه. فلما رجعنا وجدنا أبا عبد الله محمّد بن تميم قد توضأ من أعلى الساقية، وآثار الماء حوالي الساقية. فنظرنا فيها فرأينا آثار ماء الساقية قد ارتفع حيث يمكن القاعد أعلاه أن يتوضأ منها »(45)

---

(44) أمثلة لاحتلال جبل جيليز في الاعلام 5 / 219 و 8 / 219 و 9 / 99.

(45) التشوف 405، وأورد النص كل من صاحب السعادة الأبدية 1 / 129، والاعلام 4 / 156.

يمكن أن نستنتج من هذا النص ما يلي :

- حلول العباد بجبل جيليز وخلوتهم وأداؤهم الصلوات به.
- اخلاص ابن الزيات للمنهج الذي التزم به في بداية الكتاب القاضي بالتحري في النقل والأخذ عن أهل الثقة والأمانة والخير والصلاح. مع ضبط الأسانيد(46).
- المستوى الذي كان عليه العباد الوافدون على مراكش على وجه العموم، فابن تميم (موضوع الكرامة) أصله من داي، سكن المدينة وبها توفي سنة سبع وستمائة للهجرة. ودفن خارج باب الدباغ.

وسيشتهر جبل جيليز بحلول أبي العباس السبتي به، إذ قضى في خلوته زهاء أربعين سنة.

ثانيا - رابطة أبي اسحاق بباب إيلان :

ذكر ابن الزيات هذا الرباط في ترجمة رجل مجهول، فقال : «سمعت محمد بن يحي بن علي يقول : سمعت أبا علي عمر بن عبد العزيز يقول : صليت المغرب في رابطة أبي اسحاق التي داخل باب ايلان. فلما سلمت وقع بصري على رجل توهمت فيه انه ولي. فاحرم للنافلة فقلت : اتنفل قدر ما يسلم وأكلمه فسلم قبلي. وخرج من المسجد فسلمت وتبعته. فصعد في درج سطح المسجد فقلت قد يسر الله لي في الحديث معه على السطح في خلوة. فصعدت في الدرج. فلما علوت على السطح نظرت فلم أجد له أثرا ولا علمت أين ذهب»(47).

ويصح أن نقول عن هذا النص ما قلناه عن النص السابق :

- التزام ابن الزيات بمنهجه في الرواية.
- مستوى صوفية مراكش، وهو مستوى صوفية التشوف عموما ذلك ان هذا الرجل المجهول كان من النوع الذي يطير في السماء من الصوفية !! (حسن الكرامة).

أما الرابطة المذكورة فلا نعرف شيئا عنها إذ لم يرد ذكرها في السعادة الأبدية ولا في الاعلام. ولا نعرف شخصية أبي اسحاق المنسوبة إليه ؟ فهل هو أبو اسحاق ابراهيم بن محمد السلمي البلفيقي أحد مشاهير صوفية المرية، استقدمه يوسف بن عبد المومن الى مراكش بعد ذيوع صيته، وبها توفي ودفن في رحبة الزرع(48).

وإليه ينسب حي سيدي اسحاق بمراكش، الا أنه بعيد عن باب ايلان موقع الرابطة،

---

(46) التشوف ص 4.
(47) التشوف ص 300.
(48) السعادة الأبدية 1 / 107.

وباب ايلان من الاحياء الموحدية التي أسست لتوسيع المدينة من جهة الشرق. وقريبا من باب ايلان، أي بحي سيدي أيوب يقع ضريح أقدم أولياء مراكش حسب ابن المؤقت المراكشي وهو أبو يعقوب أيوب بن الحسن(50).

والراجح ان رابطة أبي اسحاق هاته من مساجد الاحياء التي كانت تؤدي بها الأوقات (واضح من النص) والتي تميز بعضها بتوافد شخصيات صوفية مشهورة أحيانا -كما هو الحال في هذا النص- الا ان وقوعها في باب إيلان ميزها عن غيرها :

- باب ايلان تستقبل القادم من هيلانة واغمات (مركز صوفي)
- تقع في الجانب الشرقي من مراكش المعروف بنشاطه الصوفي، ودفن الأولياء والعلماء بمقبرته.
- رسوخ الظاهرة في الحي لقربه من سيدي أيوب، ورباط الغار.

ثالثا - رابطة الغار ويوسف بن علي الصنهاجي

تقع خارج باب اغمات شرقي مراكش، وهي عبارة عن غار كان يعيش فيه يوسف بن علي بعد اصابته بالجذام. ودفن فيه بعد وفاته سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، الى جانب شيخه أبي عصفور. وأصبح المكان حارة خاصة بالجذمى الى دولة الاشراف حيث تم نقلها خارج باب دكالة(51).

وارتبط اسم الرابطة باسم دفينها أبي يعقوب يوسف، وهو -بالرغم من شهرته باعتباره أحد سبعة رجال مراكش- لا نعرف الكثير عن حياته(52).

ويمكن تلخيص ما نعرفه عنه فيما يلي :

- أصله الصنهاجي اليمني
- مولده بمراكش (تاريخ مجهول)، وقضاؤه أغلب فترات حياته بها.
- أخذه عن أبي عصفور يعلى بن وين الذي قال عنه ابن الزيات «من أجل مشايخ مراكش وسادات العارفين في وقته. اخذ عن الشيخ أبي يعزى رضي الله عنه وعلي يديه تربى وتهذب، وتخلق وتأدب، وأخذ عنه خلق كثير منهم الولي الصالح المتقدم الذكر سيدي يوسف

(49) انظر الفصل الأول عند حديثنا عن تعمير المدينة.
(50) السعادة الأبدية 1 / 97.
(51) درر الحجال 59.
(52) كل الذين كتبوا عنه رددوا نفس المعلومات الواردة في التشوف 308-309. مثل السعادة الأبدية، الاعلام، بادرة الاستعجال.

ابن علي»(53).

وكانت وفاته بمراكش سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، ودفن الى جانبه بالغار، وضجيعهما هو أبو عمران الهسكوري الأسود المتوفى حوالي سنة تسعين وخمسمائة(54).

- ونجهل كل شيء عن دراسة يوسف ونشاطه العلمي والتربوي، وطبيعة ما يعلم ويدرّس بالرباط، ونوعية نشاطه، فقد كان اهتمام المصادر خاصة بإصابته بالجذام وصبره عليه حتى لقب بالمبتلي.

قال ابن الزيات : «وكان كبير الشأن فاضلا، زرته مرات ورزقني الله منه محبة ومودة. وكان صابرا راضيا سقط بعض جسده في بعض الأوقات فصنع طعاما كثيرا للفقراء شكرا لله تعالى على ذلك»(55).

وفي "درر الحجال" انه كان يخرج من الغار اذا طلعت الشمس ويعرض رجليه لأشعتهما، فيجتمع عليهما ذباب كثير(56). وينتقد اليفرني قول ابن الزيات «وكان صابرا راضيا» قائلا بأن أشياخ الطريقة يفرقون -كما قال اليافعي- بين الصبر والرضى بوجهين :

احدهما : ان الصابر يتألم بالبلاء ويصبر غير فرح به، والراضي يتألم به، ويصبر عليه مع الفرح به.

ثانيهما : ان الصابر وإن صبر على البلاء، فإنه يحب زواله، والراضي لا يحب زواله ومقتضى هذا ان الصبر والرضى متغايران تغاير الضدين. ومما يدل على تغايرهما ما ورد في الخبر : إذا احب الله عبدا ابتلاه، فإن صبر اجتباه، وإن رضي اصطفاه. ذكره الامام ابن عباد في شرح الحكم.

وحال أبي يعقوب ظاهر في انه كان راضيا لا صابرا. وفرحه وسروره لمصيبته دليل على علو طبقته(57).

ويعتبر الصوفية التلذذ بالبلوى أعلى مقامات الصبر. فعند ابن العريف ان الصبر ثلاثة مقامات :

---

(53) التشوف 115.

(54) التشوف 344، السعادة الأبدية 1 / 38، تم بناء الضريح على عهد العلويين من صرف والي المدينة وبإشارة من اليفرني. درر الحجال 65.

(55) التشوف 24-25.

(56) ص 63.

(57) درر الحجال 59.

الأول : التصبر وهو تحمل مشقة وتجرع غصة في التثبت على ما يجري من الحكم. وهذا هو الصبر لله وهو صبر العوام.

الثاني : الصبر سهولة تخفف على المبتلي بعض الثقل. وهذا هو الصبر بالله وهو صبر المريدين.

الثالث : الاصطبار وهو التلذذ بالبلوى والاستبشار باختيار المولى، وهذا هو الصبر على الله، وهو صبر العارفين(58).

ويضرب المثل في الصبر بنبي الله أيوب. وموقف يوسف بن علي من مصابه رفع قدره عند العامة والخاصة، فاعتبر (من أركان الطريقة، واحد أوتاد المغرب في وقته على حالة تامة من الورع والزهد كبير الشأن) (59).

وتنتهي طريقته عند أبي يعزى : فقد أخذ عن شيخه أبي عصفور يعلى، وأخذ هذا الأخير عن أبي يعزى. والمعروف ان أبا يعزى هو شيخ أبي مدين كذلك. وقد انفرد اليفرني بخبر جعل فيه أبا مدين شعيب بن حسين الأنصاري عم يوسف(60).

ولم يذكر مصادره في ذلك. كما أننا لم نتمكن من الفصل في الأمر ما دامت المصادر التي تعرضت لأبي مدين لم تشر الى هذا النسب. اما المصادر التي تناولت الحديث عن يوسف، فلا تلقي أضواء على الكثير من مراحل حياته. والاختلاف بينهما واضح : يوسف وُلِد وعاش بمراكش ولم يخرج منها، وأبو مدين وُلِد باشبيلية، وزار المشرق والمغرب، والراجح انه لم يحل بمراكش، اذ ان أجله لم يمهله لذلك بعد استدعاء المنصور له.

الشيء الواحد الرابط بينهما هو أصلهما العربي اليمني. ولعل هذا ما دفع باليفرني الى هذا الاعتقاد !!

وطريقة أبي يعزى يلنور بن ميمون (المتوفى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة) جنيدية. كان بتاغيا، واشتهر بكلامه باللسان البربري، لهذا جرده بعض الأجانب من كل علم ومعرفة تبعا لمفهومهم للتصوف(61)، وجعلوا زيارة أبي مدين له زيارة مجاملة وتبرك لا زيارة علم وتربية.

---

(58) محاسن المجالس 80-81.
(59) درر الحجال 59.
(60) درر الحجال 72.
(61) Les confréries religieuses 42-46 et Esquisse d'histoire p.40.

كما اشتهر بكراماته خاصة منها ما يتصل بسلطته على الحيوانات المفترسة (كانت كثيرة في تلك المنطقة الجبلية)، ويتخوف السلطة من شعبيته، لهذا تحدثت المصادر عن زيارة عبد المومن له في زاويته ووقوفه على كراماته، ثم استدعاؤه الى مراكش حوالي سنة واحد وأربعين وخمسمائة(62). وقد جمع هذه الكرامات كل من العزفي في "دعامة اليقين وزعامة المتقين"(63)، والصومعي في "المعزى في مناقب أبي يعزى"(64).

وانتشرت طريقته في كافة انحاء البلاد بل كان أشهر من معاصره عبد السلام ابن مشيش، وبقيت نشيطة في منطقة الشاوية على الخصوص، الى أن قام بتجديدها في مطلع هذا القرن حفيده محمد بن الطيب الدرقاوي البوعزاوي بعدما دعا الي الجهاد ومحاربة الأجانب.

وبحي الزاوية العباسية زاوية بوعزاوية تابعة للزاوية الأم بالشاوية، هي كل ما تبقى بالمدينة من طريقة أبي يعزى ويوسف بن علي "صاحب الغار".

رابعا : أبو العباس السبتي و مذهبه

أبو العباس احمد بن جعفر الخزرجي السبتي، أكبر أولياء المدينة وأشهر رجالاتها السبعة. عربي الأصل، ولد بمدينة سبتة سنة أربع وعشرين وخمسمائة. وتوفي بمراكش في اليوم الثالث من جمادى الأخيرة سنة واحد وستمائة(65).

وينتسب الى أسرة فقيرة إذ بوفاة والده اضطرت أمه الى دفعه لحائك لتعلم الحرفة مقابل أجر. وبالرغم من ان أبا العباس كانت له رغبة في العلم، فكان كما تقول الروايات، يفر من معمل الحائك ليلتحق بكتاب الشيخ أبي عبد الله محمد الفخار (دفين تطوان) فتلتحق به أمه لتعيده الى الحائك بعد معاقبته. ومع تكرر الحادث تدخل الشيخ مقترحا على الأم أن يعلم الصبي ويدفع لها أجره(66).

ولعل رغبة أبي العباس في العلم، والرعاية الخاصة التي كان يلقاها من شيخه بسبب ذلك، كانت وراء سرعة تعلمه. فلم تكد تمضي ست سنوات حتى حفظ القرآن والرسالة وفنونا

(62) التشوف 195-205.

(63) م.خ.ح. رقم 9447.

(64) توجد منه عدة نسخ م.خ.ع.ر. 625 د.

(65) تعطير الأنفاس 6.

(66) اخبار ابي العباس م.خ.ع.ر. 3273 ك ص 1. وتعطير الانفاس 9-10، يلاحظ ان قصة أبي العباس بسبتة شبيهة بقصة ابن العريف بطنجة، فقد دفعه والده الى حائك للتعلم فكان يفر الى المكتب لتعلم القرآن.

من العربية والأدب. وتسجل له الروايات مواقف وأخبارا مع شيخه :

- منها انه كان دائم السؤال والاستفسار، فقد سأله ذات يوم عن معنى قوله تعالى {إن الله يامر بالعدل والاحسان} فتعجب الشيخ لذلك وقال «ليكونن لهذا الشاب شأن»(67). وفي هذا تمهيد لما سيكون عليه أبو العباس، وتقديم لمذهبه في العدل والاحسان والصدقة.

- خبر آخر يقدم لنا أبا العباس التلميذ الذكي الذي سيكون له شأن عظيم، فقد أراد الشيخ امتحان الصبيان، فأعطى كل واحد منهم طائرا وقال لهم اذبحوها في مكان لا يراكم فيه أحد. ففعلوا جميعا إلا أبو العباس الذي قال للشيخ : «لم أجد مكانا لا يراني فيه أحد» فقال الشيخ : «يا بني بارك الله فيك، ان عشت ليكونن لك شأن». فزاد حظوة عنده وصار يحمله الي داره(68).

وأبدى أبو العباس الرغبة في السفر برسم طلب العلم ولقاء المشايخ. ووقع اختياره على مراكش، لأنهما كما قال لشيخه «مدينة العلم والخير والصلاح»(69) ولأنها كذلك عاصمة الدولة الجديدة، فقد كان خروج أبي العباس من سبتة سنة أربعين وخمسمائة، (وعمره ست عشرة سنة) وهي السنة التي تأكد فيها انتصار الموحدين على المرابطين، خصوصا بعد مقتل تاشفين سنة تسع وثلاثين وخمسمائة.

وفي طريقه من سبتة الى مراكش بمعية وصيفه مسعود الحاج (دفين حومة الموقف)(70) صدرت عنه كرامات(71)، تبرز مشاغل المجتمعات القروية التي مر بها وهمومها. وتعطي صورة عن المتاعب التي لقياها في رحلتهما(72).

وجد أبو العباس مدينة مراكش في حالة حصار (استمر من محرم الى شوال سنة واحد وأربعين وخمسمائة). فصعد الى جبل جيليز مع وصيفه. وفي تعطير الأنفاس (ان الله أنبع عينا في ماء وجعل يتعبد في ذلك الجبل والفقير معه يخدمه)(73).

وتكتنف سيرته ثغرات ونقط استفهام، ابتداء من تاريخ حلوله بمراكش. فبدل أن تقدم

(67) اخبار أبي العباس 1، واظهار الكمال 158.
(68) اخبار أبي العباس 1، تعطير الأنفاس 10، اظهار الكمال 158.
(69) اخبار أبي العباس 6، اظهار الكمال 160.
(70) السعادة الأبدية 1 / 116.
(71) وردت هذه الكرامات في كل تراجم أبي العباس، اخبار أبي العباس 11-18، السعادة الأبدية وتعطير الأنفاس لابن الموقت، واظهار الكمال والاعلام للمراكشي.
(72) تعطير الأنفاس 12-30-31.
(73) تعطير الأنفاس 32.

المصادر تفاصيل عن حياته تكتفي بسرد مجموعة من الكرامات المنسوبة إليه. فغلبت بذلك جانب الأسطورة على جانب الواقع فلا يبقى إلا استخلاص ما يمكن استخلاصه منها مما يلقي بعض الأضواء على سيرة الشيخ أبي العباس، مع العلم أنها -سواء صحت نسبتها إليه أو لا- تعبر عن هموم البيئة التي عاش فيها وتطلعاتها وآمالها.

لقد بقي بخلوته أربعين سنة (من سنة أربعين الى ثمانين وخمسمائة) وهي السنة التي تولى فيها يعقوب المنصور الحكم. ونعرف ميل هذا الأخير الى مجالسة الصلحاء واستدعائه لهم في حين ان جده عبد المومن لم يكن يعترف بولي غير شيخه ابن تومرت (امتحَنَ أبا يعزى)(74).

ومع تسليمنا بوجود بعض الزهاد في جيليز، فإننا لا نعرف نوعية الحياة التي كانوا يحيونها على ظهره. ولم تصلنا أسماء الشيوخ والعلماء الذين أخذ عنهم أبو العباس بالجبل ذلك لأن حضوره الى مراكش كان بقصد طلب العلم كما أسلفنا. ونفهم من بعض الكرامات انه كان منقطعا بالجبل لا ينزل الى المدينة. فرفيقه مسعود الحاج كان ينزل وحده اليها لأداء صلاة الجمعة(75).

وفي هذه المرحلة من حياته كان يزور الشيخ أبا يعقوب بن أمغار بتيط. فقد ذكر الزموري نقلا عن صاحب انس العارفين، ان الشيخ المذكور كان جالسا في مسجده الذي بناه على ضفة البحر مع شاب جميل الصورة، بديع الجمال، أبيض اللون. يتحدث معه في فنون العلم. ولما أحضرت الخادم لهما الطعام تعجبت من حسن الشاب وجماله، وأساءت الظن بالشيخ، فجعلا ياكلان وهي جالسة. فلما استوفيا من الأكل، سأل الشاب الشيخ في الدعاء فدعا له وودعه. فجعل الشاب يمشي على ماء البحر والخادم تنظر اليه. فالتفت إليها الشيخ قائلا : لا تسيئي الظن بأولياء الله تعالى يا خبيثة النفس، واعلمي ان ذلك الشاب هو الولي المتبرك به شرقا وغربا، برا وبحرا، أبو العباس السبتي أتى اليوم لزيارتنا. على عادته(76).

فهذه الصفات لا تنطبق الا على هذه المرحلة من عمره. ويؤكد هذا الخبر ما سلف من ظهور آيات الصلاح على أبي العباس وهو صغير السن. ويمكّننا هذا الخبر كذلك من اعتبار أبي يعقوب بن امغار من شيوخ السبتي إذ كان يجالسه ويتحدث معه في فنون العلم، ويطلب دعاءه متحملا في سبيل ذلك قطع خلوته بجيليز.

---

(74) التشوف 195.

(75) تعطير الأنفاس 23-24.

(76) بهجة الناظرين للزموري 119 أ/ب نسخة خاصة، وتعطير الأنفاس 7-8.

وظروف دخول أبي العباس لمراكش، وقطع خلوته الطويلة يكتنفها الغموض. فإذا كنا متأكدين من تمام ذلك على عهد المنصور، فإن الاختلاف واقع في التاريخ والسبب :

- فعند البعض ان وصول اخبار كرامات أبي العباس بعد نزوله جيليز، جعل المنصور وأعيان المدينة يطلعون اليه للتبرك. ودعاه الخليفة الى الاقامة بالمدينة وحبس عليه مدرسة للعلم والتدريس ودارا للسكنى(77). ولعل ذلك قد تم في بداية حكم المنصور، فيكون السبتي قد قضى -كما في المصادر- أربعين سنة في الخلوة. (من أربعين الى ثمانين وخمسمائة).

- الا ان الشائع والمعروف ان المنصود كان يعاني من عذاب نفسي بعد قتله لأخيه عمر، وعمه سليمان، فاقترح عليه مريد (أو مريدة) أن يتصل بأبي مدين. فأرسل في طلبه من بجاية. إلا ان الشيخ عاجلته منيته عند حلوله بتلمسان فأوصى رسل الخليفة باخباره ان دواءه عند أبي العباس السبتي.

وعند ذلك استدعى المنصور الشيخ الى قصره(78).

وهذا الرأي الأخير لا يتفق وتواريخ الأحداث :

أ- فالثابت ان أبا مدين توفي سنة أربع وتسعين وخمسمائة.

ب- تاريخ مقتل عمر وسليمان هو سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة. وبالفعل شعر المنصور اثره بعذاب نفسي عبر عنه صاحب المعجب بقوله «واظهر بعد ذلك زهداً وتقشفاً وخشونة ملبس ومأكل»(79). فلا يعقل أن ينتظر المنصور كل هذه السنوات بحثا عن وسيلة لمعالجة ما يعانيه.

ثم ان تاريخ أربع وتسعين وخمسمائة غير مقبول إذ انه سيجعل من مدة خلوة أبي العباس أربعا وخمسين سنة بدل أربعين سنة المتفق عليها في كل المصادر.

ولن يبقى الا سبع سنوات لسنة واحد وستمائة، تاريخ وفاته، في حين ان الروايات والمصادر تتحدث عن بناته اللاتي تزوجن وهو بقيد الحياة. وبالصبع فإنه لم يتزوج وينجب إلا بعد انتهاء الخلوة واتصاله بالمنصور.

وبهذا فتاريخ ثمانين وخمسمائة أكثر ملاءمة للأحداث وتوافقا مع الوقائع. وقد يكون

---

(77) اخبار أبي العباس 3. اظهار الكمال 142-143.

(78) اظهار الكمال 155-156. رواها عن روض الرياحين في حكاية الصالحين، حكاية رقم 456.

(79) المعجب 278.

ما روي على لسان أبي مدين مجرد وضع أراد به أصحابه الرفع من شأن أبي العباس عندما يجعله أبو مدين (قطب المغرب، وسيد الطائفة في زمانه) -كما تقول الرواية- في مستواه ويقوم مقامه.

وأبو مدين كما بيننا هو الذي انتهت إليه مدارس الغزالي والجيلاني وأبي يعزى أي أقطاب الشرق والغرب.

وهذه المرحلة من أخصب مراحل حياة أبي العباس ففيها تم نشر مذهبه على نطاق واسع، إذ كان يطوف بنفسه في الأسواق ويحث الناس على الصدقة وعلى المتاجرة مع الله (درهم يساوي عشرة) -كما كان يقول-.

ويبدو من خلال الكرامات انه كان كثير الحركة والعمل يساعد المحتاج، ويطعم الجائع، وينصر المظلوم، ويستسقي به الناس أثناء القحط والجفاف. وكان ذلك حلما من الشيخ، إذ ان الروايات تجعل أهل مراكش (الأولياء والفقهاء على السواء) يسيئون إليه، ويعتبرونه ملامتيا، أو كافرا، أو ساحرا، وقليل منهم من أحسن الظن به(80).

وفي هذه الفترة كذلك كوّن الشيخ أسرته فقد أعطاه المنصور دارا بأحواز جامع الكتبيين (فندق مقبل بحي أكدير) فتزوج وأنجب عدة أولاد ذكورا وإناثا(81)، ورد ذكرهم في عدد من كراماته(82). وتذكر له المصادر حفيدا هو أبو زكرياء فتقول بأنه كان بجانبه وهو يسلم الروح، وكان يعلم حبه لقصيدة شيخه الفخار :

عقدت عليك ممكنات خواطري   عقد الرجاء فالزمتك حقوقا

فأنشدها له وهو في النزع الأخير، فمد يده إليه الى أن أخذ بيده وقبلها فقال له الحفيد «قل لا اله إلا الله». فأخذ بيده الى موضع قلبه كأنه يقول له : هي في قلبي(83).

والظاهر ان واحدا وعشرين سنة الفاصلة بين زواجه ووفاته غير كافية لكي يكون له حفيد في مثل هذه السن وعلى هذا القدر من رباطة الجأش سواء من جهة أبنائه أو بناته، ويؤكد وجود رواية أخرى لاحتضاره، رواها ابنه عبد الله قال : «لما احتضر أبي دنا منه أبو يعقوب الحكيم وكان صديقه، فقال له أوْصِنَا بما نفعله بعدك، فقال : ليس إلا الإحسان،

(80) اظهار الكمال 158.
(81) تعطير الأنفاس 26 و 36.
(82) تعطير الأنفاس 35-36-45-46-73. والاعلام 4 / 330.
(83) اخبار أبي العباس 8، وتعطير الأنفاس 73.

ولسانه ثقيل لا يكاد يبين الكلام(84)، فأيهما حضر وفاته بالفعل، وأي الخبرين أصح. ان القرائن ترجح الخير الثاني.

وكان السبتي يدرّس اللغة والحساب بالمدرسة التي حبسها عليه المنصور بحي أكدير. وهو المكان الذي بنيت به الكتبية.

إلا أننا لا نعرف شيئا عن الكتب المدروسة وطريقة التدريس، ولا أسماء تلامذته. كل ما وصلنا هو اجتماعهم في الليل وارتفاع أصواتهم بالمذاكرة، الشيء الذي يجر عليهم أحيانا غضب حراس الليل(85)، وتوزيعه أجرته على المحتاجين من الطلبة، وتحضير الطعام لهم.

من أشهر تلامذته : أبو يعقوب يوسف بن محمد بن الحسن الأنصاري المعروف بابن الحكيم (توفي سنة خمس وستمائة) قيل انه كان كثير التأسف والتلهف على شيخه حتى مات بحبه(86). وأبو بكر بن مساعد بن محمد اللمطي، لازم أبا العباس مدة طويلة. وقد لقيه ابن الزيات وأخذ عنه كثيرا من أخبار السبتي وكراماته(87).

صفّاته : حدثنا الزموري بتفصيل -في الخبر السابق الذكر- عن صفاته الخَلقية (بفتح الخاء) في خبر اتصاله بأبي يعقوب بن أمغار.

وتُطنب المصادر في الحديث عن صفاته الخُلقية (بضم الخاء) أهمها : بسطة اللسان والقدرة على المجاذلة والكلام، لا يناظره أحد إلا غلبه. وكان سريع الجواب كأن القرآن ومواقع الحجج على طرف لسانه عتيدة حاضرة يأخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصة، يأتيه من يأتيه للانكار عليه فما ينصرف إلا وقد سلم له وانقاد لقوله(88). وهي صفة يحتاج إليها صاحب مذهب كأبي العباس.

كما كان كثير الدعابة ولكن مع قول الحق، كأن يقول لمن يحب التقدم والزعامة (التّيس)، ولمن يحرص على الدنيا (يا قطيم). وغير ذلك من الألفاظ التي تستكره(89). ويرفض الغيبة ولو كان ذلك عن طريق المفاضلة بين الشعراء، فقد طلب منه ابن مساعد رأيه في شعر لابن حبوس وأبي العباس الجراوي فاعتذر عن الجواب لأن فيه غيبة إذ سيعز على

(84) اخبار أبي العباس 8.
(85) اخبار أبي العباس 3، وتعطير الأنفاس 26.
(86) التشوف 417، السعادة الأبدية 1 / 118-119، واظهار الكمال 154.
(87) الاعلام 1 / 406.
(88) بادرة الاستعجال مخطوطة خاصة 39، واظهار الكمال 167.
(89) تعطير الأنفاس 21.

أحدهما ان يفضل على الآخر(90).

وكان كلما أنشدت أمامه أبيات غزلية عارضها بأبيات في الحث على الصلاة والعبادة(91). وكان قائما على الحق يحمل السوط ويمشي في الأسواق يحض الناس على الصدقة والصلاة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وقد تحمل في سبيل ذلك كلامهم وإيذاءهم.

مذهبه : يرتفع سند أبي العباس في الطريقة الى الأقطاب، الغزالي، الجيلاني، أبي يعزى بواسطة سندين :

1 - عن أبي عبد الله الفخار شيخه بسبتة
- عن القاضي عياض
- عن أبي بكر بن العربي
- عن الغزالي وأبي يعزى.

2 - عن أبي عبد الله الفخار
- عن القاضي عياض
- عن أبي علي الصدفي
- ععن عبد القادر الجيلاني(92).

ومع أخذه عن هؤلاء الشيوخ يبقى مذهبه القائم على الصدقة متميزا : فأبو يعزى وان اشتهر بتوزيع تسعة أعشار من زرعه والاكتفاء بالعشر(93)، فإن الأمر لم يصبح عنده مذهبا ينظر له، وينذر حياته لتطبيقه.

وترجع الروايات جذور هذا المذهب الى طفولة أبي العباس، عندما سأل شيخه الفخار عن معنى قوله تعالى {ان الله يامر بالعدل والاحسان}(94). واكتملت معالمه أثناء خلوته الطويلة في جبل جيليز حيث كان كثير التدبر في القرآن الكريم والعبادات. وهكذا فإنه يرد أصول الشرع الى الصدقة :

- فالتكبير للصلاة معناه التخلي عن كل شيء وعدم الضن على الله بشيء. والركوع معناه

(90) اخبار أبي العباس 9.
(91) اخبار أبي العباس 9، واظهار الكمال 129.
(92) تعطير الأنفاس 13، وإظهار الكمال 157-173.
(93) اظهار الكمال، عن المعزى 172-173.
(94) سورة النحل آية 90.

المشاطرة، والسلام من الصلاة الخروج من كل شيء.

- والمعنى الحقيقي للصوم الشعور بالجوع للتصدق والعطاء.
- والزكاة فرضت كل سنة لتعويد الناس على البذل والعطاء في كافة أيام السنة.
- والحج معناه التجرد من كل شيء، والبذل لله وإظهار العبودية.
- وسر الجهاد بذل لنفس في مرضات الله، وترك التعلق بأسباب الدنيا(95).

ولاحظ أن كثيراً من الآيات والأحاديث تحض على الصدقة وتدعو إليها :

- ففي قوله تعالى : {فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى...}(96) إشارة الى ان أصل الخير في الدنيا والآخرة الاحسان، وأصل الشر البخل.

- ولما أراد الله هلاك آل فرعون دعا عليهم بالبخل {ربنا إنك اتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا، ربنا ليضلوا عن سبيلك،... الآية}(97).

- ومن الأحاديث التي تنص على فضائل العطاء والبذل، قوله صلى الله عليه وسلم : «اتقوا النار ولو بشق ثمرة».

والآيات التي كانت تأتي على لسانه، ويوضح بها مذهبه كثيرة، تدور كلها حول الصدقة والإحسان والعطاء(98). إلا ان قوله تعالى {ان الله يأمر بالعدل والاحسان} هي أكثرها ورودا علي قلبه ولسانه -كما قال- يفسرها تفسيرا خاصا يوضح به مذهبه :

فالعدل : عنده هو المشاطرة، وقد علم الرسول المسلمين مفهومها عندما آخى بين المهاجرين والأنصار، وشاطر الأنصار المهاجرين. فعقد السبتي مع الله الا ياتيه شيء الا شاطره اخوانه المومنين من الفقراء، فسار على ذلك عشرين سنة، يتصدق بنصف ما يملك (من سنة أربعين الى ستين وخمسمائة).

- بعد ذلك عاد للتدبر في الآية، فوجد ان العدل هو الشطر، وان الاحسان ما زاد عليه. إذن فالاحسان هو المشاطرة والإيثار أي إعطاء النصف مع إيثار المحتاج ومساعدته من النصف الثاني. فعقد مع الله عقدا آخر يمسك بمقتضاه الثلث ويتصدق بالثلثين. فعمل بذلك مدة عشرين سنة أخرى (من ستين الى ثمانين وخمسمائة) ونتج عن هذا العقد ان مكّن الله أبا العباس بالولاية والعزل في الخلق، ولعل هذا ما قصده ابن عربي عندما قال في الفتوحات

(95) اخبار أبي العباس 2 / 7، تعطير الانفاس 12 / 13 / 18، اظهار 120 / 121.
(96) سورة الليل آية 6.
(97) سورة يونس آية 88.
(98) اخبار أبي العباس 2، تعطير الأنفاس 13 / 19 / 20، واظهار 134.

المكية (دخلت مراكش فوجدت أبا العباس السبتي يولي ويعزل، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع، فتمنيت هذا المقام)(99).

– ولم يقف أبو العباس عند هذا القدر فأراد تجاوز مقام الاحسان بشكر النعمة، فقسم ما يأتيه الى سبعة أقسام : قسم هو حق النفس، وقسم حق الزوجة والأولاد ومن تجب نفقته (كان عددهم اثنين وثلاثين شخصا)، ويصرف الباقي لمستحقيه فأقام على ذلك أربع عشرة سنة، فصار بمقتضاه مجاب الدعاء(100).

ويلغت درجة الاستجابة حدا جعل القدماء يقولون لا يمكن لأي مخلوق أن يساوي عبادة الحسن البصري، وزهد داوود الطائي، ومعارف أبي مدين، وهمة أبي العباس السبتي. أي أنه كانت له همة عالية تنفعل لها الأشياء علي مقتضى مراده بقدرة الله تعالى(101) كما أخبر بذلك عن نفسه في مثل قوله (احكم بالخاطر وكل ما أردته كان) وقوله (احكم في السماء)(102).

وفي حديث مروي عن أبي الحسن علي بن زكرياء انه قال : سمعت أبا العباس يقول : انا هو القطب(103).

وقد سمع ابن رشد بمذهب أبي العباس فأرسل أبا القاسم عبد الرحمن بن ابراهيم الخزرجي من قرطبة ليأتيه بخبره. ولما أعلمه بما رآه وسمعه أثناء مقامه مع السبتي قال ابن رشد (هذا رجل مذهبه ان الوجود ينفعل بالجود)(104) أي ان الصدقة تعاقد بين الخالق والمخلوق نتائجه مضمونة.

لهذا كان يدعو الناس الى المتاجرة مع الله : الدرهم بعشرة إشارة الى قوله تعالى : {من جاء بالحسنة فله عشرا مثالها}(105). ويحثهم في الأسواق والمحلات العامة على حل مشاكلهم، وتحقيق مطالبهم عن طريق الصدقة والاحسان.

وظل مخلصا لمذهبه الى حين وفاته، اذ أوصى –وهو يحتضر– بالاحسان (سنقف على

(99) سورة الليل آية 6
(100) اخبار أبي العباس 2 / 7 / 17. تفاصيل المذهب في اظهار الكمال 125 / 127 و 136 / 137، وتعطير الأنفاس 16 / 18.
(101) تعطير الانفاس 23.
(102) اظهار الكمال 166.
(103) تعطير الأنفاس 22، اظهار الكمال 130 / 187.
(104) اخبار أبي العباس 2، تعطير الانفاس 18، واظهار الكمال 121.
(105) سورة الأنعام، آية 160.

أهمية هذا المذهب واثره في مجتمع المدينة من خلال تحليل بعض كرامات أبي العباس في الفصل اللاحق).

وكانت لأبي العباس زاوية بحي اكَدير يدرّس بها، ويستقبل المريدين والمحتاجين وقد ورد ذكرها في بعض كراماته(106)، وفيها ان المريدين والطلبة كانوا يرفعون أصواتهم عند الاجتماع لتلاوة الأوراد والأذكار أو قراءة القرآن.

وهذه الأوراد هي حزب الشيخ أبي العباس (اللهم أفضلت فعم افضالك) ذكره أغلب الذين ترحموا له(107).

وكان قادريا كما بيننا في سنده. ويقوم الورد القادري على تكرار عبارات الاستغفار والهيللة، والتسبيح والتصلية عددا من المرات في الصبح والمغرب اضافة الى أحزاب خاصة وردت مفصلة في كتاب "نعت البدايات"(108).

بعد وفاة أبي العباس لم يستطع أحد من أفراد أسرته أو من تلامذته(109) اتباع مذهبه في الصدقة بنفس العزيمة والحماس والاصرار. فمحاولات كل من أبي الحسن علي اللحائي، وشيخه محمد بن موسى الحلفاوي الاشبيلي لم تصل الى مستوى همة أبي العباس :

- فالأول (كان له معي في حوائج المسلمين، وتفريق الصدقات على الفقراء والمساكين، وكان يأخذ في إيصال الحقوق ونصر المظلوم... وكان يجري على المحتاجين منهم بالنفقة المرتبة اليومية)(110). وسلك في ذلك طريقة شيخه الحلفاوي.

- اما الحلفاوي (المتوفى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة) فكان يسلك طريقة الإيثار على المحتاجين. وربما تكفلت صدقته بجميع مؤن المحتاج من قوت ومن لباس فيكفيه السؤال طويل مدة(111).

اقتصرت طريقتهما إذن على توزيع الصدقات على المحتاجين دون أن تنص على فكرة المتاجرة التي نجدها أساس مذهب أبي العباس.

(106) اخبار أبي العباس 3، تعطير الانفاس 32 / 34. سنحلله في الفصل 3 من هذا الكتاب
(107) تعطير الأنفاس 68-69، اظهار الكمال 200، الاعلام 1 / 320-322.
(108) نعت البدايات وترصيف النهايات، لماء العينين بن محمد فاضل، ط. مصر 1331، ص 190-191.
(109) في تعطير الأنفاس ص 40، ذكر لأحد تلامذته فتح زاوية بالحوز للاطعام فلم ينجح، إذ زاره شيخه فوجده مدينا بسبعين قنطارا من الزيت اطعم بها المريدين والوافدين، لم يذكر اسمه.
(110) انس الفقير 77.
(111) ورقات عن الحضارة المغربية على عهد بني مرين 239-240.

لقد كان أبو عبد الله الصالح بن محمد بن الطيب البناني أكثر جرأة عندما نادى في إحدى شطحاته الصوفية خلال منتصف القرن الثالث عشر للهجرة (درهم أبي العباس بعشرة، ودرهمي بألف... أعطاني الله التصرف حيا وميتا)(112) لكن البناني -مع ارتفاع فائدة درهمه- لم يفد مجتمعه ولم يؤثر فيه كما فعل السبتي الذي تعدى تأثيره مجتمع النصف الثاني من القرن السادس، ليبقى مستمرا الى الآن.

والى جانب زاوية أبي العباس عرفت المدينة زوايا أخرى تابعة للطريقة القادرية، هي :

- زاوية درب ضباشي، وهي الزاوية الأم بالمدينة، ومنها يستمد سكان الحوز والنواحي الطريقة والورد ويأخذون العهد.
- زاوية روض الزيتون القديم، وروض الزيتون الجديد.
- زاوية باب دكالة.
- رباط ابن صالح، ورباط درب أمزميز بالقصبة. وهما خاصان بالاجتماع ولا تتلى فيهما الأوراد والأذكار(113).

خامسا - الطريقة الاغماتية الهزميرية بمراكش :

قال ابن قنفد عن الهزميريين : «وهم طائفة الشيخ الولي الشهير أبي زيد عبد الرحمن الهزميري، ولهم إخوة محدثة بطائفة أبي زكرياء وسائر الطوائف لهم إخوة بطائفة أبي محمد صالح»(114).

مؤسس الطريقة هو محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الهزميري، نشأ في بيئة اغمات المتدينة ودرس على علمائها. وكان لها -ككل أتباع أبي محمد صالح- ولع خاص بكتب الغزالي التي انكب بنفسه على دراستها. فشارك والده في تربية النشء وتعليمه، وانتهت إليه بعده الرياسة في علوم الطريق.

بعد وفاته سنة ثمان وسبعين وستمائة للهجو، حل محله أخوه أبو زيد عبد الرحمن الهزميري، وممن صحبه وتتلمذ عليه :

- أبو عبد لله محمد بن تيجلات المراكشي مؤلف كتاب "اثمد العينين" الذي تحدث فيه عن الهزميريين وطائفتهما وأتباعهما.

---

(112) اظهار الكمال 186.

(113) Les zaouias de Marrakech et de la région voisine L. Voinot R.G.M. n° 1 1937 p. 3-53.

(114) انس الفقير 66.

- أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي العددي
- محمد بن احمد بن شاطر الجمحي المراكشي(115).

وتعاليم الهزميري هي مزيج مما في كتب الغزالي ورائية الشريشي ومذهب الملامتية. ويشترطون الشيخ في طريق التصوف ولابد أن يتصف بالعلم والعمل والورع والزهد والتواضع والمعرفة بالله ودوام الذكر. وعلاماته الورع والانصاف والتواضع ومداواة نفسه قبل غيره.

اما المريد فيشترط فيه التلطيف والتأدب مع شيخه، وعدم إنكار أحواله والاعتراض عليه، مع دوام الانتباه من الغفلة، والتبري من الخطرات المذمومة، والتدرج في أحوال محددة، الى أن يوذن له بتلاوة الأذكار.

ومن شروطها كذلك الخلوة لمدة معينة، وجواز السماع. وملخص أصول الطريقة : اجتناب المحارم، أداء الفرائض، ترك الدنيا لأهلها مالا وجاها، الصدق، الاخلاص(116).

انتشرت هذه الطريقة خارج اغمات فبلغت قبائل هزرجة وهيلانة ودرعة وانتقلت الى مراكش على يد احمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء العددي، تمييزا له عن ابن البناء السرقسطي، وابن البناء الاشبيلي. ولد بحي قاعة بناهض سنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة، وتوفي به سنة واحد وعشرين وسبعمائة(117). ودرس بها على مجموعة من العلماء(118)، أشهرهم أبو زيد عبد الرحمن المذكور. ودخل في طريقته واعطاه ذكرا ذخل به الخلوة مدة سنة. ودعا له.

وهناك من يفسر نبوغ ابن البناء في الهندسة والحساب والهيئة بدعاء شيخه له (مكنك الله من علم السماء، كما مكنك من علوم الأرض) وقيل بأنه أراه ليلة دائرة الفلك مشاهدة حتى عاين مجرى الشمس، وقال له «ان الله تعالى قد فتح لك فيما أراد» فأخذ من وقته في علم الهيئة والنجوم حتى أدرك منها الغاية(119). وألف فيها مؤلفات عديدة كان السباق فيها الى إبداع نظريات، والوصول الى أحكام كان لها شأن في المشرق والمغرب(120).

وأكد ابن البناء ذلك عندما أقر بذهابه الى شيخه كلما أشكل عليه شيء، أو استعصت

(115) ورقات عن الحضارة المغربية 239.
(116) انظر تفاصيل الطريقة في أثمد العينين لابن تجلات المراكشي، م.خ.ع.ر. 935 م.خ.ح. 380.
(117) السعادة الأبدية 1 / 71.
(118) انظر أسماءهم في السعادة الأبدية 1 / 73.
(119) السعادة الأبدية 1 / 71-72.
(120) انظر ذكريات مشاهير رجال المغرب عدد 32، في شأن مؤلفاته.

على فهمه مسألة علمية. فيجد الجواب الشافي بدون سؤال منه(121) قال ابن قنفذ : «حدثني غير واحد ممن لقيت من الاعلام، ان انتفاع ابن البناء في علومه ومنزلته الدينية والدنيوية انما كان من بركة الهزميزي لأنه بلغ في دينه النهاية وفي دنياه الغاية»(122).

من أهم مؤلفات ابن البناء الصوفية :

- عوارف المعارف في حقيقة النظر للعارف.

- مراسم الطريقة في علم الحقيقة : وهي أرجوزة رد فيها على المتكلمين والفلاسفة في موضوع التوحيد ومعرفة الله واعتبر علومهم ناقصة اختلط فيها المتوهم بالمحقق وبوساوس الشيطان، مشيواً الى ان مذهب الأشعري هو أصح المذاهب في اثبات وجود الله والإيمان به لاعتماده على النص القرآني الذي يحمي من التشرذم والتنازع والتفرقة.

وقد أخرج سبعة مراسم من (لبسم الله الرحمن الرحيم) :

- المرسم الأول، يفهمك نسبة الفعل لفاعله من جهة الادراك فهو مضمن الباء.
- المرسم الثاني، من مضمن الاسم.
- المرسم الثالث، من مضمن الألف واللام.
- المرسم الرابع، التعليق من باب الوجود باسم الله، فإنه اسم للتعلق لا للتخلق.
- المرسم الخامس، من مضمن لام التعريف.
- المرسم السادس، النظر في مقتضى الرحمانية.
- المرسم السابع، التعريف بخصوص محقوق بالحق من معنى لام تعريف الرحيمية لتمييز الحق من الباطل، فلا يبقى للباطل ثبوت. وختم بمعنى الرحيمية.

وهذا موقف سني من اثبات وجود الله، ذلك ان كثيرا من العلماء يصرون في تقرير صفة الجسمية على اتباع المسلك الشرعي بعدم التصريح بنفي أو اثبات حفاظا على وحدة الكلمة داخل الجماعة الاسلامية.

ومن تلامذة ابن البناء في العلوم والطريقة :

- أبو زيد عبد الرحمن اللجائي الذي كان يدرس عليه بمراكش، وقد بلغ درجة من العلم والمعرفة فكان يقول : ما وجدت الا بركة ابن البنا، وما وجد ابن البناء الا بركة

---

(121) انس الفقير 66.
(122) انس الفقير 66.

الهزميري(123).

- احمد بن ابراهيم بن صفوان من أهل مالقة. قال عنه صاحب الاحاطة (أديب من أدباء هذا القطر... إمام الفرائض والحساب... ومشارك في الفلسفة والتصوف، كلف بالعلوم الالهية، آية الله في فك المعمي، لا يجاريه في ذلك أحد ممن تقدمه)(124).

من مصنفاته مطلع الأنوار الالهية، وبغية المستفيد، وشرح كتاب القرشي في الفرائض وله أشعار في التصوف، وذم الدنيا، أورد منها ابن الخطيب نماذج في الاحاطة(125).

وكان زوار ابن البناء ومريدوه يتصلون به في بيته بدرب الريحانة بقاعة بناهض للزيارة أو أخذ العهد. واحتفظ لنا ابن قنفد بصورة لما كانت عليه حياة هذا العالم الصوفي بالمقارنة مع ما كان عليه صوفية العصر.

ففي الوقت الذي وجد فيه أبو عبد الله الكومي المراكشي الشيخ أبا عبد الله البقوري (بين كتبه على التراب وعليه مرقعة غليظة وعرقه يقطر...) وجد ابن البناء عند زيارته له (في قبة رياضه... وعليه ثياب كتان من تونس، وفي القبة أقطعة ومخايد) وقدم له آنية بالسكر وأخرى بالبطيخ.

ولما خطرت بباله المقارنة بين الرجلين، أجابه ابن البناء : لو كان البقوري في هذا المقام، وأنا في مقامه لاختل حال كل منا(126).

وعلى كل فإن في حال ابن البناء هذا مخالفة لأصل من أصول الطريقة الهزميرية القاضي بترك الدنيا لأهلها مالا وجاهاً.

المطلب الثاني

المرحلة الثانية : الجزولي وما بعده

انتهت قنوات الطريق الممتدة من الجزولي عبر مشاهير الشيوخ كالغزالي وأبي يعزى والجيلاني وأبي مدين. الى عبد السلام بن مشيش وتلميذه الشاذلي. واستطاع الشاذلي أن

(123) انس الفقير 66.
(124) الاحاطة 1 / 221-222، ط. 2، القاهرة 1973.
(125) الاحاطة 1 / 223-232.
(126) انس الفقير 67-68.

يترك آثاره في طريقة شيخه فأصبحت تعوف باسمه. إلا ان الشاذلي قضى فترات من حياته بالمشرق فاشتهرت به أكثر من شهرتها بالمغرب، بل لقد كادت تندثر منه.

وتأتي أهمية الجزولي من كونه مجدد الطريقة الشاذلية، فقد أعاد تنظيمها ونشرها بالمغرب. ساعده مستواه العلمي على ذلك، فعرفت بالطريقة الجزولية. وبالرغم من ان زروقاً قد قام في فاس بعمل شبيه بعمل الجزولي في الجنوب، الا ان اتباع هذا الأخير والطرق المتفرعة عنه أكثر عددا وانتشارا، كما ان كثيرا من الذين درسوا على زروق أخذوا كذلك على الجزولي. فزاد ذلك من أهمية الجزولي ومكانته.

ويتميز التصوف بمراكش ابتداء من الجزولي وما بعده :

- بما عرفته الطريقة الجزولية من تفرعات غطت المدينة والاقليم، ونشرت بها زوايا تابعة لها.
- بأهمية الأدوار السياسية لهذه الطرق خلاقا لما كان عليه الأمر من قبل، فرابطة الغار، ومذهب أبي العباس، والطريقة الهزميرية، كانت لها اهتمامات تربوية/اجتماعية أكثر من غيرها.

وسنحاول في هذا المطلب التعرف الى الجزولي وطريقته وانتشارها بمراكش، ثم الطرق المتفرعة عنها، والزوايا التابعة لها بالمدينة.

أولا : الجزولي وطريقته

يرجع المؤرخون نسب أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان. السملالي الجزولي الى علي بن أبي طالب، وقد اعتمدوا على قوله : «ليس العزيز من تعزز بالقبيلة وحسن الجاه، وإنما العزيز من تعزز بالشرف والنسب انا شريف في النسب، حدي رسول الله صلى الله عليه وسلم»(127).

وقد نظم عبد السلام بن الطيب القادري هذا النسب في كتابه "الاشراف على نسب الأقطاب الأربعة الاشراف"(128). وعرض للخلل الحاصل فيه وهو عدم اتفاق النسابة على وجود ابن لعبد الله اسمُه جعفر مشيرا الى سقوط اسم عدي بينهما.

ويستبعد محمد المهدي الفاسي انتساب الجزولي الى الأشراف الحسينيين حسب ما ورد في نسخة "معتبرة" -كما قال- من دلائل الخيرات، بل يوجع انتسابه الى الحسنيين خاصة وأن

(127) ممتع الاسماع 5، بادرة الاستعجال 50، اظهار الكمال 236.
(128) م.خ.ع.ر. 310 د، ص 31-32.

المعروف ان سليمان بن عبد الله الكامل بن حسن نزل بتلمسان ودخل أكثر أولاده الى لمطة وسوس الأقصى، فلا يبعد ان يكون اسمه قد سقط في تسلسل النسب(129).

ويكتنف سيرة الجزولي كثير من الغموض. فالمراحل غير واضحة، والآراء فيها متضاربة. كما يطغى الجانب الاسطوري على الواقع مما يجعل الخروج من هذا كله برسم موضوعي لسيرة الشيخ من الصعوبة بمكان.

رأى الجزولي النور في مدشر "تانكرت" في سوس ببلاد الساحل على واد يعرف بهذا الاسم. ولا نعرف متى كان ذلك على وجه التحديد (آخر القرن الثامن) ويصعب التقرير ما دامت المصادر لم تشر الى عمره عند وفاته، واختلفت في تحديد تاريخ وفاته نفسه.

وقد خرج الجزولي من بلاده لقتال بها(130)، فقد عرفت سوس في آخر القرن الثامن وبداية القرن التاسع صراعات داخلية إذ كانت من أكثر المناطق خروجا على المخزن ورفضا لسلطته من جهة، ومواجهة للاستعمار البرتغالي الذي تسرب الى المنطقة(131).

وقصد مدينة فاس لطلب العلم، فنزل بمدرسة الصفارين. وكان يعيش حياة عزلة وتأمل، إذ لم يكن يُدخِل أحدا الى غرفته التي كان يخلو فيها بنفسه، بعدما نقش على جدرانها كلمة الموت/الموت/الموت... وهذا مظهر من مظاهر عدم الاستقرار، والبحث عن شيخ مرب يمكن السلوك على يديه. لذلك اضطر الجزولي الى السفر الى المشرق للاتصال بالعلماء والشيوخ المربين.

وتحدد الروايات المدة التي قضاها به بسبع سنوات، طاف فيها مدن الحجاز ومصر، ومدينة القدس. وأخذ بالأزهر على عبد العزيز العجمي(132).

ويبدو انه لم يعثر على ضالته مع طول أمد جولتة، وتنوع أماكن زيارته فعاد الى المغرب وحل بفاس من جديد. وإن كان الأمر قد اختلط على بعض المصادر وفيها ألف كتابه الشهير "دلائل الخيرات" من كتب خزانة القرويين(133).

والتقى الإمام زروق الذي أرشده الى الشيخ المربي، والمعين على سلوك الطريق وهو أبو

---

(129) ممتع الاسماع 3.
(130) الاستقصا 4 / 122.
(131) Les berbères et le maghzen R. Montagne
(132) ممتع الاسماع 22.
(133) اظهار الكمال 238.

عبد الله محمد امغار (الصغير) بتيط(134).

نزل الجزولي عند شيخه وأخذ عليه ورْد الشاذلية، ودخل فترة خلوة وتأمل وعبادة بإشارة منه -حسب ما قيل- الا أنها طالت حتى بلغت أربع عشرة سنة فلم يخرج منها إلا وقد أخذت الكرامات تصدر عنه -حسب تعبير صاحب الممتع(135)- وكان مشددا على نفسه يمضي الليل والنهار في تلاوة أوراده، وهي (سلكتان من دلائل الخيرات، ومائة ألف من بسم الله الرحمن الرحيم، وسلكة يختمها كل ليلة وربع السلكة من القرآن)(136).

وتختلف الروايات حول توقيت زيارته لمراكش وتعرفه بها الى مريده عبد العزيز التباع، وأسرته بحي القصور. فهناك من يجعلها بعد خلوته وعودته من تيط، ومن يجعلها بعد رجوعه مباشرة من فاس، وفي الحالتين يبقى تحديدها الزمني غير ممكن ما دمنا نجهل كذلك تاريخ ميلاد التباع الذي كان طفلا صغيرا آنذاك.

ويبدو ان فترة الخلوة والتأمل كانت كافية لاكتمال الطريقة وبروزها لدى الجزولي. فشرع في نشرها بين مريديه وتلامذته.

وكانت آسفي من المدن الأولى التي ظهر فيها نفوذ الجزولي. ساعد على ذلك استعداد أهلها لتقبل الطريقة : فقد عرفت فيما قبل طريقة أبي محمد صالح. وبالقرب منها كان رباط گوز أو زاوية هرتنانة. هذه الزاوية التي كانت تعرف تعاليم الشاذلية. فشيخها أبو سعيد عثمان الهرتناني هو شيخ أبي عبد الله محمد الصغير أمغار الذي أخذ عنه الجزولي.

إضافة الى وقوعها في منطقة كان لها تاريخ عريق في التصوف وتقديس الأولياء، وهي رجراجة. فبعض رجالها مدفونون عند مصب تانسيفت بالقرب من المدينة.

لهذا بلغ مريدوه بها خمسة وستين وستمائة واثني عشر ألف، الشيء الذي جعل السلطات المرينية تتضايق منهم، خاصة وان الفترة كانت فترة ضعف السلطان المركزي بفاس. مع ما يترتب على مثل هذه الحالة من ظهور الدويلات الطامعة في الحكم . فأمره الوالي بمغادرة المدينة.

وسيكون مصير الجزولي متشابها في كل المدن والقرى التي سيزورها، ولنفس الأسباب. بل لقد ازداد مريدوه وأنصاره بعد انتشار خطر الاحتلال الأجنبي للشواطئ المغربية،

(134) تحفة الكرام في بعض مناقب غوث الانام قطب جزولة، حسنين بن مصطفى غانم المنفلوطي 7 أ. م.خ.ع.ر. رقم 925 د.

(135) ممتع الاسماع 22 واظهار الكمال 242.

(136) اظهار الكمال 270، وفي الاعلام 5 / 84 (... وفدية من لبسم الله الرحمن الرحيم)

وياس الناس من قدرة الدولة الحاكمة الضعيفة على مواجهة الأحداث.

ففي ماسة بسوس تم اجباره بعد فترة قصيرة من حلوله بها على الخروج، فنزل بافوغال من بلاد الشياظمة. وتمكن "روبير متنتاني وبير دو سينقال" (R. Montagne, P. de Cenival) من التعرف الى هذه القرية التي صارت تعرف باسم "أحد الدار"(137). وفيها اتجه نحو التعليم وتربية المريدين. وقضى زهاء سبع سنوات متنقلا بينها وبين "تازروت". فكثر اتباعه وتلامذته بهما. وسمه حاكمها بعدما تضايق منهم.

ووقع الاختلاف حول تاريخ مقتله إذ جعلوه بين تسع وستين وثمانمائة وخمس وسبعين وثمانمائة للجهرة. ويرجح زروق سنة سبعين وثمانمائة لأن الفقيه أبا عبد الله محمد بن قاسم القوري تلقى سؤالا في شأن عمرو المغيطي الذي قام بعد مقتل الجزولي طالبا بثأره. وبما ان القوري قد توفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة(138)، فإن الشيخ يكون قد توفي قبل هذا التاريخ بالطبع(139).

ومما يشار عند ذكر وفاة الجزولي مصير التابوت الذي تحوي رفاته بعد وقاته، والصراع الذي دار بين الشياظمة وحاحا حول امتلاكه، وتقديمه أمامهم خلال حروبهم. وكذلك نقل السعديين له الى مراكش بعدما دفن مدة في افوغال.

طريقته : شاذلية أصلا، الا أنها عرفت بعض التغيرات :

1- فالجزولي يدعو الى المداومة على ذكر الله تعالى والصلاة على سيدنا محمد لهذا جمع دلائل الخيرات، وعوّد اتباعه على قراءته بل كانت أوراده خلال خلوته هي قراءة القرآن الكريم ودلائل الخيرات والتصلية على النبي. وهي نفسها التي نص عليها في طريقته.

2- جعل الشيخ ضروريا للسلوك (من شرط التائب ان يقتدي بشيخ عالم بالظاهر والباطن)(140)، بخلاف الشاذلية الذين لا يشترطونه.

3- تادب المريد مع شيخه، وهذه الآداب عشرون : خمسة منها في حال الجلوس/ وخمسة في حال الغيبة عنه/وخمسة في حال ذكره/وخمسة في حال صحبته/ لأن من تأدب مع شيخه تأدب مع ربه(141).

(137) Les berbères et le maghzen p. 85.

(138) فهرس ابن غازي تحقيق محمد الزاهي، الرباط 1979 ص 75.

(139) ممتع الاسماع 11-12.

(140) ممتع الاسماع 23 ،اظهار الكمال 256.

(141) ممتع الاسماع 27 . ،اظهار الكمال 261.

4- ويشترط في المريد كذلك ان يتصف بالأخلاق الحميدة منها : محبة الخالق/قلة النوم/الصبر وعدم الشكوى من برد أو حر/تجنب الغضب والحقد/الزهد في المال والجاه/وعدم ترك ما يورث(142).

5- ولعل أهم ما جاء به الجزولي هو حثه على الجهاد ومواجهة الدخيل الأجنبي وقد عرفت دعوته استجابة كبيرة لدى الأوساط الشعبية، الشيء الذي جعل أولي الأمر يتضايقون منه ومن طريقته واتباعه. وكان يردد بين الناس ·دولتنا دولة المجتهدين المجاهدين في سبيل الله)(143).

وقد قسم محمد المهدي الفاسي اتباع الجزولي الى سبع طبقات يكونون أهم فروع الطريقة الجزولية في كتابه "تحفة أهل الصديقية"(144) (ستتاح لنا فرصة الحديث بتفصيل عن هذا الكتاب).

وتقع الزاوية الجزولية بمراكش في حي روض العروس، اشتهرت على الخصوص بعد نقل رفات الجزولي الى مراكش من طرف السعديين.

ثانيا - التباع وطريقته :

لعل شخصية أبي فارس عبد العزيز بن عبد الحق التباع الحرار أكثر غموضا من شخصية شيخه الجزولي. ذلك ان المعلومات القليلة المتكررة التي وصلتنا عنه لا توضح كثيراً من نقط الاستفهام المحيطة بحياته.

نعرف انه من مواليد مراكش، ونجهل التاريخ (أواسط القرن التاسع الهجري). كما أننا نجهل نسبه. وهو أمر مهم باعتبار انتمائه لسبعة رجال، ودور النسب في اختيارهم.

وتنص بعض المصادر على أميته في أول أمره، ففي المعزى ان التباع لما فارق أبا عبد الله الصغير السفياني قصد زيارة الشيخ أبي يعزى وبات عند قبره متضرعا، فرأى في تلك الليلة كأن صدره شق وأدخل فيه القرآن، فكان كلما خاطبه إنسان أتى بنص قرآني. ومثلوا لذلك بقصته مع علي بن محمد الجزولي الدرعي، عندما استأذنه في الرجوع الى أهله، فأجابه الشيخ بالآية الكريمة : (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا

---

(142) قال بأن في الكلب عشر خصال محمودة ينبغي أن تكون في المريد الصادق كالصبر وقلة النوم، والفقر، والقناعة، والاخلاص... اظهار الكمال 163.

(143) ممتع الاسماع 5-6.

(144) تحفة أهل الصديقية من ص 1 الى 64.

للمتقين إماماً)(145).

والهدف من الخبر ابراز اثر بركة الشيخ أبي يعزى في تكوين شخصية التباع، والا فإنه بعد مغادرته لمنزل الصغير كان قد تجاوز فترة التعلم وأخذ عن شيخه الأول "الجزولي"، وشيخه الثاني "الصغير". ونحن نعرف ان أوراد الأول كانت هي القرآن ودلائل الخيرات، وانه كان يربي مريديه بقصيدة أبي الحجاج الضرير في أصول الدين(146). وفترة أخذه عنه كافية -إن لم يكن تكوينه تكوينا تاما- لابعاد صفة الأمية عنه على الأقل.

ونضيف الي هذا انه ذهب الى فاس ودرّس بها، ولقي من أهلها مظاهر الحفاوة والاجلال. وكان يقيم بمدرسة العطارين وبقي بها الى أن لقي أبا الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي فعاد الى مراكش.

وقد ركزت كتب التراجم على علاقته بشيخيه الجزولي والصغير :

- اما الأول فكان لقاؤه به عند زيارته لمراكش. فاستضافه وقاده الى منزل والديه بالقصور (درب ابن حارب)(147). وبالرغم من أن الشيخ توفي قبل أن يستكمل التباع دراسته عليه، فإنه كان يتوسم فيه الخير والصلاح، فكان يقول عنه (النظرة فيه تغني) ووصفه (بالكيميا)(148). لهذا اعتبره وارث سره مع صغر سنه. وقد أوصى به "الصغير السهلي" أكبر مريديه وتلامذته، وكان يقول له : «يا صغير، الله الله في عبد العزيز»(149).

لهذا التحق التباع بشيخه الثاني بعد مقتل الجزولي، ولازمه بزاويته من خندق الزيتون في أحواز فاس ثمان سنوات يخدمه ويأخذ عنه الى ان أذن له بالرجوع الى مراكش لفتح زاويته بها(150). لهذا قيل بأن التباع قد تمخضت له الهداية والاقتداء من جهة الجزولي، والصحبة ولبس الخرقة من جهة محمد الصغير(151).

وعند عودته الى مراكش بنى زاويته بحي القبابين (النجارين)، ووهب له أحمد الامين

(145) ممتع الاسماع 22.
(146) الاعلام 8 / 432.
(147) شمس المعرفة 56.
(148) ممتع الاسماع 34-35.
(149) ممتع الاسماع 34-35، بادرة الاستعجال 54.
(150) ممتع الاسماع 35، اظهار الكمال 297-298-300-301، الاعلام 9 / 430.
(151) شمس المعرفة 47، الاعلام 8 / 424.

القسطلي الأرض التي بنى عليها(152). وكان عبد الكريم الفلاح خديم التباع والموكل بطعام زاويته والساعي في حوائج داره(153).

وكان التباع يربي مريديه بأرجوزة "المباحث الأصلية" لابن البناء : السرقسطي. وكان عددهم كبيرا، يدرسون بالنهار ويتلون الأوراد والأذكار بالليل وهي أوراد شيخه الجزولي(154).

ويذكر القصار ان التباع كان يلقن كذلك عبارة (لا اله الا الله محمد رسول الله) وهو ذكر سيدي رضوان الجنوي أيضا(155).

وتوفي التباع في السادس من ربيع الثاني سنة أربع عشرة وتسعمائة للهجرة ودفن بثلاثة فحول من المواسين بمراكش. وصار الحي يدعى حي "سيدي عبد العزيز". كما ان زاويته انتقلت بعد وفاته الى الضريح، فأصبح محل تلاوة الاذكار واستشفاء العامة.

ثالثا - محمد بن عيسى وطريقته :

أخذ محمد بن عيسى المختاري المكناسي عن ثلاثة من كبار تلامذة الجزولي :

- أبو العباس احمد الحارثي دفين مكناس، وقد اوصاه عندما دنا اجله بالتوجه الى مراكش.
- عبد العزيز التباع، الذي رحب به وقال له «ان اخي الحارثي قد صفى درهمك وتركه بدون طبع، والدرهم غير المطبوع لا يجوز في الاسواق. وها انا طبعته لك، فاذهب يشفع به الناس»(156). وبذلك استكمل الارادة على يد هذا الشيخ.
- الصغير السهلي، الذي مر به وهو في الطريق من مراكش الى مكناس، فاخذ عليه وأجازه بتدريس دلائل الخيرات(157).

وبعد عودته الى مكناس (جلس لتربية المريدين وارشادهم الى سبيل الهدى. فاستنارت به البلاد، وحصل به نفع كثير للعباد، وصار وجهة للطالبين، وحجة للمسترشدين)(158). وبلغ

(152) الاعلام 2 / 24، و 8 / 423.
(153) ممتع الاسماع 43.
(154) الاعلام 8 / 425.
(155) اظهار الكمال 240.
(156) ممتع الاسماع 62، اظهار الكمال 301، والاعلام 8 / 430-431.
(157) النور الشامل في مناقب فحل الرجال الكامل، لأحمد بن المهدي الغزال العيساوي الجزولي، ط. مصر 1348، ص 9-10.
(158) ممتع الاسماع 62، والنور الشامل 13.

مكانة عالية بين شيوخ عصره حتى ان ابن عسكر قد قال عنه (سمعت الشيخ بصري يقول : ثلاثة مشايخ لم يكن لهم نظير في المغرب، سيدي ابن عيسى، وسيدي أبو محمد الغزواني، وسيدي ابو محمد الهبطي(159). وقيل كذلك بانه (ما مات حتى تقطب)(160).

التف حوله المريدون من مختلف مناطق المغرب، وكانت تربيته تقوم على : الصدق والمحبة والسخاء/الاكثار من الصلاة على النبي/تلاوة دلائل الخيرات/تلاوة القرآن الكريم/ وحزب سبحان الدايم.

الا ان الطريقة بعد وفاته قد اخذت في الابتعاد عن الاصول الشاذلية الجزولية بما لحقها من شطح وشذخ للرؤس وافتراس الحيوانات. وترد الروايات الشفوية ذلك الى اختلاف الشيخ مع سلطان الوقت ونفيه له من المدينة، فخرج مع أصحابه هائمين، ولما أصابهم الجوع أخذوا يأكلون الأفاعي والحيوانات. وما لبث ان استدعي للمدينة فاشترط شروطا لذلك، منها اعفاء أصحابه من التكاليف السلطانية والضرائب(161).

ولهذه الطريقة زاويتان بمراكش الأولى بالقصبة، والثانية بدرب ضباشي ومن مشايخ الطريقة بعد ابن عيسى :

- أبو عبد الله المعروف بابي الرواين دفين مكناس
- محمد بن عمر بن داوود المختاري
- ابو الحجاج يوسف بن احمد بن يوسف الدريدي
- ابو عبد الله محمد الشباني المختاري
- يوسف بن ابي مهدي الفجيجي(162).

رابعا - الغزواني وطريقته :

ابو محمد عبد الله بن عجال الغزواني، ينتسب لغزوان قبيلة من عرب تامسنا (الشاوية). قيل انه علوي(163). وهو قول لا يستند الى دليل.

كان يدرس اول أمره بمدرسة الوادي من عدوة الأندلس بفاس، فسمع بابي الحسن علي

(159) دوحة الناشر 76.
(160) ممتع الاسماع 62.
(161) انظر ما كتبه مونتي (Montet) في : Le culte des saints musulmans dans l'Afrique du Nords. Genève 1909. p. 56-58.
(162) ممتع الاسماع 105-111-113. وتحفة أهل الصديقية 45-46. والتشوف الصغير 79 ب.
(163) دوحة الناشر 96، بادرة الاستعجال 57، اظهار الكمال 307. السعادة الأبدية 2 / 73.

ابن صالح الاندلسي وذهب اليه ولازمه اياما. وطلب منه ان يسلك به طريق التربية النبوية فاشار عليه بالشيخ التباع (صاحب الوقت).

فسافر الى مراكش ولازم شيخه الجديد يشتغل في زاويته. واستعمله على حياطة بستانه. فاظهر في ذلك خضوعا وطاعة وجدية(164). واذن له بعد عشر سنوات من الخدمة بفتح زاوية له ببني فزكار بالهبط. وذاع صيته بها وكثر اتباعه، خاصة وانه ينتمي الى المنطقة. وكان والده قد تنبأ له بذلك، اذ كان يردد في المجامع «عندي ابن تركته يقرأ العلم سيكون له شأن، وله من الاتباع عدد ما في صابة الزبيب من حبوب كبيرها حلو وصغيرها حلو»(165).

وتضايق السلطان المريني ابو عبد الله محمد بن الشيخ من هذه الشعبية خاصة وان الدولة كانت تمر بفترة ضعف واضطراب، فأمر حاكمه على الهبط بارساله اليه مكبلا. وسجن مدة بفاس، ثم اطلق سراحه على ان يفتح زاويته بفاس لتكون تحت مراقبة السلطة. فأسسها داخل باب الفتوح.

ومع ذلك لم تتحسن علاقته مع المرينيين، فقد اصطدم بالناصر أخ السلطان المريني بسبب شقه لساقية من وادي اللبن الى فاس لمساعدة الناس على السقي خلال سنة من سنوات القحط.

فقرر مغادرة فاس الى مراكش. وتنسب اليه أثناء ذلك عبارة (أيّا يَا سلطنة من فاس الى مراكش) يفسرون بها انتقال الحكم من المرينيين الى السعديين في هذه الفترة بالذات(166). ووقف الى جانب السعديين يشجع الناس على الصمود والتصدي لمواجهة الوطاسيين أثناء حصارهم لمراكش. وانتهى بالكرة الحديدية التي تحطمت على صدره !!(167).

الغزواني هو وارث سر التباع، مع وجود عدد من كبار تلامذته، أمثال عبد الكريم الفلاح، ورحال الكوش، وعلي بن ابراهيم، وسعيد بن عبد المنعم. وقد اجتمعوا لدى الفلاح لاختيار خليفة للشيخ ودار بينهم حوار أبدى فيه كل واحد امكاناته ومواهبه.

وكانت مداخلة الغزواني (أنا سلطانكم، وصاحب سكتكم، عندي تضرب. فمن طبعت

(164) قصته مع أصحاب التباع عندما حاولوا تسور البستان، والدخول اليه بدون إذن الشيخ : الدوحة 96-99، وممتع الاسماع 38-39، واظهار الكمال 307-308.
(165) دوحة الناشر 100، ممتع الاسماع 47-48، اظهار الكمال 309.
(166) ممتع الاسماع 41-42.
(167) ممتع الاسماع 43، اظهار الكمال 309. Marrakech des origines=== 353-423.

درهمه أو ديناره جاز، ومن لا فلا). فسكتوا استنكارا الا انه اقنعهم بكرامة من كراماته(168). وقد سبق ان ذكرنا طبع التباع لدرهم ابن عيسى، بمعنى ان الغزواني ورث الطبع (او المشيخة والتربية) عن شيخه. وما زال الناس يطلقون على الغزواني (مول الطابع).

والطريقة الغزوانية جزولية في الأصل، تقوم على حب الرسول صلى الله عليه وسلم، والصلاة عليه، والمداومة على ذكر الله تعالى. فقد روى الامام القصار ان الغزواني كان من كبار المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم(169). واوصى مريديه وأتباعه بترك الفضول والاشتغال بالدنيا سلطانها وحكامها وقضائها. وحثهم على الاهتمام بالسبحة ولا اله الا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم(170).

وهكذا جاءت وظيفته جامعة بين آيات من الذكر الحكيم، وترديد الصلوات على النبي وكان يربي أتباعه بأرجوزة الشريسي "انوار السرائر وسرائر الأنوار".

وزاويته بمراكش كانت بحي القصور. وكان له أتباع في كافة أنحاء البلاد يوجههم نحو ذكر الله ومساعدة الناس بالاطعام وشق السواقي وفلاحة الأرض.

خامسا - زوايا تابعة لهذه الطرق الجزولية

I - زاوية عبد الكريم الفلاح :

أبو محمد عبد الكريم بن عمر الحاحي المراكشي المعروف بالفلاح. كان يعيش في حاحا. وقد وصلتنا بعض اخباره وهو صبي صغير عندما بعثه والده لزيارة الجزولي الذي كان يعيش في المنطقة. فأجلسه الشيخ في حجره وجعل يمسح بيده على رأسه. وكانت له قُصَّة من شَعَر، فأخذ الشيخ المقص وجزها. فلما رجع الى البيت أخبر والديه بذلك. وصار كلما سئل ردد قوله «إكس أكَرم تكَرطنو» بالبربرية (أي ازال الفقير قصتي)(171).

وفي المحافظة على هذه القصة وروايتها اشارة الى :

- اتباع والده للطريقة الجزولية
- ما لقيه الفلاح منذ صغره من عناية ورعاية لدى كبار صوفية عصره، خاصة وان له قصة أخرى مع شيخه التباع تبين ما حدث في اول لقاء بينهما. فقد غادر بلاده حاحا بعد

(168) ممتع الاسماع 43-44.
(169) اظهار الكمال 327.
(170) ممتع الاسماع 45.
(171) اظهار الكمال 272، والاعلام 8 / 176-177.

مقتل والده في فتنة عمرو المغيطي بينهم وبين الشياظمة. ودخل المدينة حوالي سنة ثمانين وثمانمائة للهجرة. وسأل عن الشيخ التباع بصفته وارث الطريقة الجزولية بالمدينة وممثلها. وظل ينتظر بباب اغمات الى أن أذن له بالدخول على الشيخ في زاويته بحي النجارين (رابطة الصالحين)(172). وكانت عبارته فيه (نرفد عبد الكريم من العسل، ونغمسه في السمن) سببا -في اعتقاد المترجمين- فيما لقيه من قبول واعتبار لدى الناس(173). ولازم زاويته يتعلم ويتلو الأذكار والأوراد.

ويبدو ان الفلاح قد استقل في سكناه، وبدا في تأسيس نواة زاويته خلال حياة شيخه التباع، اذ كان يستأذنه في استدعاء الفقراء الى بيته لاطعامهم. وقد بارك التباع هذا العمل عندما قال (الفقراء ذهب بهم الفلاح) جوابا على سؤال أهل بيته عن غيابهم(174).

واستمر في أداء هذه المهمة خلال حياة شيخه، ذلك ان ما جرى على لسانه في مناظرة خلافة التباع (وانا مائدتكم، من أحب الطعام فليأتني)(175).

بمعنى انه كان يقوم به منذ زمن، والاطعام دليل على وجود المريدين والفقراء والوافدين على الزاوية.

واذا كانت المصادر لا تشير الى موقع هذه الزاوية فالراجح انها كانت داخل باب ايلان. فقد جرت العادة ان يدفن الشيوخ في زواياهم -في الغالب- والفلاح قد دفن بهذا الحي.

ويبدو انه فاق شيخه في أسلوب الاطعام ونوعيته، ففي الممتع انه (كانت مائدة مديدة في اطعام الطعام للوارد والصادر، مع جودته، وكثرة الفواكه، وأصناف اللحوم وأنواع الطبخ، شيء يعجز عنه الوصف. وكذلك كان أصحابه من بعده)(176). والاشارة هنا الى تلميذه أبي عمرو المراكشي الذي سار على نهجه في الاطعام.

وأدرك الفلاح مكانة جعلت السلطان ابا العباس احمد بن محمد واخاه ابا عبد الله محمد الشيخ يترددان على زاويته للزيارة والتبرك(177).

ولا غرابة في ذلك فهو جزولي، والسعديون يناصرون هذه الطريقة، ويعتمدون على أصحابها.

---

(172) شمس المعرفة 56.
(173) شمس المعرفة 56، اظهار الكمال 295-296.
(174) شمس المعرفة 56
(175) ممتع الاسماع 44
(176) ممتع الاسماع 48.
(177) ممتع الاسماع 30.

وإضافة الى الاطعام والتعليم وتربية المريدين كان الفلاح مهتما باحياء الأرض وشق السواقي وغرس الأشجار (تسميته بالفلاح) فقد قال الحلفاوي في ترجمته لابي عمرو -تلميذ الفلاح- (من كلامه ما شاهدنا صدقه بعد ستين سنة كقوله سأغرس في موضع كل سدرة شجرة، ولا يزال مراكش يعمر حتى يباع معطن البقرة بقيمة البقرة) (178). وهو اهتمام شارك فيه تلميذ آخر للتباع هو الغزواني. وكانت وفاة الفلاح يوم الثاني من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة للهجرة ودفن داخل باب ايلان بالقرب من قبر القاضي عياض.

وامتد نفوذ زاوية الفلاح عن طريق المشاهير من مريديه، وهم :

- أبو عمرو القسطلي المراكشي المتوفى بمراكش سنة أربع وسبعين وتسعمائة.
- أبو محمد عبد الله الكوش (هو والد زهراء بنت الكوش اشهر متصوفات مراكش في القرنين العاشر والحادي عشر، كان مشرفا على مطبخ شيخه الفلاح وعندما فتح زاويته سار على نهجه في الاطعام(179). وكان من حملة المتطوعين لمحاربة النصارى على الثغور البحرية، واسر بأزمور ثم أطلق سراحه.

خلف شيخه على الزاوية. وكانت من الزوايا الممتحنة سنة ثمان وخمسين وتسعمائة من طرف محمد الشيخ. فأمره باخلائها والرحيل الى فاس(180).

توفي سنة واحد وستين وتسعمائة ودفن بجبل العرض خارج باب الجيسة(181).

- أبو عبد الله محمد بن ويسعدن السكتاني المتوفى سنة خمس وثمانين وتسعمائة، فتح زاويته "بجبل درن" في بلاده، ونهج طريقة شيخه في الاطعام والتربية(182).

II - زاوية رحال الكوش :

محمد بن احمد بن الحسن المعروف برحال الكوش، يتصل نسبه بالشرفاء الحسنيين، بواسطة مولاي سليمان بن عبد الله الكامل(183). ولد في العشرة التاسعة من القرن التاسع وتوفي سنة خمسين وتسعمائة. أخذ على التباع وشارك في مناظرة خلافته، ومما ورد على لسانه فيها (انا ركاب العرنس، ومن لم أركب عروسه لا تركب. وانا صاحب الاغاثة في البر

---

(178) شمس المعرفة 59

(179) ممتع الاسماع 98

(180) الاستقصا 5 / 26.

(181) ممتع الاسماع 98-99، وتحفة أهل الصديقية 42.

(182) دوحة الناشر 113، وتحفة أهل الصديقية 42.

(183) منهج الارتحال الى معرفة الشيخ سيدي رحال، ط. الأمنية الرباط 1956 ص 5.

والبحر(184). قصد بذلك قضاء حاجات الناس.

وبالرغم من اختيار الغزواني لخلافة التباع، فان الكوش استمر في استقبال الاتباع والمريدين بزاوية شيخه بمراكش. وكان الاقبال عليه كبيرا. وقد تضايق الغزواني من هذه المنافسة خاصة وان الكوش كان من المنكرين لولاية الغزواني فكان اقتراحه ان يغادر احدهما المدينة (اما أن تتركها أو أتركها لك، واما حنشان في غار فلا يجتمعان) فقال ه الكوش : انا أخرج عنك، فخرج الى افاي قرب مراكش(185). وتابع نشاطه العلمي والتربوي (تسمى الآن قرية سيدي رحال).

قال عنه صاحب الدوحة «كان من الابدال مستجاب الدعاء»(186).
له وظيفة تشتمل على آيات قرآنية وأحاديث نبوية ومقاطع مستمدة من الأذكار الشاذلية الجزولية : منها ما أصله من حزب الفلاح للشاذلي، أو حزب الشيخ زروق أو الخروبي، وما هو من تأليف الشيخ رحال، وتسمى هذه الوظيفة (حزب الشيخ). ويقوم على تكرار مجموعة من عبارات الاستغفار والحمد والتصلية قبل طلوع الشمس وقبل غروبها. وقد أورد محمد العربي بن البهلول الرحالي نص الحزب في كتابه "منهج الارتجال الى معرفة الشيخ سيد رحال" ومعه سنده من الشيخ رحال الى الحاج محمد من حفدة الشيخ عبد الرحمن الهبالي المتوفى سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف، ومتصلا بأصوله الجزولية الشاذلية الجنيدية(187).

III - الزاوية القسطلية : أبو عمرو وابنه الكامل

مؤسسها أبو عمرو بن احمد الأمين القسطلي الأموي. مراكشي الدار والمنشأ، قرشي الأصل يرجع نسبه الى الخليفة عثمان(188). وفي الممتع انه من ذرية الشاعر ابن دراج القسطلي(189).

ولد سنة اثنتي عشرة وتسعمائة بحي قاعة بناهض. وكان والده من أعيان المدينة وأحد أتباع أبي فارس التباع. ويعطي المترجمون لمولده هالة كبيرة :

– فقد وهب والده للتباع الأرض التي بنى عليها زاويته فدعا له أن يرزقه الله ولدا

(184) ممتع الاسماع 43-44.
(185) ممتع الاسماع 98، اظهار الكمال 322-323، ومنهج الارتجال 13.
(186) دوحة الناشر 101، ممتع 48.
(187) منهج الارتجال 132-133 و 136-142.
(188) شمس المعرفة 48.
(189) ممتع الاسماع 94، رواية عن أبي محلي.

صالحا فحملت أم أبي عمرو في تلك الليلة.

- وحمل اثر ولادته الى الشيخ لمباركته، فسأل عن اسمه وقيل له "أبو عمرو" فقال «نعمره ونثمره» ثلاث مرات(190).

ولسنا ندري لماذا لم تستمر هذه العناية، فقد كبر سن أبي عمرو دون أن يتعلم القراءة والكتابة، فيقوم ذلك على التحدي لديه. فقد نعت له صبي حرفي الراء والزاي فلم يعرفها. قال «وحقرت نفسي وصرت مجتهدا في القراءة نحوا من خمسة أعوام في تعمير الأوقات بالقراءة والأوراد، حتى استفدت وأفدت»(191).

وجمعه بين القراءة والأوراد دليل على كبر سنه. ويؤكد هذا ما كان يقوله عنه شيخه الفلاح في غير ما مجلس «اترك لكم الخلافة في رجل أمي لا يفرق بين الراء والزاي»(192). وكان يقول اذا طلب منه أن يكتب (نحن لا نكتب ولا نحسب)(193).

وهذه الاشارات تفيد انصرافه الى علم الباطن أكثر من علم الظاهر ففي المصادر ذكر لغرابة سلوكه عن أبناء جنسه اذ كان منقطعا في حضرة مولاه حتى دعي مجنونا وانفرد بذلك نحوا من سعبة أعوام أو أزيد حتى كان من غيبته وذهابه في الله لا يفرق بين أولاده وأولاد غيره، واختلفت عليه أقوال العلماء والفقراء(194).

الا انه في فترة صحوه ورجوعه الى نفسه، كان يحتاج الى علم الظاهر ويسأل عن مسائل متصلة به. فقد عكف على قراءة مختصر الشيخ خليل، والنحو ما يزيد على أربعة أعلام. وكان الدافع الى ذلك ان رجلا سأله عن مسألة في الفرائض فعجز عن الجواب. قال «فاحتقرت نفسي، وصغرت في عين همتمي، وانقطعت للقراءة بكليتي» وصار أعجوبة في درسه وفهمه له(195).

وكان مداوما على حضور مجالس العلماء العاملين، خاصة من توسم فيهم الصلاح، كثير السؤال لهم حتى ان أحدا منهم قال له ذات يوم «يا سيدي هذه المسائل التي تسألني عنها

(190) شمس المعرفة 52، الاعلام 1 / 331. والرواية الأولى تنقضها رواية سبق ذكرها عند حديثنا عن الفلاح، ذلك ان هذا الأخير قد حل بمراكش حوالي سنة 880هـ، وطلب مقابلة الشيخ فوجده قد انتقل من دار والديه بحي القصور الى زاوية حي النجارين، في حين ان هذه الرواية تربط الهبة بدعاء الشيخ وبوقوع ابي عمرو في بطن أمه في نفس الليلة، ونعرف انه ولد سنة 912 هـ.

(191) شمس المعرفة 48، الاعلام 1 / 332.

(192) شمس المعرفة 48.

(193) شمس المعرفة 49.

(194) شمس المعرفة 49، ممتع الاسماع 97 الاعلام 1 / 330-331.

(195) الاعلام 1 / 332.

قل من يبحث اليوم عليها »(196).

ويعتبر عبد الكريم الفلاح أهم شيوخ أبي عمرو في الطريقة. فقد كان ملازما له ويشيع بين الناس انه خليفته. كأن يقول «نهايتنا هي بداية سيدي أبي عمرو»(197) وسنده في الطريقة تباعي جزولي شاذلي : فقد أخذ عن الفلاح/عن التباع/عن الجزولي. وعنه حسب السند المشهور الى الشاذلي.

ويذكر له الحلفاوي سندا أقل شهرة ينتهي الى زروق : فقد جعله آخذا عن الفلاح/عن التباع/عن الصغير/عن زروق... فالمعروف ان الصغير لزم الجزولي أكثر من لزومه لزروق، وهو شيخه الأول في الطريقة(198).

فتح أبو عمرو زاويته بحومة حمام الذهب "بحي زاوية الحضر" حوالي سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة للهجرة، وذلك لتلاوة الأوراد ودراسة العلم واطعام المريدين والمحتاجين :

- **الأوراد** : يقوم ورده على تلاوة حزب الفلاح، وحزب البحر، وقراءة القرآن(199).
- **العلم** : من الكتب التي كانت تدرس في زاويته : الشفا لعياض، وشرح محمد بن عباد على الحِكَم. وكان الشيخ يحللها ويعلق عليها بما يذهل العقول(200).
- **الاطعام** : سلك أبو عمرو مسلك شيوخ الزوايا الجزولية في الاطعام، وكلف أحمد ابن عبد الله المراكشي بالاشراف على اقتصاد الزاوية. وكان يطعم كل وارد عليها بحسب مستواه ومقامه وما تعود أكله. وهي عادة سيشتهر بها تلميذه أبو بكر الدلائي، مؤسس زاوية الدلاء بالأطلس المتوسط.

وترد الروايات ذلك الى دعاء شيخه الفلاح الذي قال له « أعطاك الله حالة أهل الجنة، ثياب لا تبلى، وطعام لا ينقطع»(201). ومع ذلك قد اعتمد على عراصيه وأراضيه وما تدره من حبوب وغلل وفواكه. وفي شمس المعرفة إشارات الى كثير من هذه الممتلكات التي آلت بعده الى أولاده في مراكش والحوز(202). وكانت هذه المنتجات تحمل الى الزاوية لتقدم للزوار والمريدين والفقراء(203).

---

(196) شمس المعرفة 86.
(197) الاعلام 1 / 331.
(198) شمس المعرفة 43-46، والنظم في ص 36-37.
(199) شمس المعرفة 151، وممتع الاسماع 97.
(200) انظر ترجمة تلميذه الوراق في الاعلام 1 / 326.
(201) الاعلام 1 / 331.
(202) شمس المعرفة 356-346-342-333-334-331.
(203) شمس المعرفة 106.

وكان له شطحات صوفية يصرح فيها بأنه القطب، والسلطان، وصاحب الوقت(204). وهو وإن كان يقصد الجانب الباطني للسلطان، فإن دعواته هاته كانت تزعج السلطة لكثرة اتباعه ومريديه وتأثيره فيهم، ولغناه.

وكان شديد الانتقاد للسلطان أبي العباس احمد الأعرج، وكلما سئل عن تجرئه عليه قال «أأخاف من المذبوح، والله اني لأرى الذبحة في عنقه من الأذن الى الأذن، ووالله إن لم أرفع فريسته لم يرفعها أحد»(205). (والمعروف انه قتل مع أولاده على يد القائد علي بن أبي بكر ازناك بعد اغتيال الأتراك لمحمد الشيخ بتارودانت. وبقيت جثتهم مطروحة دون أن يجرؤ أحد على دفنها الى أن قام بذلك أبو عمرو)(206).

ولم تتعرض الزاوية القسطلية لامتحان محمد الشيخ خلال امتحانه للزوايا سنة ثمان ومسين وتسعمائة، وللمتصدرين للمشيخة. وتسجل المصادر موقف عبد الله الغالب منه فقد جمع له العلماء والفقهاء لامتحانه بجامع الكتبيين الا ان ابا عمرو استصغرهم وأرسل "سخّان حمّامه" لمناظرتهم(207).

ولم يؤد ذلك الى حدوث القطيعة بينهما، فقد كان السلطان يزوره بنفسه، ويدخل زاويته. وعندما توفي الشيخ سنة أربع وسبعين وتسعمائة أظهر جزعا شديدا عليه ووقف مع كبار ضباطه على جنازته(208).

كانت الزاوية القسطلية بمراكش تعج بالمريدين والزوار اعتبارا لمستواها العلمي، ولما كان يقدم بها من صنوف الطعام. وبلغ عدد المتخرجين على يد الشيخ أبي عمرو حوالي سبعة عشر ألف مريد(209). أنشأ بعضهم زوايا كبرى في المغرب، نذكر من مشاهيرهم :

- أبو بكر المجاطي الدلائي (المتوفى سنة واحد وعشرين وألف) مؤسس الزاوية الدلائية بأمر منه(210).

---

(204) ممتع الاسماع 94-95.

(205) ممتع الاسماع 96، والاعلام 1 / 331.

(206) ممتع الاسماع 96، الاستقصا 5 / 32-35. Marrakech des origines... 356.

(207) الاعلام 1 / 339-340.

(208) ممتع الاسماع 96، الاعلام 1 / 337، صور الحلفاوي في شمس المعرفة حزن سكان مراكش على الشيخ عند وفاته، ص 84.

(209) الاعلام 1 / 342

(210) ممتع الاسماع 144-147. صفوة ما انتشر 46. وتحفة أهل الصديقية 54. وعن الزاوية الدلائية انظر كتاب الزاوية الدلائية لمحمد حجي ط. الرباط 1964.

- أبو عبد الله محمد بن مبارك الزعري التستاوتي (المتوفى سنة ست وألف) كان منقطعا بزاوية أبي عمرو بمراكش، وعاد الى بلاده لتأسيس زاوية بها(211).

- الحسن المداح الزعري لازم الشيخ أزيد من ثلاثين سنة حتى صار من أخص مريديه وعنه روى الزروالي كثيرا من اخباره في "شمس القلوب"(212).

وفي "تحفة أهل الصديقية" ذكر لمجموعة من مريدي أبي عمرو وأتباعه(213).

- **مُحمَّد الكامل بن أبي عمرو** : خليفة والده على الزاوية القسطلية بمراكش أحيط مولده وطفولته بهالة من القداسة والاجلال (كما كان الأمر بالنسبة لوالده أبي عمرو). فقد بشر أبو عمرو زوجته بميلاده، وقال عنه «في مقام الحرار(214) اربيه، ويبلغ رشده في مقام الجزولي، وعلى خده علامة. وفي سابع أعوامه بشارة، وله فضائل كثيرة»(215).

كان ميلاده سنة ستين وتسعمائة للهجرة بحومة حمام الذهب(216)، وهو آخر أبناء الشيخ الذي توفي بعد أربع عشرة سنة من هذا التاريخ. فهل كانت هذه الفترة القصيرة كافية لظهور ولايته ؟ أم انها عناية الشيخ -الخاصة- بآخر أبنائه خصوصا وان الطاعون قد فتك بأغلب إخوته(217). هذه الرعاية المبالغ فيها التي جعلت الشيخ يغضب لبكاء ابنه المذلل. فقد منع من ذبح كبش بعد ختمه لسورة من القرآن، فلجأ الى والده باكيا، وكان جواب أبي عمرو (ما تركت لك على أي شيء تبكي -كذا- كلما أطلعني الله عليه فهو لك، ولا غاب عني الا ما غاب في ذات الحق... وجعل يكررها)(218).

وأبدى الكامل رغبة في العلم منذ صغره اذ كان كثير التردد على خزانة جامع ابن يوسف الواقع في الحي الذي يسكنه. وفيها اجتمع بالولي احمد بن عبد الرحمن الخطيب. ومن الكتب التي علقت بخاطره وأدمن على مطالعتها : احياء علوم الدين، وقوت القلوب(219).

---

(211) ممتع الاسماع 143-144، وصفوة ما انتشر 9.

(212) الاعلام 3 / 149

(213) تحفة أهل الصديقية 53-55.

(214) هو عبد العزيز التباع تلميذ الجزولي، يتصل سند الطريقة القسطلية به.

(215) شمس المعرفة 65-66. تصل المبالغات حدها بوصف ما كانت عليه امه عندما ولدته، فهي لم تجد ما كانت تجده من قبل من ألم النفاس، وسطع نور ولاح وسط البيت كنُور البدر الزاهر (انظر شمس المعرفة 66).

(216) ما زال بها الى الآن درب سيدي بوعمرو.

(217) شمس المعرفة 68.

(218) شمس المعرفة 69.

(219) شمس المعرفة 98-100.

ولم يكن يهتم بمال أو دنيا، مع العلم ان أسرته كانت غنية ولها أملاك وضيَع. لهذا قال عنه الحلفاوي (ولم يفرح من الدنيا بسوى درهم أنفقه على الاخوان والمساكين، أو سد به خلة يجب سدها، ولا سره شيء مثل ما يسره بذل المال)(220). فكان ينفق اضعاف خراج أملاكه، ولا يلج المحافل والأعراس، ولا يزور الاشياخ.

ومع صغر سنه كلفه بخلافته على الزاوية بعد وفاته، وصرح للمريدين بذلك بقوله «محمد الكامل المحفوظ من الصغائر، المعصوم من جميع الكبائر، المرشح لتنوير البصائر»(221). وجعل لذلك علامات تحققت كلها، منها :

- لقاؤه بعد الله بن حسين الذي ألبسه عمامة الصالحين.
- دأبه على تقديم نقود "العوائد" لوالده، وطلب الدعاء منه(222).

واستمر الكامل في الاهتمام بالمريدين والفقراء والوافدين على الزاوية بعدما آل اليه أمرها. فحققت تطورا في مجالات التعليم والتربية والاطعام :

- ففي التعليم : سجل لنا الحلفاوي -تلميذ الكامل- ما كان يدرس بها من علوم ومعارف : مختصر الشيخ خليل، حكم ابن عطاء الله، شرح ابن عباد عليها، وكان الكامل يثني على المؤلفين الأخيرين ويعلق على ارائهما، ويثني على زروق في "الحقائق القلبية". ومنها تنوير ابن عطاء الله، ورائية الشريسي، وشرح محمد الدقاق عليها. ويتعرض لبعض كلام والده أبي عمرو ويشرحه. يكون هذا كله في الصباح.

وبعد صلاة الظهر يقرأ بين يديه القرآن الكريم.

وبعد ورد العصر يتلو احمد بن محمد الخطيب الوراق نبذة من الشفا. ونبذة من كلام محمد بن عباد على الحكم، ومن التنوير، ويقوم الكامل بالتعليق علي ذلك كله، فيأتي (بما يذهل العقول، بكلام صادر عن همة عالية بعبارة نورانية، وحكم روحانية، فيعطي كل ذي حق حقه من النفحات الرحمانية)(223).

قال الحلفاوي فما كملت سنة لنا على هذا الحال حتى صارت الدائرة كلها فقراء وفقها ء.

- **الأوراد والأذكار** : كانت موزعة على مختلف أوقات النهار

(220) شمس المعرفة 103.
(221) شمس المعرفة 76. والاعلام 1 / 335-336.
(222) شمس المعرفة 195-196.
(223) شمس المعرفة 218-220.

فورد الصبح : يشتمل على قراءة حزن الفلاح، وحزب البحر، ومجموعة من التصليات (لا نريد الاطالة بسردها)، سورة يس، ووظيفة النجا لزروق.
ورد الظهر : حزب الفلاح، الهيللة، والشهادة، ومجموعة من التصليات
ورد المغرب : حزب الفلاح، فاتحة الكتاب، سورة الاخلاص، والمعوذتين، وآية الكرسي ومجموعة من التصليات والدعوات.
وفي بعض الليالي تردد اذكار الششتري. وليلة الاثنين والجمعة تتلى البردة(224).

نلاحظ اثر الجزولي والفلاح على الطريقة القسطلية في اعتماد آيات قرآنية وأحزاب الشاذلي، وفي الاكثار من التصليات والدعوات التي تقوم عليها الطريقة الجزولية (دلائل الخيرات خاصة). كما يبدو اثر السند الثاني للطريقة في اعتماد وظيفة زروق (النجا لكل من الى الله التجأ).

- الاطعام:

بالرغم من وصية ابي عمرو بسد باب الزاوية لصعوبة تعرض ابنائه لما كان يقدم عليه من اطعام، فان الكامل قد سار على نهج والده بنفس الحماس والتنوع، معتمدا في ذلك على أملاكه وما كان يصل الزاوية من هدايا وعطاءات.

وعلى غرار والده كذلك، كان شديد الانتقاد للسعديين، وما كانوا عليه من فساد وضلال. فكان المنصور يسايره أحيانا، ويعنفه احيانا، متعجبا لحيازته المحاسن وهو شاب(225).

وكان القصر الملكي يقدره ويحترمه، فمع وجود صوفية غيره لجأت إليه الحرة مسعودة عندما خرج ابنها المنصور الى فاس لاخماد ثورة بعض زقاربه. وزاد من هولها وقوع الزلزال بالمدينة سنة خمس وتسعين وتسعمائة فطمأنها وخفف من روعها وأعادها الى قصرها(226).

وكانت وفاة الكامل يوم السابع عشر شوال سنة سبع وتسعين وتسعمائة بمراكش، ولم يبلغ بعد الأربعين من عمره، بعدما أغنى الطريقة بمقالاته وأوراده وأذكاره وأشعاره الصوفية التي احتفظ لنا بها تلميذه الحلفاوي(227).

(224) انظر هذه الأوراد مفصلة عند الحلفاوي في شمس المعرفة 210-216.
(225) شمس المعرفة 206-209.
(226) شمس المعرفة 354
(227) في كتاب "شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة" وهو غير كتاب "شمس القلوب لكل محبوب" للزروالي الذي ألفه في شيخه أبي عمرو، والكتابان متداخلان ومتشابهان، ويبدو ان الأول نقل الكثير عن الثاني. وهذا موضوع يحتاج في تفصيله الى مبحث خاص وقد اعتمدنا على نسخة ابن يوسف من شمس المعرفة رقم 171، و م.خ.ع.ر. من شمس القلوب رقم 3694 د.

IV - الطريقة الوزانية :

لن نطيل في الحديث عنها لأنها متأخرة زمنيا، وسنكتفي بالتعريف الموجز بها لوجودها بمراكش.

مؤسسها مولاي عبد الله بن ابراهيم الشريف بتوجيه من المولى الرشيد وأخيه المولى اسماعيل، وذلك لتمثل وجهة نظر الدولة، وتحد من سيطرة زاويتي اولاد ابن ريسون بتزروت وتطوان، وزاوية اولاد البقال بغزاوة.

والمؤسس عَلَمي يرجع نسبه الى يملاح بن مشيش (أخ عبد السلام بن مشيش، وابن عم يونس جد الريسونيين). ولد بتزرت (بني عروس) حوالي سنة خمس وألف للهجرة(228).

وكان يقول «رأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام بضعا وثلاثين مرة فقال لي : يا عبد الله انت ولدي حقا، ابسط يدك واقبل من جاءك، وأنت وذريتك، أنا ضامنهم ان شاء الله»(229). ويقصد بهذه الاقوال اضفاء الشرعية على مبادرته بتأسيس الزاوية، وان كان الدافع السياسي أكثر وضوحا.

وبسبب دعم السلطة لها ذاع صيتها بسرعة، خصوصا وان مباركة السلطان الجديد قد أسندت اليها وذلك عن طريق الأخذ بركابه عند زيارته لسيدي قاسم سواء بويع بمراكش أو بفاس.

وفي عهد حفدة الشيخ المؤسس، بلغ نفوذ الزاوية، الجزائر فتفرعت الى "طيبية وزانية" و "تهامية وزانية". ويتصل سند الوزانيين بالغزواني والتباع : فقد اخذ مؤسسها عبد الله بن ابراهيم الشريف/عن علي بن احمد الكرفطي/عن عيسى بن الحسن المصباحي/عن محمد بن علي المهدي الزمراني/عن الغزواني/عن التباع/عن الجزولي.

اما أورادها فتشتمل على ترديد عبارات الاستغفار، والتسبيح، والتصلية والهيللة صباحا ومساءا. وان استطاع المريد الزيادة يقرأ حزبا من القرآن الكريم، وأحزاب الشاذلي (الفلاح/البحر/الحزب الكبير) وحزب النووي، والوظيفة الزروقية والصلاة المشيشية، ودلائل الخيرات. قبل الشروق وقبل الغروب، مع الابتعاد عن أهل الشر ومصاحبة أهل الخير(230).

---

(228) Les confréries religieuses... 78.

(229) المواهب القدسية 407

(230) المواهب القدسية 407-408.

وتوجد زاوية الوزانيين بمراكش في حي القصور (حي الفئات الموسرة). اضافة الى رباطين للمريدات الأول بحي ضباشي، والثاني بحي حارة الصورة. واختيار هذه الاحياء له دلالته، اذ كانت الغاية من تأسيس الزاوية الوزانية منافسة باقي الزوايا التي تستقطب اهتمام السكان وتؤطرهم وتربيهم، وشملت المنافسة المريدين والمريدات على السواء. ففي القصور وضباشي والحي المرابطي القديم توجد كثير من الزوايا /الأمهات بالمدينة.

V - الطريقة الشرقاوية :

لها ارتباط وثيق بالطريقة الجزولية (التباعية/الغزوانية)، فقد كان أبو القاسم الشرقي (والد سيدي امحمد الشرقي) مداوما على زيارة شيخه التباع حتى ان هذا الأخير كان يقول لأولاده «اذا دخل فصل الشتاء سيقدم عليكم أبو القاسم ببقرات الحليب، فيأتي»(231).

يعود نسبه الى عمر بن الخطاب(232). وقد أخذ الطريقة عن عبد الله بن ساسي/عن الغزواني، وعن والده أبي القاسم/عن التباع/عن الجزولي(233).

لم يذع صيت الشرقاويين الا في آخر القرن الحادي عشر، بعد تخريب زاوية الدلاء سنة تسع وسبعين وألف، وموالاة شيوخها للمولى اسماعيل، فكانت بذلك تسير مع الزاوية الوزانية في نفس الخط. وستزداد أهميتها ويكثر اتباعها وتتحول من الاشتغال بالاطعام والاوراد، الى الخوض في السياسة، مما أدى بالمولى محمد بن عبد الله الى امتحان شيوخها سنة تسع وتسعين ومائة وألف، وتخريب زاويتهم الأم بأبي الجعد، وأعطاهم الأمر بالرحيل الى ناحية مراكش(234).

ولم يكن هذا أول لقاء بين الطريقة وسكان مراكش، ذلك لأن أحد كبار صوفية المدينة احمد السوسي قد أخذ عن قاسم بن أحمد الشهير بابن اللوشة تلميذ امحمد الشرقي. وقد عرف بمداومته على الاطعام حتى قيل عنه (وزاويته بمراكش أكثر زوايا المغرب اطعاما للصادر والوارد)(235).

---

(231) اظهار الكمال 297

(232) المرقي 76، م.خ.ع.ر. 319 ك، وممتع الاسماع 123

(233) المرقي 91.

(234) Quelques aspects de l'organisation politique et économique d'une zaouia marocaine au XIXème Siècle : Cherquaoua de Boujad.
Bulletin de la société d'histoire du Maroc n° 4-5. 1972-73 p. 37-55.

(235) السعادة الأبدية 354

وكان موقعها قرب زاوية الجزولي بالحي الذي يحمل اسم "احمد السوسي". والى جانب هذه الزاوية عرفت مراكش "رباط شرقاوة" بحي قاعة بناهض، الا ان المصادر لم تسعفنا بالتعرف الى ما كان يتلى به من أوراد، وما كان يعرفه من نشاط ديني تربوي، اللهم ما كان من اقبار بعض علماء المدينة وفقهائها داخله(236).

سادسا - طرق جزولية/ زروقية :

الي جانب الطرق الجزولية المحضة -التي تعرضنا لها. - هنالك طرق أخذت عن الجزولي وزروق معا، فجاءت جزولية زروقية مع التقائهما عند الشاذلي. وهي :

I - الطريقة الناصرية :

تنتسب الى محمد بن ناصر الدرعي المتوفى سنة خمس وثمانين وألف. وزاويتها الأم بتامگروت على ضفاف وادي درعة. وقد أخذ أوراد الشاذلية عن طريقين :

الأول : عن محمد الدادسي/عن ابي بكر المجاطي/عن أبي عمرو القسطلي/ عن عبد الكريم الفلاح/عن عبد العزيز التباع/عن الجزولي.

الثاني : عن عبد الله بن حسين الرقي/عن احمد بن علي الدرعي/عن الغازي بن بلقاسم الفلالي/ عن علي بن عبد الله السجلماسي/عن احمد بن يوسف الملياني/عن احمد زروق البرنسي الفاسي(137).

وكان ابن ناصر ميالا الى البساطة في تعليمه، وتقوم طريقته على الذكر وتصحيح التوبة بتقوى الله والتكل عليه. وكان يراعي في تلاوة الأوراد أحوال المريد وشروطه، فما يلزم الفقيه يخالف ما يلزم الأمي، وما يلزم المرأة(238).

وتقوم أساسا على ترديد : الاستغفار، والصلاة على النبي، والهيللة، والتسبيح، وقراءة المسبعات العشر على ترتيب المصحف، والصلاة المشيشية، وما تيسر من القرآن(239).

وتخرج علي ابن ناصر عدد من العلماء والصوفية، كولده احمد بن محمد وأبي علي اليوسي، وعبد الملك التجموعتي، وأبي سالم العياشي وغيرهم.

---

(236) السعادة الأبدية 1 / 115، ترجم لأحدهم.
(237) فهرست ابن ناصر 1443 ك، ص 1-13. والمواهب القدسية 410-411.
(238) طلعة المشتري 1 / 148، ط. حجرية فاسية.
(139) انظرها بتفصيل في المواهب القدسية 410.

وانتشرت طريقته في كافة انحاء المغرب.

وكان الذي أمر بفتح الزاوية الناصرية بمراكش ابنه احمد بن محمد بن ناصر المتوفى سنة واحد وعشرين ومائة وألف، وخليفته على الطريقة، فقد نسب اليه فتح عدة زوايا بالمغرب، قيل «وما مر بقرية أو بلدة الا وتسابق أهلها بالهدايا والترحيب والاكرام، وأخذ عنه العهد والورد الجم الغفير من أهل البلاد(240). وقد حل بمراكش عدة مرات، وإليه ينسب درب بن ناصر بحي قاعة بناهض(241). وبه توجد زاوية ناصرية خاصة بالمريدات في حين توجد الزاوية الناصرية الكبرى بحي روض العروس. وإليها يحج سكان الحوز لأخذ الورد الناصري، أو تجديد العهد وزيارة الشيخ. وعند الأمين الصحراوي انها من تأسيس الامام اليوسي(242).

وقد أحصى قوانو (Voinot) ثلاثا وعشرين زاوية ناصرية بناحية مراكش أشهرها زاوية الشيخ ابي العباس الشرادي، وزاوية سيدي الزوين(243).

II - الطريقة الدرقاوية :

نجد انفسنا مضطرين للحديث عن الطريقة الدرقاوية بالرغم من تأخر ظهورها زمنيا لأسباب :

أ- انها أكثر الطرق الصوفية انتشارا بمراكش، فمنذ ظهورها تأسست زواياها في مختلف احياء المدينة، وما زال بعضها نشيطا الى الآن.

ب- ما تميزت به من استقلال عن السلطة وانتقاد لها ورفض للشرك والشعوذة. بل لقد بالغ مؤسسها محمد العربي الدرقاوي في ذلك الى حد أمره تلامذته وأتباعه بالاكتفاء بذكر "لا اله الا الله" جهرا في التشهد "ومحمد رسول الله" سرا.

ج- انها مثال لاستمرار الطريقة الجزولية ورسوخها وتناسبها مع مختلف البيئات والأزمان.

ومؤسسها المذكور شريف حسني من بني زروال. ينتسب الى جده أبي درقة دفين الشاوية (اشتهر بحمل درقة أثناء محاربته النصادى). درس بقريته وبفاس، وشيخه في

(240) الاعلام 2 / 360.

(241) الاعلام 2 / 361. ما زال حاملا نفس الاسم الى اليوم.

(242) الاعلام 3 / 163.

(243) Les Zaouias de Marrakech et de la région voisine R.G.M n° 1 3-53. L. Voinot.

الطريقة هو علي الجمل العمراني المتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف(244).

والطريقة الدرقاوية جزولية/زروقية ذلك لأن للشيخ سندين :

الأول : أخذ عن علي الجمل بن عبد الرحمن العمراني/ عن العربي بن احمد بن عبد الله الأندلسي/عن احمد بن عبد الله الأندلسي/عن قاسم الاخصاصي/عن محمد معن ابن عبد الله الأندلسي/عن عبد الرحمن العريف الفاسي/عن أبي المحاسن يوسف الفاسي/عن عبد الرحمن المجذوب/عن أبي الحسن علي الصنهاجي الدوار/عن أبي اسحاق ابراهيم الزرهوني/عن احمد زروق البرنسي الفاسي.

الثاني : يبدأ السند الثاني في الانحراف صوب الجزولي ابتداء من أبي المحاسن يوسف الفاسي/عن والده محمد/عن احمد بن قاسم الأندلسي/عن عبد العزيز التباع/عن الجزولي.

وقد أخذ أبو المحاسن الفاسي كذلك عن الغزواني/عن التباع/عن الجزولي(245).

أصبحت هذه الطريقة قوة سياسية مهمة في بداية القرن التاسع عشر للميلاد، وانتشرت زواياها في مختلف مناطق المغرب، بل وأخذت تكتسح كثيرا من الزوايا التابعة لطرق أخرى كالناصرية مثلا. ونجد كافة التفرعات التي عرفتها الطريقة، ممثلة في مراكش، وهي :

- **العمرية** : نسبة الى عمر بن البخاري مؤلف كتاب "جواب الاخوان في مدد قطب الأعيان" في شيخه مولاي العربي الدرقاوي. قال عنه ابن المؤقت (كان جامعا بين الشريعة والطريقة. له زاوية حفيلة بناها في حياته. وله أتباع يتحدثون عنه بكرامات. توفي سنة سبعين ومائتين وألف للهجرة، ودفن بداخل زاويته بداخل باب الخميس)(246). وهي الزاوية الدرقاوية الأم بمراكش، وبها يأخذ مريدو الحوز الأوراد وعهد الشيخ.

- **الفتحية** : بثلاثة فحول في حي سيدي عبد العزيز التباع. ومؤسسها فتح الله بن أبي بكر بناني الرباطي الذي دخل المدينة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف وخصص له

---

(244) انظر جواب الاخوان في مدد قطب الأعيان لعمر بن البخاري م.خ. خاصة.
- Les marabouts de doutté p. 4-5.
- Les confréries religieuses... 83-84 et Esquisse... 257 et 102-103.
- Esquisse... 65, 264-265.

(245) جواب الاخوان.
(246) السعادة الأبدية 1 / 147.

مريده ابن المؤقت المراكشي خاتمة كتابه "السعادة الأبدية" للتعريف به وبطريقته(247).

- **البدوية :** تقع بحي سيدي بولعبادة قرب بنصالح، أسسها محمد بن علي الدرعي الفركلي البدوي أحد مقدمي طائفة محمد العربي. المتوفى سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بزاويته. ومن شيوخها كذلك محمد بن ابراهيم الهسكوري البدوي المتوفى سنة خمس وثلاثمائة وألف، دفين الزاوية كذلك (248).

وقد صدر ظهير يوسفي في تنظيمها وتعيين ناظرين مكلفين بها هما مولاي الكبير، والفقيه هشام، مؤرخ في ثلاث وعشرين من ربيع الثاني سنة أربع واربعين وثلاثمائة والف(249).

- زاوية باب ايلان : كان بها البشير بن محمد الدرقاوي ودفن فيها "بفحل السمار"(250).

- زاوية القصور : مؤسسها محمد بن ادريس الدقاوي المتوفى في أواسط القرن الثالث عشر الهجري، والمدفون داخل القبة بها(251). ومن مقدميها محمد بن عبد الكبير التادلي الدرقاوي، وأبو بكر بلقزيز العادل، والعلوي نجيب.

- **روض الزيتون القديم :** مؤسسها المهدي بن محمد بن عبد الرحمن الدرقاوي الذي أخذ عن احمد البدوي الفاسي تلميذ العربي الدقاوي. أسسها بأمر من شيخه المذكور. توفي في مطلع القرن الرابع عشر ودفن بزاويته بروض الزيتون(252).

- **زاويةُ ازبُوط :** مؤسسها احمد بن عبد الله الدرقاوي في مطلع القرن الرابع عشر الهجري.

- **زاوية باب دكالة :** مؤسسها علي السوسي.

- **زاوية درب الحمام :** بالقصبة.

- **زاوية درب بوعنان :** اما أورادها فهي : اوراد الشيخ والخاصة، وتشتمل على الاستغفار (مائة مرة)، اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (ألف مرة)،

---

(247) من ص 137 الى 179.

(248) السعادة الأبدية 1 / 102-103.

(249) من وثائق مكتبة خاصة بمراكش.

(250) السعادة الأبدية 1 / 97.

(251) السعادة الأبدية 1 / 85

(252) السعادة الأبدية 1 / 98-99.

مع التسليم على رأس كل مائة./لا اله الا الله (ألف مرة)/وفي انتهاء كل مائة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله/الاسم الأعظم "الله" (بدون تحديد).

وتتلى بعد الصبح والمغرب.

أما أوراد العامة فبسيطة، وهي : الاستغفار (مائة مرة)، الصلاة على النبي (مائة مرة) الهيللة (مائة مرة)، مع تلاوة الصلاة المشيشية مختومة بادعية(253).

سابعا - الطريقة التيجاني

طريقة متميزة عن باقي الطرق التي تعرفنا اليها الى الآن. فهي ليست جزولية، ولا حتى شاذلية، ذلك لأن سندها يتصل مباشرة بالجنيد. وقد تناولنا الحديث عنها مع تأخر ظهورها زمنيا لسببين :

أ- فهي دليل على احتضان مراكش لكل الطرق شاذلية وغير شاذلية.

ب- زواياها كثيرة بالمدينة وتأتي في الدوحة الثانية بعد الطريقة الدرقاوية مع العلم ان اغلاق بعض زوايا هذه الطريقة جعلها تحتل الآن الصدارة في المدينة.

اما مؤسسها فهو أبو العباس احمد التجاني، يرجع نسبه الى النفس الزكية ولد بعين ماضي بالمجزائر سنة خمسين ومائة وألف للهجرة. درس بها وبفاس، وتجول في كثير من بلدان المشرق والمغرب والصحراء. وأخذ على علماء وشيوخ، منهم محمد بن عبد الرحمن الأزهري الذي اخذ عليه عهد الطريقة الخلوتية.

خرج من الجزائر سنة ثلاث عشرة ومائتين والف، هاربا من استبداد اتراك الجزائر، واتصل بالمولى سليمان، فاذن له بفتح زاوية بفاس. وأمده بمساعدة مالية لبنائها سنة خمس عشرة ومائتين وألف(254). وهدف السلطان بذلك منافسة الطريقة الدرقاوية المعارضة للمخزن. (سبق للمولى اسماعيل ان شجع على تاسيس الطريقة الوزانية لمنافسة زوايا الشمال).

ويبدو ان فشل التيجانيين في مواكبة انتصارات الدرقاويين والتفاف الناس حولهم جعل السلطان يتحمس للمبادئ الوهابية، ويصدر رسالته التوجيهية الشهيرة بتحريم المواسم ومحاربة الشعوذة والشرك وزيارة المقابر.

ويلتقي التجانيون مع بعض هذه المبادئ في تحريمهم لزيارة القبور والشطح وافتراس

---

(253) عن شيخ زاوية القصور الحالي.

(254) جواهر المعاني لعلي حرازم برادة 1 / 39، ط. 2، مصر 1345 هـ.

الحيوانات. مما جعل الزياني يذهب الي ان التجاني اتصل بالوهابيين قبل مجيئه الى فاس(255).

كان التجاني منتسبا للطريقة الخلوتية التي تصل الى الجنيد مباشرة كما جاءت عند محمد بن العباس السوسي : فقد اخذ محمد الخلوتي/عن ابراهيم الزاهد/عن جمال الدين التبزيدي/عن جمال الدين الشيرازي/عن محمد النجاشي/عن قطب الدين الابهري/عن ابي النجيب السهروردي/عن عمر البكري/عن وجيه الدين القاضي/عن محمد الكيدي/عن محمد الدينوري/عن حمشاه الدينوري/عن الجنيد(256).

ويحكي انه أمر بتأسيس طريقته وسندها حسب صاحب البغية متصل بالرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، اذ ان التيجاني يزعم انه أخذ عنه يقظة ومشافهة (فليس فيه سند ولا قدرة الا هذا السند الأقوى والقدرة العظمى)(257). ويقوم وردها على الاستغفار وصلاة الفاتح، والهيللة، كل واحدة مائة مرة. وتلاوة الوظيفة التجانية(258).

وانتشرت بسرعة في المغرب خاصة وان السلطان كان يدعمها لمواجهة نفوذ زوايا امهاوش، والزوايا الدرقاوية المتحالفة.

ويبدو ان الزاوية التجانية الأم بمراكش كانت من تاسيس الأديب الوزير المؤرخ محمد بن احمد اكنسوس على عهد مولاي عبد الرحمن. ومقرها بحي المواسين. وقد يكون ذلك في سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف للهجرة، وهي السنة التي ذكر فيها عباس بن ابراهيم دخول اكنسوس الى مراكش(259). اما باقي الزوايا التجانية بالمدينة فهي : زاوية القصور/وزاوية حي أبي العباس السبتي/وزاوية حي باب احمر/وزاوية القصبة/وزاوية باب ايلان.

وتتصل بزاوية المواسين زوايا في الحوز، وخاصة في سكتانة، ݣلاوة، الرحامنة، السراغنة ووريكة(260).

وتعرضت الطريقة لنقد لاذع من طرف الفقهاء، لما تدعو اليه من تقديس الشيخ

(255) الترجمانة الكبرى ط. فضالة 1267 ص 461.
(256) المواهب القدسية 401-402.
(257) بغية المستفيد بشرح منية المريد لمحمد العربي السايح، بيروت 271.
(258) رفع النقاب فيمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأحباب لأحمد سكيرج ط. الأمنية الرباط 1971، 3 / 304. ونعت البدايات وتوصيف النهايات لماء العينين بن محمد فاضل ط. مصر 1331 ص 192-193.
(259) الاعلام 7 / 8-17.
(260) Les Zaouias de Marrakech... Voinot

ومبالغة في الاهتمام بصلاة الفاتح.

وألفت كتب في أبطال دعاويهم مثل "الترجمان المعربّ" للزياني، و"الصوارم والأسنة" للميلي، و "مشتهى الخارق الحاني في رد زلقات التجاني الجاني"، لمحمد الخضر الشنقيطي، و "كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع" لعبد الحفيظ العلوي(261).

ثامنا - طرق وزوايا أقل أهمية

بالاضافة الى هذه الطرق المهمة الممثلة في الغالب بعدد من الزوايا المتفرقة في احياء المدينة، هنالك طرق أقل اهمية لم تستطع التألق الى مستوى الأولى، وأغلبها متفرع عن الطريقة الجزولية.

1- **الطريقة الغازية** : نسبة الى أبي القاسم الغازي الفيلالي(262) وطريقته زروقية وفائية، فقد أخذ : عن علي بن عبد الله السجلماسي/عن احمد بن يوسف الملياني الراشدي/ عن احمد زروق(263).

اخذت عنه جماعة من الصوفية منهم من اتجه الى مراكش ومثل بها هذه الطريقة كأبي عبد الله محمد الفيلالي، وأخيه أبي العباس احمد الفيلالي، دفين مراكش(264). اما الزوايا الغازية بمراكش فهي : زاوية باب دكالة/زاوية روض العروس/زاوية أبي العباس السبتي/ زاوية باب ايلان.

2- **الطريقة الحمدوشية** : نسبة لسيدي علي بن حمدوش دفين مكناس(265). اشتهرت بنزوع أصحابها نحو الشطح وافتراس الحيوانات وشدخ الرؤوس. وهي في الأصل جزولية شرقاوية اذ ان مؤسسها من تلامذة سيدي امحمد الشرقي.

توجد زاويتها بحي روض العروس.

3- **الطريقة الحنصالية** : مجددها سعيد بن يوسف الحنصالي (المتوفى سنة أربع عشرة ومائة وألف للهجرة) الذي أسس جده الزاوية الحنصالية التابعة لطريقة أبي محمد صالح

---

(261) انظر انتقاد ابن المؤقت للطريقة في الرحلة المراكشية 1 / 152-157.

(262) من أتباع احمد بن يوسف الملياني (القرن العاشر) انظر عنه تحفة أهل الصديقية ص 75. و
Les confréries religieuses p. 71.

(263) المواهب القدسية 410.

(264) تحفة أهل الصديقية 75.

(265) انظر عن علي بن حمدوش وطريقته اشارات :
M. Bellaires : Les confréries religieuses. p. 70
G. Drague : Esquisse d'histoire religieuse p. 76.



الحارة

الموقف

اسول

الجانب الشرقي

الكتبية

بريما

آكدال

زوايا مدينة مراكش (كل دائرة بزاوية واحدة) فيما يلي مفاتيحها

(1) زاوية تيجانية	(2) زاوية درقاوية	(3) زاوية ناصرية
(4) زاوية وزانية	(5) " شرقاوية	(6) " عيساوية
(7) " جزولية	(8) " تباعية	(9) " غزوانية
(10) " فلاحية	(11) " فسطلية	(12) " حمدوشية
(13) " غازية	(14) " كتانية	(15) " حنصالية
(16) رابطة ابي اسحاق	(17) " بوعزاوية	(18) " قادرية
(19) زاوية اغماتية	• مساجد كبرى	▤ مقابر

في آخر القرن السابع. وقد أخذ سعيد عن محمد بن ناصر مؤسس الطريقة الناصرية(266). وكان لها انتشار واسع بالأطلس. اما الزاوية التابعة لها بمراكش فتقع بحي امصفح.

4- **الطريقة الكتانية** : أسسها محمد الكبير الكتاني بفاس سنة سبع وستين ومائتين وألف للهجرة. وكان يأخذ بمبادئ الطريقة الدرقاوية. وبالرغم من الصعوبات التي واجهتها بسبب موقف السلطات منها فإنها تمكنت من فتح زوايا تابعة لها ببعض المدن(267)، منها زاويتان في مراكش، الأولى بحي سيدي عبد العزيز، والثانية بحي أبي العباس السبتي.

وبعد، تبين من خلال العرض ان مدينة مراكش عرفت كل الطرق الصوفية التي وجدت في المغرب، سواء أكان انطلاقها من هذه المدينة نفسها أم من غيرها من المدن. واختلفت هذه الطرق أهمية وتأثيرا، فتعددت الزوايا التابعة لها وانتشرت في كافة أنحاء المدينة أو تقلص تمثيلها الى زاوية وحيدة.

فما هي أبعاد هذا التمثيل ؟ وما دلالة هذا وتأثيره على مجتمع المدينة ؟ ذلك ما سنحاول الوقوف عليه من خلال هذه الملاحظات والاستنتاجات.

المبحث الثالث

ملاحظات واستنتاجات

1- لقد شكا بعض المؤلفين القدماء(268) من اهمال المغاربة للتدوين والكتابة عن شيوخهم ورجالاتهم، مما يؤدي الى ضياع علم كثير. وهي ملاحظة لا يدرك فحواها الا من جرب الكتابة في مجال من المجالات المعرفية بالمغرب.

وفيما يخص الصوفية يلف سيرهم غموض كبير. فما أكثر الشخصيات التي لا نعرف عنها أي شئ، بالرغم من شهرتها ومكانتها في عصرها : فما وصلنا عن يوسف بن علي الصنهاجي، وعن أبي مدين الغوث، وعن عبد العزيز التباع، قليل.

(266) انظر عن الطريقة الحنصالية ومؤسسها سعيد أحنصال، وعن مجددها،
Esquisse... p. 73-74.

(267) انظر في ترجمة محمد الكبير الكتاني وطريقته، وعلاقته بالمولى عبد الحفيظ في :
Les confreries religieuses 84-85
Esquisse... 103

(268) ملاحظة سبق ان ابداها صاحب مرآة المحاسن، ونجدها عند محمد الغالي بن المكي في بادرة الاستعجال ص 20، وفي الاعلام 1 / 23.

وما أكثر التناقض الواقع في الاخبار التي رواها كتاب سيرة الجزولي. وقد وقع خلط بين الكتابين المؤلفين عن أبي عمرو القسطلي وابنه الكامل "شمس القلوب، وشمس المعرفة" فنسبت اخبار الابن للأب والعكس، واختلط كلام الزروالي بالحلفاوي ؟ وهذا ما يجعل البحث في هذا الميدان محفوفا بكثير من المزالق والصعوبات، ويستدعي الكثير من الاحتراس والتروي، مع العلم اننا قضينا عدة سنوات في البحث عن الوثائق والمستندات المتصلة بالموضوع من قريب أو بعيد في المكتبات العامة والخاصة.

ونتج عن هذا اختلاف تراجم وأخبار الصوفية طولا وقصرا بحسب ما توصلنا اليه من مصادر.

وواجهتنا صعوبات في الاهتداء الى أماكن بعض الزوايا في المدينة، فاكتفينا بترجيح مكان معين اعتمادا على القليل من الأخبار التي وصلتنا عنها، وعلى استقصائنا الخاص مع الاستعانة بالرواية الشفوية في حدود، وبعد التقصي وسماع الخبر من عدة جهات.

2- يجب التمييز -في مراكش- بين زوايا التعليم وإيواء الطلبة، وغالبا ما تجمع الى جانب هذا الدور التربوي، دور الاطعام وقراءة الأوراد والأذكار، وأداء الصلوات وأشهرها زوايا : ابي العباس، الجزولي، التباع الفلاح، الغزواني... وبين الزوايا المخصصة لأداء الصلوات، وتجمع المريدين للذكر والمذاكرة والاجتماع وهي الكثيرة، وتكون مفتوحة باستمرار.

وهناك زوايا تفتح أسبوعيا (الجمعة عشية) لالتقاء المريدين وتلاوة الاذكار وغالبا ما تنتهي هذه التلاوة بالشطح وارتفاع الأصوات، مثل زوايا حمادشة، عيساوة، والزاوية الغازية.

3- تكوّن الزوايا حلقة حول الأسواق باعتبارها قلب المدينة ومصدر عيشها، وباعتبار ان كثيرا من المريدين من الصناع التقليديين وصغار التجار. وقد هيأت نفسها لتكون بمثابة نواد لتبادل الرأي في أمور التجارة وتسهيل التعارف لابرام الصفقات، وكذا البحث عن اسواق لتصريف المصنوعات وجلب المواد الأولية.

فهي تبدأ من قاعة بناهض في جانب السوق، وتمر بحي امصفح، فحارة الصورة، وزاوية الحضر، وحي سيدي عبد العزيز، فالمواسين، فحي القصور، فروض الزيتون، فحي ضباشي، ثم بنصالح، وازبزط، فالانتهاء الى نقطة الانطلاق قاعة بناهض. فنصف زوايا المدينة توجد في هذه الدائرة الصغيرة. (أربع وعشرون من أصل ثمان وأربعين زاوية)(269). وتتوزع كالتالي :

- الدرقاوية، خمس زوايا من أصل تسع
- القادرية، أربع من أصل ست
- الوزانية، ثلاث من أصل ثلاث
- التجانية، زاويتان من أصل ست.

- الكتانية، زاوية من أصل زاويتين - الناصرية، زاوية من أصل زاويتين
- الشرقاوية، زاوية من أصل زاويتين - العيساوية، زاوية من أصل زاويتين.
- وزاوية واحدة : اغماتية، قسطلية، حنصالية، جزولية، تباعية، غزوانية،

وقد سبق أن أشرنا الى تشييد التباع لزاويته داخل السوق بحي النجارين (رابطة الصالحين). ويمكن اعتبار زوايا روض العروس من هذه الدائرة فلا يفصلها عن حي سيدي عبد العزيز الا مسافة قصيرة. وبه زاويتان غير مسطرتين في اللائحة أعلاه : غازية، وحمدوشية.

وتوجد باقي الزوايا في الأركان الأربعة للمدينة :
- الشرق، باب ايلان
- الشمال، حي الزاوية العباسية
- الغرب، حي باب دكالة

- الجنوب، حي القصبة. وتقترب من السكان الذين يجدون صعوبة في التنقل الدائم الى مركز المدينة. واختيرت مواقعها بالقرب من الأبواب، لأسباب :

- تقريبها من المشتغلين بالعراصي والحقول المطلة على اسوار المدينة، لينطلقوا منها -في الصبح- الى العمل، ويمروا بها -بعد العصر- الى سكناهم.

لذلك حرصت الطرق الصوفية الكبرى على ان توجد زوايا تابعة لها عند الأبواب : كالدرقاوية، والتيجانية، القادرية، والغازية، الكتانية في باب ايلان، وباب الخميس، وباب دكالة.

- ولباب ايلان تجارب صوفية عريقة، فقد عرف أقدم رباطات المدينة، وأول صلحائها.
- كما ان حي الزاوية العباسية قد استمد اسمه من زاوية أبي العباس السبتي التي كانت خارج باب تاغزوت، قبل توسيع سور المدينة.
- اما حي باب دكالة فكان منذ القديم من الأحياء التي تهيئ الداخل الى المدينة سواء العابر أو الراغب في الاستقرار، فتوفر له النزل والطعام وغير ذلك من الوسائل الضرورية. وفي هذه الحالة يكون الانتماء الى الطريقة مبررا للنزول عند مقدم الزاوية ولو لفترة محدودة قبل الاندماج في الحياة الاجتماعية للمدينة.
- اما القصبة فهي مقر اقامة السلطان والجنود (عرصة المعاش، دار الكشايرية) ومن

(269) حددت من قبل في نحو أربعين زاوية : السعادة الأبدية 1 / 28، والاعلام 1 / 98.

الضروري التفكير في توفير الزوايا للفقراء والمريدين الذين لا تمكنهم مهنهم من الابتعاد عن حيهم والوصول الى زوايا دائرة السوق.
كما ان احياء جنوب المدينة سيدي ميمون، سيدي عمارة، بريمة وجنان العافية يجدون زوايا القصبة أنسب للذكر والاتصال بالفقراء.

4- ومن مظاهر تغلغل اثر الأولياء والصلحاء في بنية المدينة وفي ذهن سكانها ان كثيرا من الاحياء والدروب أخذت أسماء الأولياء والزوايا. فمن الحومات الكبيرة التي تسمت بأسماء الأولياء : حومة الزاوية العباسية (نسبة لأبي العباس السبتي)/حومة سيدي بنسليمان (نسبة لمحمد بن سليمان الجزولي)/وحومة سيدي عبد العزيز (نسبة لعبد العزيز التباع)/وحومة القصور (نسبة لمول القصور الغزواني) وحومة سيدي احمد السوسي/وحومة سيدي بوعمرو (القسطلي المراكشي)/وحومة سيدي اسحاق (نسبة لأبي اسحاق البلفيقي)/ وحومة سيدي ايوب/وحومة سيدي ميمون الصحراوي/وحومة سيدي اعمّارة.

نلاحظ ان أربعة من سبعة رجال تسمت بهم حومات كبيرة، اما الثلاثة الباقون فاثنان منهم يقعان خارج السور وهما يوسف بن علي والسهيلي، وسمي حي هامشي باسم الأول (يضم أزيد من مائة ألف نسمة(269م)، والثالث هو عياض دفن داخل باب ايلان وغلب اسم الباب على الحومة، وان كان البعض يطلقون عليها حومة القاضي عياض (كما في السعادة الأبدية).

ويبدو هذا التأثير أكثر من قنوات الدروب والاحياء الصغيرة المكونة للحومات المذكورة. ولنتصور هذه الأهمية نستعرض أسماء الدروب والاحياء الموجودة في المدينة، وخاصة داخل الأسوار. وسنراعي فيها الشروط الثلاثة التي كانت وراء اختيار التسمية على وجه العموم :

- اما الابقاء على الاسم الأصلي للحي أو الدرب، أي اسم العرصة التي بني بها أو اسم مالكها أو من اشتهر به.
- اسم القبيلة التي نزلت بالحي أو الدرب، أو التي يمثل سكانها نسبة كبيرة فيه.
- اسم الولي المدفون به اذا كان من المشاهير، أو الذي كان يسكن به.

وبالمقارنة يتضح المقصود :

(269م) اتقدير سنة 1985 تاريخ كتابة هذا الفصل.

الحومـــات	اسم العرصة أو صاحبها	اسم القبيلة	اسم الولي أو الزاوية
قاع المشرع و الزاوية العباسية	درب العرصة الكبير درب العرصة الصغير عرصة علي وصالح عرصة با سيدي عرصة جسوس عرصة الفاسي عرصة بن رحمون	درب السراغنة درب امينزات	الضريح العباسي قبور الشهداء سيدي غانم زاوية درقاوة درب احمد الزاوية درب سيدي موسى الزحاف
أســـول و الأنطاكـــي	عرصة البردعي القديمة عرصة البردعي الجديدة		درب سعيد احنصال درب سيدي مخلوف درب درقـــاوة درب للاعويـش درب للا بنت العمري
حارة الصورة الموقـــف	بيـن العراصـي عرصـة السرسـار	درب زمــران درب تدغــة	درب سيدي بوحربة درب سيدي الفخـار درب بناصـر
قاعة بناهض و زاوية الحضر		سوق أهل فاس درب الحمـري	درب زاوية شرقاوة درب للاعزونـــة درب سبعة رجال درب بنـاصــر درب سيدي بوعمرو
سيدي بنسليمان	عرصة الاحباس عرصة المنصوري درب العرصـــة		درب سيدي مسعود درب سيدي القوري درب احمد السوسي درب الزاويـــة
باب دكالة	عرصة الحامض عرصــة اوزال	درب الزموري درب زمران زريبة العرب زريبة حاحا زريبة سوس زريبة الشياظمة	درب سيدي علي الطبر درب الدقـــاق درب سيدي لحسن وعلي درب الزاويـــة درب للا ركراكــة

الحومـــات	اسم العرصة أو صاحبها	اسم القبيلة	اسم الولي أو الزاوية
المواسيــن و القصــور			درب السمرقندي درب الحاج اليمني الزاويــــة
ضبشــي الرحبــة بنصالــح		درب الزناتــي	سيدي اسحاق بنصالـــح درب سيدي بنعيسى درب مولاي عبد القادر درب اعرجــان
عرصة الحوتة القناريـــة	عرصـة الحوتـة عرصـة الغزايـل عرصة سيدي سعيد درب العرصــة	دوار گراوة درب اسكورة	درب سيد بو الدشيش درب سيدي بولفضايل درب للا شاشـة
سيدي ايوب باب ايـلان بوسكـري	عرصة المسفيوي عرصة مولاي بوعزة عرصة سي يوسف عرصة بن البركة عرصـــة بانــي	درب اشتوكـة درب مجــاط درب الملالـي درب التادلاوي	سيدي ايــوب سيدي بولعبادة درب للا تحضرت درب عيســاوة
اسبتييــن باب الدباغ		درب زمـران درب ادراوة	درب سبعة رجال سيدي سوسـان
روض الزيتون القديم روض الزيتون الجديد	عرصـة موسى درب العرصـة	درب الزمرانـي درب المنابهـة	درب سيدي الركراكي درب سيدي فـارس درب الزاويــة درب سيدي بوضربة درب سيدي بوالاوقات
سيدي ميمون عرصة المعاش	عرصــة المعــاش	درب اولاد ابي السباع	درب سيدي ميمون درب سيدي مبارك الدراز للارقيـــــة

الحومـــات	اسم العرصة أو صاحبها	اسم القبيلة	اسم الولي أو الزاوية
بريـــمـــة باب احمر	اگـــــدال جنان العافية	درب اشتوكة درب الشلوح درب هوارة درب زمران درب اهل سوس	درب سيد بوزيد
القصبـــة	درب العرصـــة	درب دمنـــات درب حزيـــل درب عبـــدة درب الودايـــة درب المحاميـد درب ابـــزو درب العـــرب درب امزميـز درب تـادلـــة درب اشتوكـة درب تملالـــت درب الشبانـات درب المنابهـــة	درب سيدي مسعود

ونذكّر أننا لم نركز الا على الأليا ء الذين أصبحت الاحيا ء تحمل أسما ءهم ولم يكن هدفنا وضع خريطة لمدافن أوليا ء مراكش كما فعل صاحب السعادة الأبدية. كما اننا ذكرنا أسما ء العراصي المسكونة أو التي هي في طريق التعمير اما عراصي النزهة والاستجمام فلم نذكرها(270)، ويبدو من المقارنة ان عددا مهما من الأوليا ء أعطوا أسما ءهم لاحيا ء ودروب المدينة تبركا بهم وتخليدا لما قاموا به من أدوار اجتماعية وعلمية وتربوية.

5- حرصت الطرق الشهيرة على أن تكون لها زاوية أو أكثر في مدار سبعة رجال لشهرته، ولعدد المقبلين عليه من سكان المدينة وزوارها كما سنرى(271).

(270) انظر مقالتنا، معجم عراصي مراكش. محلة التراث الشعبي عدد 5، السنة 12.1981. ص 79-98.

(271) في الفصل اللاحق ، الثالث من هذا الكتاب.

6- أغلب الزوايا الممثلة في مراكش تابعة لطرق أسست خارج المدينة اما الزوايا التابعة لطرق اسست في المدينة فهي : زاوية التباع، زاوية الفلاح، زاوية سيدي بوعمرو "القسطلية". اما باقي الزوايا فتكونت طرقها :

- في شمال المغرب (بنو زروال، غزوان، وزان) وفي مدن تاريخية (كفاس ومكناس) وبجبال الأطلس وتادلا، وفي الجنوب (سوس وتمگروت). اضافة الى الطريقة القادرية المنتسبة لبغداد.

وكانت مراكش تجلب بذلك أهم الطرق المعروفة في أنحاء المغرب :

- لأهميتها التاريخية والسياسية التي لا نحتاج الى الحديث عنها بتفصيل، فهي عاصمة لدول مغربية عظمى، ولامبراطوريات شاسعة الأطراف.

- وهي مدينة المساجد والأضرحة والأولياء، وطقسها الديني يشجع على إقامة الزوايا والدعوة اليها.

هذه العوامل جعلت مؤسسي الزوايا أنفسهم يحلون بمراكش خلال فترات طويلة من حياتهم. منهم من بقي بها الى ان وافته منيته، أو نقل اليها بعد وفاته مثل أبي العباس السبتي، الجزولي، الغزواني، رحال الكوش، وعبد الله بن حسين.

7- ان استعراض تواريخ الزوايا بمراكش يمكن من التعرف الى المراحل التي قطعها التصوف في المدينة :

- قبل الجزولي، كان مفهوم التصوف هو الخلوة : رابطة أبي اسحاق، رابطة الغار، عباد جبل جليز، زاوية ابي العباس.

- بعد الجزولي، تم انتشار الزوايا وتكاثرها لتطور المفهوم اذ تحول من الخلوة الى الاندماج في الحياة العامة بكافة فروعها وصارت لها أدوار سياسية واجتماعية واقتصادية. فلم تعد تختار تلك المواقع المنزوية خارج الأسوار أو داخلها، وإنما تجمعت حول الأسواق، وفي الاحياء الأكثر سكانا، وبالقرب من الأبواب التي تستقبل عدداً أكبر من المهاجرين والمسافرين : كباب ايلان، وباب دكالة، وباب الخميس. وتغير المفهوم أدى الى اهمال المواقع القديمة لفائدة المواقع الجديدة المذكورة. وكانت الانطلاقة من تأسيس زاوية الجزولي وأتباعه : التباع، الفلاح، الغزواني، والقسطلي لتحيط بها الزوايا الأخرى : الناصرية الدرقاوية، الكتانية.

8- تتساكن الزوايا وتتعايش في الحي الواحد سواء كانت تنتمي الى فترة الجزولي او ما قبله، أو كانت جزولية أو زروقية.

وقد يكون لتوفر المحل اثر في هذا التساكن، ولكن في إطار الدائرة المحيطة بالسوق.

ووسائل الحصول على أرض الزاوية مختلفة :

- عن طريق الهبة (وهب الأمين القسطلي أرض الزاوية للتباع).
- عن طريق الشراء، وهي حالة أكثر الزوايا.
- عن طريق التحبيس على الفقراء : نموذج زاوية ازبزط التي كانت في الأصل دارا حبسها مالكها أحمد بن محمد بن عبد الله التادلي بتاريخ التاسع عشر رمضان سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف للهجرة على فقراء الطريقة الدرقاوية.

وتقع أمام مسجد حومة ازبزط، وتعرف بدار السيد عمر بن الصغير البوعبدلي(272).

9- ومواجهة السلطة للزوايا امر طبيعي لأنها تكون قوة مادية وروحية تسعى لاصلاح الأوضاع الاجتماعية للناس، وأنصافهم وتهذيبهم ورفع الظلم عنهم ولو كان ظلم الملوك والولاة. فعندما يكثر اتباع الزاوية ويتسع نفوذها تقوم السلطة باغلاقها أو نقلها بعيدا عن منطقة النفوذ تلك، أو حتى سجن شيخها. ومن الأمثلة : اخراج الوطاسيين لمحمد بن عيسى من مكناس، وسجنهم للغزواني بفاس ووقوف هذا الأخير ضدهم مناصرا لمنافسيهم السعديين في حصار مراكش، وموقف السعديين من زاوية امغار، وامتحانهم لأبي عمرو.

وتناصر السلطة الطرق التي تسير في خطها السياسي والمذهبي : السعديون مع محمد بن مبارك، والجزولي، والفلاح. وقد يكون لها دور في تأسيس بعض الزوايا للحد من انتشار زوايا أخرى منافسة وكسر شوكتها كما فعل الرشيد والمولى اسماعيل عند تأسيسها للزاوية الوزانية لمواجهه زوايا شمال المغرب التابعة للمشيشيين والريسونيين.

وقد تنتقل الزاوية من مساندة الدولة الى مواجهتها عندما يدعو الأمر الى ذلك : فالزاوية الشرقاوية كانت في بدايتها موالية للعلويين خصوصا بعد تخريب الزاوية الدلائية، ثم صارت بعد توسع نفوذها وقوتها مواجهة لهم مما دفع محمد بن عبد الله الى تخريب زاوية أبي الجعد وتغريب سكانها الى ناحية مراكش.

ويبدو انه لم يكن لهذه التحالفات القابلة للتغيير في كل وقت أي اعتبار في اختيار مواقع الزوايا بمراكش. مع ذلك نلاحظ وجود الطريقتين الدرقاوية والتيجانية على الدوام في نفس الحي او في حيين متقاربين وارتفاع عدد الزوايا التابعة لهما بالمدينة : في القصبة، في باب ايلان، في الزاوية العباسية، في القصور، في المواسين، وفي سيدي عبد العزيز. فهل هذا آثار من التنافس المعروف بينهما ؟

10- لا يخفى الدور الذي تقوم به المساجد والزوايا والبناءات الدينية في المحافظة

---

(272) من وثائق خزانة شيخ الزاوية الدرقاوية بحي القصور التي اطلعنا عليها مشكورا.

على التاريخ العمراني للمدينة. فكما لا يمكن بناء مسجد بدون حي قريب منه، كذلك لا يمكن بناء زاوية بدون وجود مريدين يلجونها لتلاوة الأوراد والأذكار.

ومن هنا يلقى المبنى الديني الأضواء على تاريخ تعمير المدينة : فمسجد الكتبية الذي يبدو حاليا منزويا في موقعه، كان وسط حي سكني هو حي الكتبيين، وبالقرب منه سور الحجر الذي كان مقر سكنى المرابطين والموحدين قبل بناء القصبة الموحدية. كما كان به حي اگدير الذي أقام به السبتي زاويته بفندق مقبل. والى جانبه الأسواق الموحدية (والفندق يرتبط عاة بالسوق).

ووجود رابطة أبي اسحاق بحي باب ايلان منذ عصر ابن الزيات دليل على قدم الحي ووجود الزاوية الاغماتية بقاعة بناهض دليل على وجود الحي منذ بداية حكم الدولة المرينية، وهي التي بنت المدرسة المجاورة له.

ولا توجد الزوايا القديمة في الاحياء المتأخرة البناء كسيدي بنسليمان، وروض العروس والمواسين وضبشي وروض الزيتون والقصور. اذ شرع فيها البناء مع ظهور الدولة السعدية، لذلك وجدنا الزوايا القائمة بها يعود تاريخها الى ما بعد الجزولي.

ويجب الانتباه الى حالات توسع بعض الطرق وانتشارها في الاحياء الجديدة وخاصة الطريقة القادرية التي دخلت في صراع مع الجزولية عندما ناصرت السلطان محمد الشيخ ووقفت في صف الوطاسيين وفي مواجهة السعديين. واستمرت المنافسة بين الطريقتين متجسدة في فتح زوايا قادرية في حي ضباشي وروض الزيتون وباب دكالة (احياء سعدية).

وقد لاحظنا فيما سبق(273) ان بعض الرباطات والزوايا كانت قبل تأسيس المدن، بل كانت أحيانا أساس هذا التأسيس، كرباط ابي محمد صالح بآسفي ورباط آل أمغار بتيط، ورباط هرتنانة. وأخرى سبقت الطرق التجارية.

ويرجع هذا الاختلاف الى اختلاف الأهداف ففي الوقت الذي أقيمت فيه هذه الزوايا لغاية الجهاد والدفاع عن الاسلام والمثاغرة وحراسة الطرق فتم تأسيس المدن بتكاثر الوافدين عليها.

لقد كان الهدف من زوايا المدينة خدمة السكان أساسا، لذلك كان شرط وجود السكان شرط وجود بالنسبة اليها. ومن هنا تصاعدت أهميتها بحسب كثرة أو قلة الوافدين عليها، واختارت المواقع التي تضمن لها توافد اعداد أكبر من المريدين.

11- يصعب التعرف الى مستويات المريدين الوافدين على زوايا مراكش وطبقاتهم

(273) انظر الفصل الأول.

الاجتماعية لأن المصادر لم تهتم بهذا الجانب عند حديثهما عن الزوايا اللهم ما يمكن أن يفهم من بعض الاشارات والتلميحات : فرواد الزاوية القسطلية كانوا من مستويات مختلفة بدليل ان أبا عمرو كان يطعم كل وارد بحسب مستواه وما ألف ان يأكله وهي عادة دأب عليها تلميذه أبو بكر الدلائي.

وعموما يمكن القول بأن مريدي الزوايا ينتسبون الى كافة الطبقات الاجتماعية وذلك لوقوعهما في أحياء مختلفة معروفة بتنوع فئاتها : من حرفيين ومهاجرين الى المدينة وكبار التجار والأغنياء. فأغلب سكان احياء باب ايلان، وبنصالح، وباب احمر، والقصبة، وروض العروس، والزاوية العباسية، وباب دكالة ينتمون الى الصنف الأول. في حين ينتهي أغلب سكان احياء القصور، المواسين زاوية الحضر، قاعة بناهض، وحارة الصورة الى الصنف الثاني. وهذا لا يمنع وجود استثناءات قليلة لا تلغي القاعدة.

وتحلّق الزوايا حول السوق دليل على ان كثيرا من الحرفيين والصناع الصغار والكبار كانوا من روادها. ومن المريدين من كان صاحب املاك وأراض وأموال كالأمين القسطلي الذي وهب أرضا للتباع، وابراهيم الدرعي الدرقاوي الذي حبس منزلا على فقراء الطريقة الدرقاوية(274).

في حين كان مريدون آخرون يلجأون الى الشيخ ليطعمهم وينفق عليهم كما كان يفعل السبتي والجزولي والفلاح والغزواني مع اتباعهم.

وكان الصناع والحرفيون والفلاحون يهبون جزءا من منتوجهم الى زاوية أبي العباس (العباسية) ليستفيد منه الفقراء والمعوزون ولمباركة محصولهم.

ويحدد مستوى المريدين أهمية الزاوية وشكلها، ففي الوقت الذي نجد فيه زوايا واسعة مزخرفة الجدران والسقوف، وتنعم بما يلزم من أمتعة وفراش وأضواء، لوقوعها في احياء كالقصور والمواسين، نجد زوايا أخرى مكونة من غرفة ضيقة متلاشية مفتقرة للضروريات.

وهي في الحالة الأولى بمثابة نواد يتبادل فيها المريدون الأخبار ويتصلون فيما بينهم على الأقل مرة في اليوم قبل الدخول من العمل الى البيت. وفي الحالة الثانية يقرأ فيها الفقراء الأوراد، ويستفيدون من طعامها ومواسمها، وربما من بعض ما يصلها من هدايا وهبات.

وما قلناه عن المستوى الاجتماعي للمريدين ينسحب على انسابهم :
فالزوايا بمختلف انتماءاتها تضم عناصر بربرية وعربية، وسكان المدينة والبادية والجبل. مع

(274) السعادة الأبدية 1 / 101.

التنبيه الى أن أصل الشيخ مؤسس الطريقة غالبا ما يكون له تأثير في انتساب المريدين : مثلا يغلب العنصر البربري (منطقة سوس) على مريدي الطريقة التيجانية، ويبدو ان السبب راجع الى الفروع الكنسوسية النظيفية للطريقة وهي سوسية الأصل. كما ان الغالب على اتباع الطريقة البوعزاوية هم اعراب الشاوية لانتساب المؤسس الى هذه المنطقة.

اما اتباع الطرق التباعية الغزوانية والقسطلية فأكثرهم من سكان الحاضرة مراكش واتباع الطريقة الناصرية من درعَة والجنوب. وهكذا.

وقد حرصت الزوايا التي ينتسب اليها كثير من البدويين من عرب وغيرهم ان يكون موسمها السنوي بعد الحصاد، وقبل الحرث، أي في آخر شتنبر وبداية أكتوبر بعدما يكون الفلاح قد أنهى أشغاله وله رغبة في زيارة المدينة والزاوية الأم بها للاتصال بالشيخ وقضاء الحاجات في نفس الوقت، كشراء ما يلزم من ثياب ولوازم السنة الفلاحية المقبلة.

12- قامت زوايا مراكش بأدوار سياسية واجتماعية منذ تأسيسها :

- فقد كانت بمثابة أحزاب سياسية تعقد تجمعاتها العامة، وتجمعها مبادئ وأوراد وعهد. تستنكر عندما يصدر عن السلطة ما يدعو الى الاستنكار، وتهب للدفاع عن حوزة البلاد عندما يداهمها خطر أجنبي. وكالأحزاب السياسية يساند بعضها سلطانا معينا ويسير في خطه السياسي، أو يعارضه. وقد تتعارض مصالح زاويتين فتعمل كل واحدة على أن يكثر اتباعها وتتقوى بشتى الوسائل.

- أما الأدوار الاجتماعية فمتنوعة : منها ما يتصل بالتربية والتعليم، فقد كانت تدرس في الزوايا نفس المؤلفات المقررة بمساجد ابن يوسف والمواسين والكتبية وغيرها من المؤسسات العلمية من كتب تفسير وحديث وأصول وتصوف، وقد قدمنا نماذج منها عند حديثنا عن الزاوية القسطلية. وبذلك تسهم الزوايا في نشر تعليم متواز مع التعليم الملقن في الجامعات، ويفوقه بمحاولة تهذيب نفس الطالب ليجمع الى علم الدنيا علم الآخرة.

ومنها ما يتصل بالتوجيه الروحي والتهذيب النفسي للمريدين.

وما يتصل بالاطعام والإيواء، إيواء المعوزين والطلبة وأبناء السبيل، وخاصة في فترات الجفاف والأوبئة.

شق السواقي واحياء الأراضي الميتة وغرس الأشجار وحراسة البساتين وانتاج الغلل.

وهذه المهام تبين اننا عندما نتحدث عن الزوايا فاننا نتحدث عن أجهزة ليس هدفها -كما يعتقد- تجزية أوقات الفراغ او الانزواء والابتعاد عن العمل والانتاج وإنما خدمة مجتمع المدينة دينيا وماديا وروحيا، والمساهمة في مساعدته على تخطي الصعوبات الطارئة، في

وقت كانت تنعدم فيه كافة الخدمات الاجتماعية وأحيانا أسباب العيش الكريم.

وبعد، فلقد تناولنا في هذا الفصل الطرق الصوفية اعلامها وأسانيدها والزوايا التابعة لها بمراكش، ومهدنا لذلك باستعراض الطوائف والمدارس الصوفية التي عرفها المغرب لتكون اطارا عاما للموضوع، وتمكننا من ارجاع الطرق الصوفية التي سنتحدث عنها الى أصولها.

وحتى تكون نظرتنا شمولية ومكتملة تتبعنا هذه الطرق الى فترات متأخرة من تاريخ المدينة مع العلم اننا سنخصص الفصل اللاحق لدراسة ظاهرة سبعة رجال وأدوارهم، باعتبارها ظاهرة مهمة في تاريخ المدينة ولها خصوصيات تستدعى الوقوف عندها.

الفصــل الثـــالـــث

سبعـــــة رجـــال وأدوارهــــم

المبحث الأول – سبعة رجال

المطلب الأول : من هم سبعة رجال ؟

المطلب الثاني : اختيار الرقم سبعة ؟

المطلب الثالث :تنظيم الزيارة: الأسباب، الظروف، الاهداف

المبحث الثـانـي – ادوار سبعة رجال

المطلب الاول : الدور السياسي

المطلب الثاني : الدور التربوي والعلمي

المطلب الثالث : الدور الاجتماعي

خاتمــــة :

كل الطرق الصوفية التي عرفها المغرب كانت ممثلة بزاوية او اكثر في مراكش . وساهمت هذه الزوايا في الحياة السياسية والاجتماعية والتربوية بالمدينة والمغرب عموما. الا ان الذي يميز المدينة ويطبعها بطابع خاص هو "ظاهرة سبعة رجال" التي اعطتها اسما ثانيا هو "مدينتسبعة رجال" و"تربة الاولياء" وقد ذكرنا اغلبهم عند حديثنا عن الطرق الصوفية سواء من انتسب الى مرحلة ما قبل الجزولي كيوسف؛ والسبتي، والجزولي ومن جاء بعده كالتباع والغزواني فمن هم باقي الاعلام؟ ولماذا خصوا بالزيارة دون غيرهم من اولياء المدينة؟ ولماذا تم تحديد الرقم سبعة دون غيره؟ ولماذا تم تنظيم الزيارة اصلا؟ وماهي الادوار التي قام بها هؤلاء الرجال والخدمات التي ادوها للمدينة وللبلاد حتى اشتهروا واستمر الاهتمام بهم ؟

هذه الاسئلة وغيرها سنحاول الاجابة عليها في المبحثين المكونين لهذا الفصل.

المبحث الاول
سبعة رجال مراكش

- المطلب الاول - من هم سبعة رجال ؟

كانت منطقة الحوز تعج بالأولياء قبل بناء مراكش : فاغمات كانت ملتقى الصوفية من القيروان والاندلس والمغرب، ونفيس كانت مجمع الصوفية المصامدة، ومواسم رباط شاكر كانت مجمع مئات النساء الصوفيات فضلا عن الرجال . . . وبعد بناء المدينة وتعميرها أخذت مكانة اغمات الاقتصادية والسياسية والدينية فانتقلت اليها مختلف الانشطة من بينها التصوف.

ومع مرور الزمن تصاعدت اهميتها الصوفية وتكاثر اولياؤها سواء المقيمون بها او المدفونون باحيائها وازقتها، فصارت بحق وكما يقول العامة "كل قدم بولي".

واختيار سبعة من هذا الجمهور الغفير امر صعب. وقبل الحديث عن ظروف الاختيار واسبابه ومبرراته نتعرض لهؤلاء الرجال لا للتعريف المفصل بهم ، فقد سبق ان تعرفنا الى اغلبهم ولكن لتحديد ماتميزوا به عن غيرهم مما قد يكون دافعا لاختيارهم دون غيرهم . وسنوردهم بحسب تواريخ وفياتهم.

- الاول : القاضي عياض (المتوفى سنة اربع واربعين وخمسمائة)
- من اشهر علماء المغرب اذ قيل "لولا عياض لما ذكر المغرب"
- عربي الاصل ينتمي الى يحصب من قبائل حمير اليمينة.
- عاش في العصر المرابطي اذ كانت وفاته قبل ثلاث سنوات من دخول الموحدين الى مراكش
- امام المذهب المالكي - مذهب الدولة المرابطية - والمدافع عنه، والمعرّف برجالاته (ترتيب المدارك)، لذلك اقحم في مسألة احراق كتاب الاحياء(1).
- اشتغل بالتدريس والقضاء "بسبتة وبعض مدن الاندلس.
- تعرف الى مراكش التي سيصبح احد رجالاتها المرموقين في آخر حياته، ودخلها مغربا منفيا اثر الاحداث التي واجه فيها سكان سبتة الدولة الموحدية مابين ست وثلاثين وخمسمائة وثلاث واربعين وخمسمائة(2).
- قضى في المدينة اقل من سنة اذ دخلها في آخر سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وتوفي بها في التاسع والعشرين من جمادى الآخر سنة اربع واربعين وخمسمائة(3).
- اشتهر عياض بالزهد والورع واهمال الدنيا فقد تنازل لاخيه عن نصيبه من الميراث بعد وفاة والدهما (4). ومات وعليه دين خمسمائة دينار(5) . وكانت له محبة كبيرة في الرسول وآل بيته تجلت في مؤلفه الشفا.

---

(1) من الذين قالوا بمشاركته في الفتوى المذكورة، الشعراني في الطبقات1/15 وابن العماد في شذرات الذهب 139/4. وكان عياض عند صدور الفتوى في مرحلة الطلب بسبتة، ومن شيوخها احد أبرز معارضي الغزالي هو ابن احمدين

(2) تذهب المصادر الى ان عياضا كان ابرز زعماء هذه الثورة لما تضمنه المذهب الموحدي من مهدوية وعصمة وامامة وغير ذلك مما لايقول به المالكية (العبر 484/6، والانيس المطرب لابن ابي زرع 191)، والقاضي عياض لعبد السلام شقور، ط دار الفكر المغربي 1983 ص 92-98)

(3) حسب ابن عياض ان والده لقي ترحابا وعناية من طرف عبدالمومن بعدما غفر له تصرفاته السابقة (وامر بلزوم مجلسه، واظهر تقريبه ومحبته، فكان يسأله فيستحسن جوابه، فأقام على تلك الحال، ومنزلته تزداد عنده كل يوم سموا ورفعة) التعريف 13.

(4) مبلغ تنازل عنه 17الف دينار، درر الحجال 77

(5) التعريف 113.

– لهذا كله حظي عياض بتقدير سكان المدينة فحكوا عنه كرامات جعلوه فيها من اهم اوليائهم(6) حتى ان اليوسي عندما وصل الى مراكش لتجديد قضية الزيارة، سأله السكان عن حد حرم ابي الفضل عياض، فأجابهم جوابه المشهور (المغرب كله حرم لابي الفضل).

– الثاني : ابو القاسم عبدالرحمن السهيلي (المتوفى سنة واحد وثمانين وخمسمائة)

– عربي ينتسب لخثعم وهي قبيلة من اليمن، وقيل من معد صاروا باليمن(7) ثم حلت بين الطائف ونجران على طريق القوافل من اليمن الى مكة . وكانت من القبائل التي دخلت الى الاندلس وامتزجت بسكانها فنزلت البيرة وشدونة(8).

– ولد ونشأ بسهيل وكف بصره وهو ابن سبع عشرة سنة (9).

– اشتهر بمعرفته الواسعة باللغة والتفسير وصناعة الحديث ورجاله وانسابه وعلم الكلام والاصول . وحازت كتبه شهرة كبيرة، وخاصة منها الروض الانف في شرح السيرة، وكتاب التعريف والاعلام فيما ابهم في القرآن من الاسماء والاعلام. . ويغلب عليها الجانب اللغوي لاسيما وان السهيلي هو تلميذ النحوي المشهور ابن الطراوة(10).

– والسهيلي كعياض غريب عن مراكش قدم اليها حسب ماقيل: إما بدعوة من يوسف بن عبدالمومن بعدما نما اليه خبره واشتهر امره في بلاده(11)، واما انه سار اليه بمحض ارادته بسبب الحاجة وضيق الحال (خاصة وانه كان ضريرا)(12).

---

(6) النجم الثاقب لابن صعد 374-376.

(7) لسان العرب ، طـ . دار صادر 166/12

(8) نفح الطيب 138/1.

(9) تقع قرية سهيل على الساحل الجنوبي للأندلس قرب مالقة، سميت باسم الكوكب لأنه لايرى في جميع الاندلس الا من جبل يطل عليها : انظر وفيات الاعيان 144/3.

(10) انظر عن شيوخه اظهار الكمال 335-337-339.

(11) عرف يوسف باستدعاء العلماء والشعراء وتقريبهم منه للاستفادة من علمهم وادبهم كابن طفيل وابن رشد، وقد سجل صاحب المعجب هذه الخصلة فقال (ولم يزل يجمع الكتب من اقطار الاندلس والمغرب، ويبحث عن العلماء وخاصة اهل علم النظر الى ان اجتمع له منهم مالم يجتمع لملك قبله من ملك المغرب) ص 236-و 242.

(12) انظر ماقاله صاحب اظهار الكمال في هذا الباب ص 335.

– واتفقت الروايات على ان السهيلي قضى بمراكش ثلاث سنوات. وبما انه توفي بين الخامس والعشرين والثامن والعشرين من شعبان سنة واحد وثمانين وخمسمائة، فإن تاريخ استدعائه اليها يكون هو سنة تسع وسبعين وخمسمائة(13).

ولم تتحدث المصادر عن نشاط السهيلي بالمدينة، فنحن نعرف انه كان يدرس بها ويلتقي بالخليفة الا اننا لانعرف من اخذ عنه بها، ولا المؤلفات التي ألفها فيها(14).

– وعرف السهيلي بالزهد في الدنيا، والصبر على البلوى : عاهة العمى، وضيق سبل العيش، والحاجة. يُشبه في ذلك بالمبتلى يوسف بن علي الصنهاجي.

– الثالث : يوسف بن علي الصنهاجي (المتوفى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة)

– عربي يمني، فقد نص النسابة على عروبة صنهاجة الحميرية(15)، وهو مراكشي نشأة ومولدا، الا أننا نجهل تاريخ ميلاده وظروف نشأته . وكل مانعرفه انه درس بها على شيخه ابي عصفور من صوفية المدينة واحد تلامذة الشيخ ابي يعزى(16)

– وفاته في آخر القرن السادس تبين انه عاش في فترة من فترات نشاط التصوف في المدينة وهي الفترة الموحدية التي ساهم كتاب التشوف في بلورتها والتعريف برجالاتها .

(13) اتفقت المصادر على تاريخ وفاته مع اختلاف بسيط في اليوم، واهمها: وفيات الاعيان 43/3-44، وبغية الملتمس 367، والنفح 3400، واظهار الكمال 336، والسعادة الابدية 102/2، والاعلام 65/8. واشار اغلبها الى انه عاش 72سنة.

(14) تذكر بعض المصادر حنين السهيلي لبلدته وبيته واهله بالاندلس، فبعث الخليفة من صوّره له .فبنى له بيتا مشابها بحي القنارية، واحضر له متاعه واهله من الاندلس فارتاح الشيخ لذلك. الا ان عاهة السهيلي وانشغال الخليفة خلال هذه السنوات بالذات بالجهاد في الاندلس، كلها قرائن تجعلنا نشك في وقوع هذه القصة التي تروي مثيلة لها عن علاقة المنصور الموحدي بابن زهر ، انظر السعادة الابدية ج 104/2

(15) انظر تعريفا موجزا بصنهاجة ولائحة باسماء القائلين بعروبتهم في كتاب الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله ص 296-297. ومقالة محمد شفيق عن علاقة الامازيغية بالعربية في جذورها الكبرى، وترد فيها كثير من المفردات الحميرية الاصل. البحث العلمي عدد 231/25 -241، سنة 1976.

وقال ابن حامد في مدح يوسف بن تاشفين

ملك لـه شرف العلا من حمير وان انتموا صنهاجة فهم هم

(16) التشوف 115.

- لم يعرف عن يوسف ماعرف عن سابقيه من علم وتأليف ومشاركة في الحركة العلمية بالبلاد . وبالتالي لم يكن المعيار العلمي اساس اختياره . وقد يكون سبب الاختيار ماتميز به من صبر على البلوى (الجذام) وبلوغه في ذلك دزجة كبرى، هي درجة التلذذ بالبلوى، او مايسميه الصوفية صبر العارفين.

- الرابع : ابو العباس السبتي (المتوفى سنة واحد وستمائة).

- اشهر اولياء المدينة . اصله عربي من الخزرج.

- وهو كعياض من مواليد سبتة. وفد على مراكش طالبا للعلم وعمره حوالي ست عشرة سنة.

نزل بجبل جيليز المشرف على المدينة لان مجيئه اليها صادف محاصرة عبدالمومن لها. ومع ان الحصار لم يدم الا سبعة اشهر فقد بقي في الجبل مدة اربعين سنة دون ان يتقدم لاخذ العلم عن علمائها.

- اكسبته هذه الخلوة الطويلة بالجبل شهرة، وجعلته يحظى بتقدير العامة، فنسجت حوله الاساطير سواء في مسألة دخوله الى مراكش وقطعه الخلوة او في علاقته بصوفية عصره الذين كانوا ينافسونه . وماكثر عددهم في العصر الموحدي(17).

- تاريخ بداية نشاط السبتي هو تاريخ نهاية نشاط السهيلي تقريبا، فهما ينتسبان للعصر الموحدي. وتميز السبتي باندماجه الكلي في الحياة العامة بالمدينة بعد سنة واحد وثمانين وخمسمائة (اي بعد قطع الخلوة) فتزوج وانجب اولادا او بنات (واحفادا؟) وتصدر للتدريس والتأليف (مثل عياض والسهيلي).

- الا ان مايميزه عن غيره هو مذهبه الخاص في الصدقة الذي قال عنه ابن رشد بأنه قائم على القول بأن الوجود ينفعل بالجود. وهو مذهب كان له اثر في خدمة سكان المدينة.

- الخامس : محمد بن سليمان الجزولي (توفي حوالي سنة سبعين وثمانمائة).

- إذا سلمنا ان صنهاجة من حمير وانها عربية الاصل فإنه يمكن القول بأن الجزولي عربي . ذلك ان جزولة هي احدى قبائل صنهاجة وكانت مع لمطة في اقصى الصحراء، ثم فارقت بعض فصائلها هذا الموقع الاصلي لتحل بمنطقة بين وادي سوس ووادي نول، ثم لتستولي على

(17) انظر اظهار الكمال 165- 166، وتعطير الانفاس 43- 44.

كثير من الاراضي في الاطلس الصغير وجبل باني(18). وهو من سملالة (احد فروع جزولة).

- يتميز عن باقي رجالات مراكش بتصريحه في كثير من كتاباته بانه شريف.

- طالت فترة حيرته وبحثه عن الشيخ المربي، فبعد بحث طويل في المشرق والمغرب تعرف الى الشيخ ابي عبدالله امغار الصغير بتيط فسلك على يديه.

- بعد خلوة طويلة اشتهر امره وكثر اتباعه ومريدوه.

- ونظرا لضعف الدولة الحاكمة وعجزها عن أخذ زمام الحكم ورد هجومات الاجنبي على البلاد واخماد الثورات والتمردات الجهوية، فإن الصوفية يئسوا من قيام هذه الدولة بواجبها الديني والقومي فحملوا لواء الجهاد ومحاربة الغزاة الاجانب. وكانت الدولة ترى في مثل هذا العمل خطرا على وجودها وكيانها وتهديدا لشرعيتها، لذلك لم تكن تسهل عمل الصوفية بل على العكس من ذلك كانت تضع امامهم العراقيل وتحول دون اتصالهم بالناس بكامل الحرية. وهكذا كان الجزولي يتعرض للطرد والنفي اينما حل وارتحل. إلا ان هذه المضايقات لم تمنعه من تربية المريدين وتوجيههم. وهذا الجانب التربوي النضالي مما تميز به الجزولي في عصره وجعله رأس طريقة عرفت بالنضال والجهاد. لذلك سيدخل عالم الاسطورة بعد وفاته، وسيصبح تابوته محل تقديس وتعظيم تتصارع قبائل الشياظمة وحاحا لاحتوائه، وتتفاءل الدولة السعدية بنقله الى عاصمة ملكها.

وعلاقة الجزولي بمراكش واهية، فقد اتاها وهو على قيد الحياة، الا أن المصادر لاتحدد تاريخ ذلك بالضبط. والراجح انه حل بها بعد خروجه من خلوته، ونعرف انه التقى فيها بتلميذه التباع الذي كان طفلا آنذاك ودعاه لزيارة والديه بحي القصور. وسينقل جثمانه اليها بعد مرور أزيد من عشرين سنة على وفاته ليصبح احد رجالاتها.

- ويبدو أن اختياره كان بسبب ماادركته طريقته من شهرة ومكانة في المغرب وخارجه فحلت محل الطريقة الشاذلية وتفرعت الى طرق عديدة. كما انه اشتهر بكتابه "دلائل الخيرات" في الصلاة على النبي. وهو كتاب حاز بدوره قبولا لدى الناس فحفظوه ودأبوا على تلاوته بانتظام، وحسب طقوس واعراف توارثها الناس فيما بعد حتى صار اسمه ملازما للكتاب "صاحب الدليل" او "مول الدليل" عند العامة.

---

(18) المسالك والممالك للبكري 157، واصول المغاربة، القسم البربري، للتقي العلوي البحث العلمي عدد 27/231، سنة 1977.

- <u>السادس : عبدالعزيز بن عبدالحق التباع</u> (توفي سنة اربع عشرة وتسعمائة).

- من مواليد مراكش في اواسط القرن التاسع . يظهر من لقبه "الحرار" ان اسرته كانت تشتغل بصناعة الحرير وبيعه (من الصناعات المرموقة بالمدينة).

- لم تسعفنا المصادر بالتعرف الى اصله (خلافا لباقي الرجالات).

- يبدو ان انشغال التباع بالحرفة في أول أمره كان وراء نعته بالأمية في شبابه، وتأخره في السفر الى فاس للتعلم. ومع انه أخذ بها قسطا وافرا من العلم، فإنه لم يكن معدودا من المؤلفين والعلماء، ولم يخلف آثارا مكتوبة، وان كانت له إسهامات في المجال التربوي الصوفي.

- ولعل مايبرر اختياره هو تقدمه في الطريقة الجزولية التي أخذها مباشرة عن الجزولي وعن اخص تلامذته السهلي. فاعتبر مع وجود الصغير وارث سر الجزولي . ومؤسس فرع نشيط من فروع طريقته (التباعية) والتي سيكون لها عدد كبير من المريدين والاتباع لايقلون أهمية عن اتباع الجزولي نفسه(19).

- <u>السابع : عبدالله بن عجال الغزواني</u> (المتوفى سنة خمس وثلاثين وتسعمائة).

- ينتسب لقبيلة غزوان من عرب تامسنا (الشاوية) . حل بمراكش بعد دراسته بفاس وبحثه عن شيخ الطريقة. وبها اخذ عن التباع. ثم فتح زواياه على التوالي ببني فزگار، فاس ، مراكش .

- مما تميز به : المستوى الجيد لمؤلفاته الصوفية خاصة كتاب النقطة . قصائده الشعرية ومساجلاته الصوفية ومراسلاته العلمية مع علماء المغرب والمشرق.

- وهو مؤسس الفرع الغزواني للطريقة الجزولية. وله اتباعه ومريدوه.

- اتجاهه الاجتماعي الخاص المتمثل في شق السواقي واحياء الاراضي والاهتمام بالفلاحة في وقت كانت لحاجة ماسة فيه الى الغذاء : الجفاف، الاوبئة . . .

---

(19) السعادة الابدية 2/61- 62.

- خلاصة المطلب الاول،

تبين ان العوامل التي يشترك فيها سبعة رجال مراكش قليلة، وان الاختلافات فيما بينهم واسعة . فأهم عوامل الائتلاف :

.1) انهم اقبروا جميعا بمراكش.

.2) اصلهم عربي واغلبهم من اليمن : باستثناء التباع الذي لم نتمكن من معرفة اصله على وجه التحديد، والراجح ان منظم الزيارة توفر لديه مايؤكد عروبة التباع والا لما اختاره ضمن هؤلاء الرجال . اذ ان هذا الاختيار كان مقصودا كما سنرى، وهي مسألة لها اهميتها بالنظر لتكوين مجتمع المدينة البربري العربي.

.3) لكل واحد منهم مايميزه على الصعيدين الديني او الصوفي.

لهذه الاعتبارات - ولاعتبارات تطبيقية اخرى سنقف عليها- تم اختيار هؤلاء الرجال . ومع ذلك فإن مجال الاختلاف بينهم كبير:

.1) انتسابهم الى عصور سياسية مختلفة (من العصر المرابطي الى بداية السعدي) فهم يغطون تاريخ المدينة منذ تأسيسها الى زمن اشتهار الزيارة، وتحديدها.

.2) بعضهم من ابناء المدينة، ولدوا ونشؤوا بها مثل يوسف والتباع، ومنهم من جاء اليها من مدن تاريخية اخرى كسبتة (عياض والسبتي) او من قرى في الجنوب (الجزولي) او الشمال (الغزواني). اما السهيلي فهو الوحيد الذي قدم من خارج المغرب (الاندلس).

وإذا كان بعض هؤلاء الوافدين قد اندمج مع السكان وقضى فترة غير قصيرة بالمدينة كالسبتي والغزواني، فإن البعض الآخر لم يعش فيها الا فترة قصيرة : السهيلي، عياض، الجزولي.

.3) اختلاف في مستواهم الفكري وتخصصهم العلمي:

.4) اختلفت ادوار كل واحد من الرجال السبعة واسهاماته في مجتمعه: منهم من انغمس في السياسة، ومنهم من وقف بين ذلك وبين التربية والتعليم، ومن كانت له ادوار اجتماعية محضة.

المطلب الثاني

اختيار الرقم "سبعة " دون غيره:

اهتم الانسان منذ القديم باستكشاف اسرار الحروف والاعداد لرصد ظواهر الطبيعة وحركة الافلاك والافادة منها لتسخير قوى الكون لمنافعه: معرفة الانواء والاوقات والمنازل. وقد اوجد الصوفية المسلمون توازيا:

- بين الحروف والطبائع الاربع : حرارة، برودة، يبوسة، رطوبة، لكل طبيعة سبعة حروف(20).

- وبينها وبين الافلاك، مع اعطاء دلالات لكل مرتبة من مراتب هذه الافلاك(21).

وقد تصوروا نتيجة ذلك على نحو ماتصوروا مايسمى بمملكة العالم الباطن فعند ابن عربي ان في عالم الحروف قطبا وامامين واوتادا وابدالا(22).

- فالالف، قطب الحروف ومقامه الحياة والقيومية، تنحل الحروف اليه وتتركب منه ولاينحل هو اليها كشأن الواحد الذي تفتقر اليه الاعداد، وهو غني عنها.

- و، ي ، هما الامامان.

- أ، و، ي، ن، الاوتاد الاربعة.

- أ، و، ي، ن، ك، هـ، ت الابدال السبعة.

وصار الصوفية على هذا المنوال في محاولة تفسير رموز حروف وكلمات لها اهميتها الدينية كالحروف التي تستهل بها بعض الآيات، ولفظ الجلالة، ولفظ الشهادة، واسم الرسول(23). . .

وحظيت الاعداد بنفس العناية خاصة وان الحروف نفسها لها دلالات عددية ففي الثقافات العبرية القديمة تعاويذ وجداول حاول فيها الاحبار استكشاف الاعداد السحرية التي تجلب الحظ وتدرأ الشر.

---

(20) الرمز الشعري عند الصوفية 411

(21) الرمز الشعري عند الصوفية 413

(22) الفتوحات المكية سفر 6/335- 336. والرمز الشعري 412- 411.

(23) انظر نماذج لهذه الدلالات والتحليلات في كتاب الرمز الشعري 408- 410- 414

واكتشفوا في جمع الكلمات في صور اعداد، والاعداد على هيئة كلمات التنظيم الشامل للعالم من حيث يضم اسماء الله، واسماء الملائكة، وعوالم السماء، وكانوا يستدعون عن طريق الاهابة بما في الكلمات والاعداد من قوى الارواح الخيرة والشريرة ويخمدون النار ويطردون الامراض(24).

اما الفيتاغورية فقالت بوجود تناظر بين الاعداد والاشكال الهندسية فالعدد (واحد) يساوي النقطة، والعدد (اثنان) يساوي الخط، والعدد (ثلاثة) يساوي السطح، و(اربعة) يساوي الجسم، وهكذا . . . (25).

وللاعداد رموز خاصة في العرفانية الصوفية فالواحد رمز على الاله، كما ان العدد رمز على العالم باعتبار الكثرة والتركيب. . .ويؤدي هذا الى تماثل وتناسب فالعلاقة التلازمية بين المبدأ الخالق والمخلوقات تبدو على نحو العلاقة التلازمية بين الواحد والعدد. ويخرج ابن عربي عن دراسة رموز الاعداد ودلالاتها بنتيجة هي مبدأ وحدانية الله في كل الاديان والعبادات(26).

ووقف الصوفية عند كل رقم محاولين استكشاف اسراره. ويهمنا منها رقم "سبعة"، وهو رقم لايقبل القسمة، وليس له جذر تربيعي سماه القدماء رقم النشأة والتكوين.

وفي ثقافة مابين النهرين ظهرت السبعة في مجموعة نجوم الدب الاكبر والدب الاصغر وفي بنات اطلس السبع (Pléade)، وهي التي تحولت حسب الاسطورة الاغريقية الى مجموعة نجوم تعرف بالثريا. . .

وفي التوراة ان الله خلق العالم في ستة ايام ثم استراح في اليوم السابع (27) السبت، والعام التاسع والاربعين (سبعة مضروبة في سبعة) عام العيد(28).

وفي سفر الرؤيا من الانجيل ان الله يفتح يوم القيامة كتاب الاقدار، ويفض الاختام السبعة، فينفخ سبعة من الملائكة في سبعة ابواق، وتحدث سبع كوارث تنتهي بها الدنيا(29).

---

(24) الرمز الشعري 390.
(25) الرمز الشعري 395.
(26) الفتوحات المكية السفر 7/348، والرمز الشعري 399-400.
(27) سفر التكوين من التوراة
(28) كتاب الشيطان يحكم لمصطفى محمود، المكتب المصري الحديث 73.
(29) نفس المرجع 73.

ونقل اليفرني عن ابي نصر عبدالرحمن الهمداني في كتاب "السبعينيات" قوله ان الاعداد السبعة لها عند الله خطر عظيم ومحل جسيم، ولذلك زين الهواء بسبع سماوات، وزينها بسبعة نجوم، فقال (وزيناها للناظرين). وزين الفضاء بسبع ارضين، وسبعة ابحر ، والنار بسبع دركات ثم زينها بسبعة ابواب.

وزين القرآن بسبعة اسباع، ثم زينها بالسبع المثاني، وزين الكون بسبع كلمات هي : لا / اله / الا / الله / محمد / رسول / الله.

والدنيا بالاقاليم السبعة، والاقاليم بالايام السبعة(30).

وقال ابن القيم الجوزية في كلامه عن حديث عامر بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من تصبح بسبع ثمرات من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولاسحر".

ان خاصية السبع لها قدر وشرف شرعا : فالسماوات سبع، والايام سبعة، والسعي سبع، والجمار سبع، والتكبيرات في العيدين سبع. . . والصدقة كالحبة انبثت سبع سنابل والذين يظلهم الله يوم القيامة سبعة . . .الى ان قال فلا ريب ان لهذا العدد خاصية ليست لغيره . فالسبعة جمعت معاني العدد كله وخواصه، فإن هذا العدد شفع ووتر، الشفع اول وثان، والوتر كذلك . . . وللاطباء اعتناء كبير بالسبعة، اذ قال ابقراط ان كل شيء في هذا العالم مقدر على سبعة اجزاء(31).

وتَعتبر الشيعة الاسماعيلية هذا الرقم سرا من اسرارها الباطنية فعندهم ان هناك سبع فترات للأنبياء والرسل وهي على الشكل التالي : آدم، نوح، ابراهيم، موسى، عيسى، محمد صلى الله عليه وسلم، ومحمد بن اسماعيل. وبين كل فترة من هذه الفترات سبعة من الائمة.

وأثِر عن محمد الباقر ان الاسلام بُني على سبع دعائم : الولاية (وهي فضلها)، والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد(32).

وهكذا فإن القدماء اهتموا باسرار هذا الرقم اكثر من غيره، لذلك كان الاتجاه نحو اختيار سبعة رجال بالضبط. وفي اعتقادي ان هناك قرائن وعوامل رجحت هذا الاختيار، أهمها:

---

(30) درر الحجال 57.

(31) الطب النبوي لابن القيم الجوزية، نشر عبدالغني عبدالخالق 1957 ص 76.

(32) مبادئ التشيع في الادب الموحدي، لابن تاويت، دعوة الحق، السنة 8، عدد 4، ص 90-92.

1 - فكرة السبعة رجال موجودة قبل عصر المولى اسماعيل، فالحديث عن رجال رجراجة الذين زاروا الرسول صلى الله عليه وسلم وخاطبهم بلسانهم يرجع الى ماقبل الفتح الاسلامي للمغرب.

وحدث التادلي عن محمد بن محمد بن ابي القاسم قال : سمعت ابا زيد الدقاق وكان رجلا خيّرا يقول (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم عند احد ابواب مراكش فقلت له : يا رسول الله أفي هذا البلد احد من الاولياء؟ فقال : فيه سبعة ، فقلت يارسول الله من هم ؟ فقال لي هؤلاء ، فإذا سبعة رجال خروج من الباب ماعرفت منهم الا احمد بن محمد الغساني المعلم) (33).

ويتحدث المقريزي عن سبعة رجال مصر(34) تتم زيارتهم ليلة الجمعة، وهم :

1) ابو الحسن علي بن محمد الصائغ الدينوري (المتوفى سنة واحد وثلاثين وثلاثمائة، هـ).

2) عبدالصمد بن محمد بن احمد . . البغدادي المتوفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

3) ابو ابراهيم اسماعيل بن المزني المتوفى سنة اربع وثمانين واربعمائة.

4) القاضي بكار بن قتيبة المتوفى سنة سبعين ومائتين.

5) القاضي المفضل بن فضالة المتوفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين.

6) القاضي ابو بكر بن عبد الملك القمني المتوفى سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة.

7) ابو الفيض ذو النون ثوبان المصري المتوفى سنة خمس واربعين ومائتين.

وتتوفر الجزائر كذلك على رجالها السبعة ، وهم :

1) عبدالرحمن الثعالبي مدفون خارج باب الوادي شمال المدينة.

2) سيدي بوجمعة بنفس الضريح.

3) احمد بن عبدالله مدفون خارج باب الوادي قرب البحر.

4) احمد الكناني بنفس الضريح.

5) سيدي السعيدي دفين خارج باب الوادي.

6) علي الوادي دفين داخل باب الوادي.

7) علي الجيودي بنفس الضريح.

---

(33) التشوف 2- 3.

والملاحظ انهم اقبروا في امكنة متقاربة حول باب الوادي خلافا لرجالات مراكش الموزعين على المدينة. ويشير "فانيان" (Fagnan) الى انهم كانوا اخوة وقتلوا في نفس اليوم من طرف المسيحيين . وهناك ازجال وقصائد قيلت في مدحهم والتنويه بمكانتهم(35).

وتوجد مزارات لسبعة رجال آخرين في عدد من المدن والقرى:

- سبعة رجال تلمسان .
- سبعة رجال بني عروس وهم عبد السلام بن مشيش ووالده، واخوته. يقوم سكان شفشاون بزيارتهم يوم الثالث من المولد النبوي(36).
- سبعة رجال فاس بحي المصلى(37)
- بالفنيدق قرب تطوان قبة سبعة رجال، ومقبرة سبعة رجال، ومسجد سبعة رجال(38).
- وتحدث دوتي (Doutté) عن سبعة رجال للاتكركست من بلاد وزگيتة وزيارة السكان لهم(39)

ان شعور سكان المدن بالخوف. من هجومات الاجانب، ومن الكوارث الطبيعية والاوبئة والامراض جعلهم يتعلقون بأوليائهم حماة المدن، ويداومون على زيارتهم في شخص سبعة منهم، يتم اختيارهم وتحديد وقت وطقوس زيارتهم.

واذا كنا على يقين بأن زيارة رجالات رجراجة، مصر ،و الجزائر قد نظمت قبل زيارة سبعة رجال مراكش ، فإننا لانستطيع تحديد تاريخ تنظيم زيارة سبعة رجال باقي المدن والقرى المشار اليها . . . فقد يكون ذلك من تأثير مزارة اولياء مراكش؟

2.- وعند "دوڤردان" (Deverdun)ان مدينة مراكش كانت مقسمة الى سبعة اعلام (او مناطق) يجمع كل واحد عددا من الأحياء والدروب الا ان تاريخ بداية هذا التقسيم غير معروف ، وقد كان موجودا في العصر العلوي. وهو كالتالي:

---

(34) الخطط المقريزية 1/448- 449، طـ مكتبة احياء العلوم، لبنان.

(35) - E Fagnan : Un chant algérien du XVIIIè S à l'occasion du bombardement d'alger par les danois . Safar 1184 . Juillet 1770. Revue africaine T. 38 n• 215 - 216 p . 325 - 345 .

(36) - Le maroc inconnu. Moulieras 2/171 - 178 .

(37) - Une ville de l'islam : Fès. Gaillard 1905 p. 137

(38) خلاصة تاريخ سبتة لمحمد السراج ص 161-167

(39) - En tribu . E . Doutté 222

- العلم الاول، الزاوية العباسية.
- العلم الثاني، زاوية سيدي بنسليمان.
- العلم الثالث، الموقف.
- العلم الرابع، باب ايلان.
- العلم الخامس، الحفرة.
- العلم السادس، القصور.
- العلم السابع، باب دكالة(40).

ان بوسعنا التقريب بين هذا التقسيم السباعي للمدينة واختيار سبعة رجال خاصة وان : السبتي يمثل الزاوية العباسية ، والجزولي يمثل سيدي بنسليمان، وعياض يمثل باب ايلان، والغزواني يمثل القصور. وفي الزاوية والموقف كذلك مزارة سبعة رجال وهي عبارة عن سبعة قبور صغيرة روى المتأخرون عن صاحب "بادرة الاستعجال" انهم اولاد بطن واحدة حملوا في طست الى حاكم الوقت فدفنوا هناك. وقصتهم شبيهة بقصة بني العشرة بسلا(41).

وهو تطور مهم عرفته مسألة تنظيم زيارة سبعة رجال حماة المدينة واعمدتها اذ اصبح الامر يخرج عن إطار المدينة لتعرفه الاحياء كذلك، فبدأت بدورها - وخصوصا اثناء الحصارات والفتن- تحرص على ان يكون لها رجال حماة يحمون الحي ويصدون ماعرفته المدينة من محن ومصائب، ولاعجب ان ينطلق التطبيق من شمال المدينة وقريبا من أكبر حماتها ابي العباس الذي اظهر عجزه عن توفير الحماية المتوخاة من طرف السكان في كثير من الاحيان.

3.- وفكرة حماية سبعة اولياء للقرى والمدن لم تكن من نسج خيال السكان، فقد اخرج الامام احمد في الزهد، وابو محمد الخلال في كرامات الاولياء عن ابن عباس قال: ماخلت الارض بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن اهل الارض. وفي رواية ان الله ليدفع عن القرية بسبعة مومنين يكونون فيها(42).

4.- واعطيت تفسيرات اخرى لهذا الترتيب والاختيار : وخاصة عند بعض المتأخرين من مؤرخي المدينة.

(40) - Marrakech dès origines . . . 586 - 587

(41) بادرة الاستعجال 21

(42) درر الحجال 57.

أ) فقد خصوا بهذا الترتيب لكونهم كالاطواد والاركان في هذه المدينة.
ب) ان زيارتهم بالترتيب المعهود يندرج فيها غالب صلحاء مراكش(43).
جـ) الاكتفاء بسبعة رجال بحسب عدد ايام الاسبوع ليخصص يوم لكل ولي.
د) ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، وإنما المراد بها التيسير والتسهيل والسعة، ولفظ السبعة يطلق على ارادة الكثرة في الاصل كما يطلق السبعون في العشرات، والسبعمائة في المئين. . . وهذا التخريج الاخير قال به الغالي بن المكي(44) وتبعه من جاء بعده من المؤرخين.

المطلب الثالث

تنظيم الزيارة : الاسباب، الظروف، والاهداف.

بالرغم من كثرة القصائد التي قيلت في ترتيب سبعة رجال ومدحهم، والحث على زيارتهم، فإن العينية المنسوبة لليوسي حازت شهرة كبيرة فكانت تذكر كلما اثير هذا الموضوع، وهي :

بمراكش لاحت نجوم طوالع	جبال رواس بل سيوف قواطع
فمنهم ابو يعقوب ذو الغار يوسف	اليه تشير بالاكف الاصابع
ونجل ابي عمران عياض الذي	الى علمه في الكون تصغي المسامع
وبحر ابي العباس ليس يخوضه	سواه كريم لايزال يمانع
ونجل سليمان الجزولي فضله	شهير ومن يدعو اليه يسارع
وتباعهم بحر الكرامة والهدى	وسيدنا الغزواني نوره ساطع
ابا القاسم السهيلي دابا اضف لهم	امام التقى والعلم بحره واسع
فزرهم على الترتيب في كل حاجة	يسهلها المولى وعنك يدافع
فيا اهل الله قوموا بسرعة	وجدوا بسيركم فإني ضارع
فعار عليكم ان يضام عبيدكم	وقد مد بينكم يدا والاصابع
فنجمك نجم السلامة والهدى	وفضلكم بين البرية شائع(45)

(43) اظهار الكمال 35، والسعادة الابدية 25/1.
(44) بادرة الاستعجال 20، اظهار الكمال 31
- Les 7 patrons de Marakech . Decastries . Hesperis 1924 p. 278 .
(45) اظهار الكمال 24

وهذا الترتيب لايراعي العامل الزمني، ولا افضلية الولي وعلمه وانما له اعتبار جغرافي محض كما سنرى . وقبل ذلك نتساءل لماذا تم تنظيم هذه الزيارة في هذا الزمان والمكان بالذات؟

يرتبط هذا التنظيم بالاحداث التي عرفتها منطقة الجنوب (الشياظمة، حاحا، سوس) منذ اواخر العصر المريني عندما ضعفت السلطة المركزية بها، وظهرت طلائع الغزاة الاجانب - وخاصة البرتغال - في الشواطئ مما جعل السكان يتطلعون الى زعماء القبائل وشيوخ الزوايا والرباطات لانقاذ البلاد ودفع الاجنبي الدخيل عنها.

وانطلقت الدولة السعدية من هذه المنطقة معتمدة على شيوخ الطرق والزوايا واستمرت هذه الحركة الدينية خلال العصر السعدي بكامله، وعندما بلغت الدولة مرحلة الضعف بسبب الصراع الذي احتدم بين ابناء المنصور الثلاثة حول الملك، فكوّن الطرقيون امارات محلية سعت كل واحدة الى تمديد مناطق نفوذها . ومن هؤلاء: ابن ابي محلي، ابو زكرياء الحاحي، ابو حسون السملالي، احماد وموسى بتزروالت، رجال رجراجة بجبل الحديد، واتباع الجزولي بالشياظمة. . . .

وقد حدثت مواجهات بينهم وبين ملوك السعديين ومنهم من اقتحم العاصمة مراكش بجيوشه(46).

وكان السكان يحترمون رجال رجراجة ويستجيبون لتوجيهاتهم باعتبارهم اشرف قبائل مصمودة . وتذكر المصادر ان الطبقة الاولى منهم كانوا مع روح الله عيسى وآمنوا بما جاء به وأنهم من الحواريين(47). وعندما سمعوا ببعثة محمد سافر سبعة منهم الى المدينة واتصلوا به، فخاطبهم بلسانهم وحملهم رسالة الاسلام الى بلادهم وبعد عودتهم الى رجراجة موحدين مجتهدين في الدين فبنى لهم مسجدا بساحل حريلة (رتنانة)(48).

---

(46) انظر الاحداث بتفصيل في الاستقصا 6/30-50.

-Les berbères et le Maghzen dans le sud du maroc . R . Montagne. Paris 1930 p . 83 et 98 .

(47) - العيون المرضية م خ ص 4-6.

(48) العيون المرضية 18-26

وخلد رجراجة حدث التجمع لقراءة الرسالة النبوية والتفرق في البلاد لنشر تعاليمها باجتماع الطوائف في نفس المكان (قرب جبل الحديد)، وتطور بعد ذلك الى زيارة الاولياء والصلحاء بعد الاجتماع الذي ينعقد في ربيع كل سنة. وتكون نقطة ضريح الولي ابي بكر الشماس، ثم باقي الاولياء في نظام معلوم لديهم. ويستغرق الطواف مدة اربعين يوما يجوب فيه سكان تلك المناطق اطرافا من الشياظمة وحاحا بما في ذلك جبل الحديد، الى سواحل المحيط الاطلسي حيث رباط گوز ومصب تانسيفت.

ومع ان الطواف كان مركزا على سبعة رجال رجراجة (الصحابة) فإن العادة جرت بجعلهم معالم وزيارة غيرهم من اولياء منطقة رجراجة. وسبعة رجال رجراجة هم :

1) وسمين الياس في طرف جبل الحديد (متسلم الرسالة من الرسول حسب الرواية).
2) عبدالله ادناس (عند المناصرة).
3) عيسى بوخابية على طرف "وادي تانسيفت".
4) يعلى بن واطيل في "امسكر".
5) سعيد بن يبقى غرب "وادي شوسران".
6) ابو بكر الشماس "باأقرمود".
7) ابنه صالح بن ابي بكر "بأقرمود"(49).

وقد كانت معركة جبل الحديد بين محمد الشيخ بن زيدان والشياظمة سنة خمسين والف للهجرة الصدى الكبير في انحاء المغرب، ذلك ان السلطان السعدي حاول اعادة الامن الى البلاد باخضاع المناطق الثائرة التي كانت تهدد كيان الدولة. ومع انه اخذ كامل عدته لمواجهتم فقد تمكنوا من الحاق هزيمة بجيشه. فكانوا يشيعون بين الناس انهم انتصروا بفضل سبعة رجال وان عيسى بوخابية يضمن للشياظمة أن من أتاهم بقصد الفتنة يهزم(50).

والحقيقة ان الشياظمة استغلوا هذا الانتصار لتوطيد مكانتهم بين الزوايا والطرق في منطقة سوس وهو لايدل على قوة فعلية، لضعف السلطان المواجه لهم. ففي الاستقصا انه ثار عليه رجل من هشتوكة خارج باب الخميس (قاسى في محاربته تعبا شديدا)(51)، فكيف اذا تطلب الامر مواجهة قبائل بكاملها في عقر دارها، بمنطقة جبلية، وذات ايمان راسخ بالنصر.

(49) العيون المرضية 40-41.
(50) العيون المرضية 78
(51) الاستقصا 84/6.

وكان همّ الدولة العلوية الناشئة معالجة هذه الاوضاع الفاسدة بمحاربة المتمردين والثوار، واعادة الامن والوحدة الى البلاد . وفي هذا الاطار كانت مواجهة المولى الرشيد للزاوية الدلائية بالاطلس المتوسط، والشبانات بمراكش، وثوار سوس (ايليغ، تزروالت . . .) وتمكن فعلا من قطع اشواط كبيرة في هذا السبيل، الا ان وفاته المفاجئة بمراكش جعلت مسؤولية اتمام هذا العمل على عاتق اخيه اسماعيل الذي لم يجد صعوبة تذكر في توطيد الامن بالبلاد.

الا انه كان يدرك رسوخ ايمان سكان سوس بأوليائهم وتعلقهم بهم الى ابعد الحدود مما جعل الثوار والخارجين يلجؤون دائما الى سوس، ويعتمدون في تأليب العامة وجلبهم اثارة مشاعرهم الدينية وترويج امور الزيارة والاولياء. (كان ابن محرز الثائر على عمه اسماعيل دائم اللجوء الى سوس).

فكان اول عمل قام به المولى اسماعيل هو تجريدهم من القداسة بأن طلب من العلماء الافتاء في امر صحبتهم . فافتت جماعة منهم وعلى رأسهم محمد بن عبدالقادر الفاسي بعدم صحة ماقيل بزيارتهم للرسول بدليل ان الصحابي الوحيد الذي دخل المغرب هو ابو زمعة البلوي دفين القيروان . الا ان علماء آخرين دافعوا – فيما بعد – عن صحة صحبتهم معتمدين في ذلك على احاديث واجتهادات. ويأتي على رأسهم محمد بن سعيد المرغيثي(52)

<u>والخطوة الثانية</u> التي خطاها هي تنظيم زيارة مضادة لسبعة رجال مراكش "العرب" مقابل الزيارة السابقة لسبعة رجال رجراجة "البربر". ووفر للزيارة الجديدة كافة وسائل النجاح لتجلب اليها الانظار وتأخذ مكانة الزيارة السابقة وصيتها. ويعتقد ان الامام اليوسي هو الذي اشرف على التنظيم.

هذه هي الاطروحة السائدة في اغلب المصادر التي تناولت موضوع سبعة رجال مراكش عربية واجنبية(53). الا ان هناك تساؤلات تبقى مطروحة دون جواب ومن شأنها ان تعيد النظر في الاطروحة من اساسها:

---

(52) العيون المرضية 14- 19 وصفحات 9-12-13 وتوجد لائحة طويلة للقائلين بصحة صحبتهم في مجلة المغرب، عدد يونية / يوليوز 1936 ولميشوبيلير (MICHAUX BELLAIRE) راي في الموضوع فعنده ان النبي الذي زارته رجراجة هو صالح بن طريف البرغواطي الذي كان يتكلم بلسان البربر، فاشاعوا انهم زاروا مكة ونبي الاسلام، انظر:
- Les confréries religieuses p . 16.

(53) الكواكب السيارة ، اظهار الكمال، السعادة الابدية

1.) ان مصدرا مهما ينسب وجود الزيارة للفترة السعدية نفسها وهو "درر الحجال لليفرني". فقد ورد فيه بعد عرض الاحداث (اي انتصار رجراجة على محمد الشيخ) (... وشاع في الناس ان الرجال السبعة بهم نصرت الشياظمة. ولما بلغ ذلك السلطان المذكور – اي محمد الشيخ– قال له بعض علماء مراكش ان عندنا بمراكش سبعة رجال كما لهم سبعة رجال. فلو قصدهم السلطان وتملق ببابهم عسى ان يرزقه الله الكرة على الشياظمة، فقال السلطان افعل ذلك ان شاء الله، فمن هم السبعة ؟ فنظم له ذلك العالم فيهم قصيدة يقول :

بمراكش لاحت نجوم طوالع جبال رواس بل سيوف قواطع

الابيات)(54).

ومما يؤسف له ان هذا الفصل (الثاني والثلاثون) غير تام شان اغلب فصول الكتاب، ولاتوجد من الكتاب حسب مانعلم الا هذه النسخة الخاصة التي رجعنا اليها وهي بخط المؤلف(55) فهل عاد اليفرني الى الحديث عن دور المولى اسماعيل في احياء طواف سبعة رجال مراكش وتجديده؟

2.) ونلاحظ ان اليفرني لم ينسب القصيدة لليوسي اذ اكتفى بالقول (فنظم له العالم فيهم)، ولم ينسبها له كذلك محمد الغالي بن المكي في بادرة الاستعجال اذ قال (ونظم بعضهم كيفية الترتيب فقال)الابيات(56). بل ان هذا الاخير لم يفصل في مسألة التنظيم كذلك: فإن قلت اول من اخترع هذا الترتيب في الزيارة واقر بالاقتصار على السبعة قلنا الله اعلم بذلك ماوقفنا على شيء)(57).

أما الذي نسب القصيدة العينية لليوسي فهو محمد الامين الصحراوي "في المجد الطارف والتالد "وتبعه في ذلك صاحب الاعلام ومن جاء بعده، ولانطمئن لذلك كان عمر اليوسي عندما قيلت القصيدة حوالي خمسين والف للهجرة – حسب نص اليفرني– لايتعدى عشر سنوات؟

(54) درر الحجال 56.

(55) لا وجود للنسخة التي اشار اليها صاحب دليل مؤرخ المغرب الاقصى 259/1.

(56) بادرة الاستعجال 15.

(57) بادرة الاستعجال 20. وردت الجملة قبل ذلك في المجد الطارف والتالد لمحمد الامين الصحرواي 27.

وامام افتقارنا للدليل، ووضوح عبارة اليفرني لايسعنا الا القول برجوع التنظيم الى عصر محمد الشيخ، الا ان هذا لايمنع من ان يكون المولى اسماعيل امام تجدد الاحداث في منطقة رجراجة ورغبته في اخمادها وقطع دابرها عاد الى احياء زيارة بشكل يوفر لها هذه المرة النجاح الذي لم تصادقه في المرة السابقة.

ولانجزم بقيام اليوسي بهذه المهمة، فحتى مدحه للرجال السبعة لايقوم دليلا على ذلك لتوفر ديوانه على كثير من امداح الشيوخ والطرقيين والاولياء. وفي كتابه "المحاضرات" اشارات الى هذه الزيارات سواء بمفرده او مع بعض افراد اسرته . وفي الصفوة انه كان خلال مدة اقامته بمراكش للتدريس بمسجد حي المواسين يزور الاضرحة و(ربما في ضريح بعض الاولياء)(58) .وقال عنه كذلك (وكان كثير الزيارة لقبور الصالحين بحاثا عن قبورهم حتى استخرج عدة مزارات غابرة)(59). وكان اليوسي يسلك في ذلك منهج السلف في الايمان بالزيارة للتذكرة والاعتبار والترحم على الاولياء. وينتقد تقديس الناس لهم وسؤالهم الحاجات (فإن كان يعتقد في الشيخ انه هو الذي يعطي وينفع، وقطع النظر عن الله تعالى فهو مشرك يجب عليه ان يسلم)(60).

.3) تحديد التاريخ : وحسب ماجاء في دُرَر الحجال ان معركة جبل الحديد كانت حوالي خمسين والف للهجرة (تولى محمد الشيخ سنة خمس واربعين والف) . وبذلك فان تاريخ تنظيم الزيارة الاولى يعود الى مابعده بقليل . اما تجديد المولى اسماعيل لها فكان حوالي سنة مائة والف(61)، اي بعد فراغه من حروبه مع ابن اخيه ابن محرز واخيه الحران بسوس ومراكش(62).

بقي لنا ان نعرف لماذا اختيرت مدينة مراكش لاحتضان هذه الزيارة دون غيرها من المدن؟ ويمكن ان نجمل الجواب فيما يلي :

أ) اعتبرت منذ القديم تربة الاولياء، وسماها ابو العباس السبتي "مدينة العلم والخير والصلاح"، وسماها ابن الخطيب (تربة الولي، وحضرة الملك الاولي)(63).

---

(58) الصفوة 208.

(59) الصفوة 209.

(60) رسالة الى المقدمين، من رسائل اليوسي، تحقيق فاطمة خليل 397/2.

(61) Les 7 patrons de Marrakech

(62) انظر حروبه مع ابن محرز والحران واخوته في الاستقصا 49/7 - 60-63.

(63) معيار الاختيار 161، تحقيق محمد كمال شبانة.

ب) وهي تحتضن جثمان الجزولي الذي كان الشياظمة وحاحا يقدسونه ويتحاربون لامتلاكه، فهم سيقبلون على طواف يكون وليهم احد اعلامه.

جـ) وكانت ذكريات اهل مراكش مع المولى اسماعيل سيئة، فأراد السلطان تحسينها: اذ سبق له ان حاصر المدينة زهاء سنتين بعدما احتمى الثائر ابن محرز بأسوارها وساعده سكانها. وعندما دخلها السلطان في ربيع الثاني من سنة ثمان وثمانين والف للهجرة قتل سبعة من رؤسائها واباحها لجنده(64). فرغب – وقد تم له توحيد البلاد – استرضاء السكان، فأحيى هذا التقليد المحبّب الى نفوس الناس، والذي يخدم في نفس الوقت مصالح الدولة: فتنظم زيارة سبعة رجال عرب في مواجهة سبعة رجال بربر، سيثير من الحساسيات والجدال مايشغل الناس عما هو اخطر، كالانتساب للزوايا والتعلق بأوامر الشيوخ وخاصة اولئك الذين خرجوا على السلطان (وأمهاوش، وبعض الناصريين) بعد حركة احمد بن عبدالله الدلائي التي ناصرها البرابرة(65).

وقد مهد المولى اسماعيل لذلك ببناء بعض الاضرحة والمزارات، وتجديد اخرى وتوسيعها (كمسجد الجزولي وقبته، وقبة ابي العباس السبتي، وضريح يوسف بن علي. . .)

اما المعايير التي أخذت بعين الاعتبار عند تنظيم الزيارة واختيار اعلامها:

1) تقليد الطواف حول الكعبة، فضريح يوسف بن علي يقع قبلي مراكش فأشبه الركن اليماني في كونه قبلي البيت لانه ناظر الى جهة الشرق والانطلاق منه الى باقي الاضرحة(66). ولا اعتبار لما قيل(67) بأنه بديء به لانه يماني لقوله صً (الايمان يمان والحكمة يمانية)، ولسبق اليمنيين الى نصرة الاسلام، ذلك لانه لم يكن اليمني الوحيد من بين الرجال السبعة.

2) وبالاضافة الى موقع هذا الضريح شرق مراكش، فهو قريب كذلك من القصر السلطاني بالقصبة منطلق السلاطين ورجال الدولة للزيارة : فهم يخرجون منه يمينا لبدء الطواف الذي ينتهي بالسهيلي (اي باب الرب) القريب من القصر مرة اخرى.

(64) الاستقصا 50/7.

(65) Esquisse . . . 81 - 84

(66) بادرة الاستعجال 20، واظهار الكمال 31- 32

Marrakech dès origines . . .573 , Les 7 patrons de Marrakech p . 280

(67) السعادة الابدية 24-25

.3) وبعدما تم توضيح الانطلاقة يبقى العامل الاساسي المتحكم في الطواف هو العامل الجغرافي، مع السعي الى تحقيق غايتين:

- الاولى، زيارة اكبر عدد ممكن من الاولياء فيكون السبعة مجرد اعلام يتهدي بهم.

- الثانية، ملازمة لها، وهي المرور بأكبر عدد ممكن من الاحياء المهمة في المدينة دون تنكيس او ارهاق للطائف بأن يزور نفس المكان مرتين او يتقهقر الى الوراء(68).

هذا مع عدم اغفال الاعتبار السابق الذي هو الانتهاء الى مكان قريب من القصر : فبعد الانطلاق من ضريح يوسف تتم زيارة مقبرة باب اغمات وهي من اقدم مقابر المدينة، ثم الدخول الى المدينة صوب حي باب ايلان حيث رابطة ابي اسحاق وزاوية الفلاح، وعدد من صلحاء وصالحات المدينة وعلى رأسهم عميدهم سيدي ايوب. وفيه المحطة الثانية (عياض) ويمر الطواف جهة باب الدباغ ليخرج من المدينة قصد زيارة مقبرة باب الدباغ او الجانب الشرقي لمراكش كما كان يدعوه ابن الزيات. ويتم الدخول من جديد الى المدينة عبر باب الخميس لزيارة اولياء الزاوية العباسية : سيدي غانم ، ابو العباس الجباب . . .

فالوصول الى المحطة الثالثة (السبتي). ونظرا لدخول الطواف في منطقة كثيرة بها المباني والسكان والاولياء فإن المراحل تصبح اقل طولا . فمن ضريح ابي العباس الى باب تغزوت، فعنق الجمل، فالمحطة الرابعة (الجزولي) مسافة ليست بالطويلة ومن حي الجزولي الى حي سيدي عبدالعزيز التباع (المحطة الخامسة) يتم المرور بضريح ابي عمرو القسطلي وصلحاء روض العروس والجزا . وهذه مهمة جدا لقربها من اسواق المدينة ومن الاحياء القديمة بمراكش زاوية الحضر، حارة الصورة، اسول، امصفح، قاعة بناهض، مسجد ابن يوسف، وصلحاء هذه الاحياء. ويتجه الموكب بعد ذلك الى حي القصور مرورا بحي المواسين وفي محاذة الاسواق دائما للانتهاء الى المحطة السادسة (الغزواني)، ومنها الى المحطة الاخيرة (السهيلي) ندخل في مرحلة طويلة وقليلة السكان لزيارة مسجد الكتبية ومقبرة علي بن ابي القاسم وزهرة بنت الكوش ويوسف بن تاشفين مؤسس المدينة، وسيدي ميمون الصحراوي، واخيرا الامام السهيلي ومقبرته الكبيرة . فينتهي الطواف بدخول الموكب (السلطاني) الى القصبة.

---

(68) اظهار الكمال 34-35

4.)وقد تساءل بعض القدماء ع اسباب اقصاء اولياء اعلام امثال ابـــن العريــف وابن البناء وابي عمرو وغيرهم، فأثاروا مايمكن تسميته بالاختيار الخاص المكمل للاختيار العام الذي طرحناه (اي الترتيب).

فمن البداية يجب اقصاء الاولياء البرابرة لان الطواف مخصص لرجال عرب، واقصاء المشكوك في نسبهم العربي كابي عصفور بالنسبة للمحطة الاولى، فيصير يوسف بن علي اليمني بدون منافس في محطته.

واذا كان ابن البناء يستوي مع عياض في موقع الدفن وفي الاصل العربي، والمستوى العلمي، فإن تفضيل عياض راجع الى مواقفه السياسية والدينية، وتأليفه لكتاب الشفا الذي كان له صدى في الاوساط الدينية في الاعلام الاسلامي . ومادامت احدى الغايات من تنظيم الزيارة ضمان التفاف الناس حولها، فإن شهرة عياض اوسع من شهرة ابن البناء (فلولا عياض لما ذكر المغرب). وهي نفس الاسباب التي جعلت عياضا يفضل كذلك على ضجيعه عبدالكريم الفلاح(69).

أما ابو العباس السبتي فليس له منافس ليس فقط في منطقته، ولكن بين كل اولياء المدينة فهو حاميها الاول، ووليها المفضل من طرف الكل.

وتطرح المحطة الرابعة منافسة بين الجزولي وابي عمرو القسطلي، الا ان رأس الطريقة الجزولية، ومؤلف دلائل الخيرات، وخصوصا رمز الصمود والاستشهاد بالنسبة لقبائل الشياظمة وحاحا، ولايمكن ان يبقى بعيدا عن الاختيار، فاختياره كفيل بان يثير انتباه هذه القبائل ويكرمها ويعوض لها بالتالي طوافها المهمل (طواف رجراجة).

ولأهداف مماثلة تم اختيار كل من التباع والغزواني فهما يمثلان فرعين مهمين من فروع الطريقة الجزولية.

وأما السهيلي فتم اختياره لمكانته العلمية التي لم يدركها الولي القريب منه سيدي ميمون الصحراوي.

5.) خلافا لطواف رجراجة السنوي، تتم زيارة سبعة رجال مراكش بالترتيب المسطر اعلاه كل اسبوع وتراعي في ذلك ظروف الزائر. فإن كان له متسع من الوقت ورغب في أداء

(69) يفضل ابو عمرو القسطلي عياضا على الفلاح، شمس المعرفة 63-64.

الزيارة على وجهها الاكمل يخصص يوما لكل ولي، حتى يتمكن من الاستراحة قليلا بضريحه، وزيارة الاولياء المدفونين حوله . وتكون الانطلاقة يوم الثلاثاء بأبي يعقوب يوسف، والاربعاء لعياض، والخميس للسبتي، والجمعة للجزولي، والسبت للتباع، والاحد للغزواني، والاثنين للسهيلي(70).

فإن لم يكن لديه متسع من الوقت (يذكرنا هذا بالمتعجل في رمي الجمار) زارهم في اي يوم شاء الواحد تلو الآخر الى النهاية مع المحافظة على الترتيب.

ويذكر الحضيكي ان اهل مراكش كانوا يخرجون صبيحة الجمعة رجالاً ونساء وصبيانا لزيارة مشاهد سبعة رجال ويطوفون بهم جميعا في ذلك اليوم(71).

ومع تعاقب الاعوام تسربت الى الزيارة التي وضعت اساسا للاعتبار وتذكر الموت والدعاء لهؤلاء الاولياء عادات وتقاليد ابعدتها عن هدفها الاصلي : قال اليفرني في "درر الحجال" (رأيت كثيرا من ضعفة النساء وجهلة الرجال يزورون هؤلاء السادات السبعة ماشين حفاة ويورن ذلك من كمال الزيارة)(72). ومنها عكس الترتيب عندما لايتحقق الهدف المتوخى من الزيارة بالبدء بالسابع والانتهاء بالاول . ولم يعد الهدف من الزيارة الاعتبار . . .وإنما صارت تحركه اغراض اخرى كالتماس فرج عند نزول شدة، والاستسقاء عند القحط، والاستشفاء من المرض، وطلب الفتح والفهم . . .

وتسجل المصادر مداومة كثير من علماء المدينة والوافدين عليها زيارة هؤلاء الرجال(73). ومن السلاطين الذين قاموا بهذا الطواف : المولى محمد بن عبدالله والمولى الحسن، والمولى عبدالعزيز، والمولى عبدالحفيظ(74).

ونظرا لاهتبال الناس بهذه الزيارة ولمواجهة الطرقيين وشيوخ الزوايا للمولى سليمان دعا في رسالته الشهيرة الى الامة الى الالتزام بالسنة في زيارة القبور، وحذر من تغالي العوام في ذلك، وكان تركيزه على طواف سبعة رجال، اذ قال (من الغلو البعيد ابتهال اهل مراكش

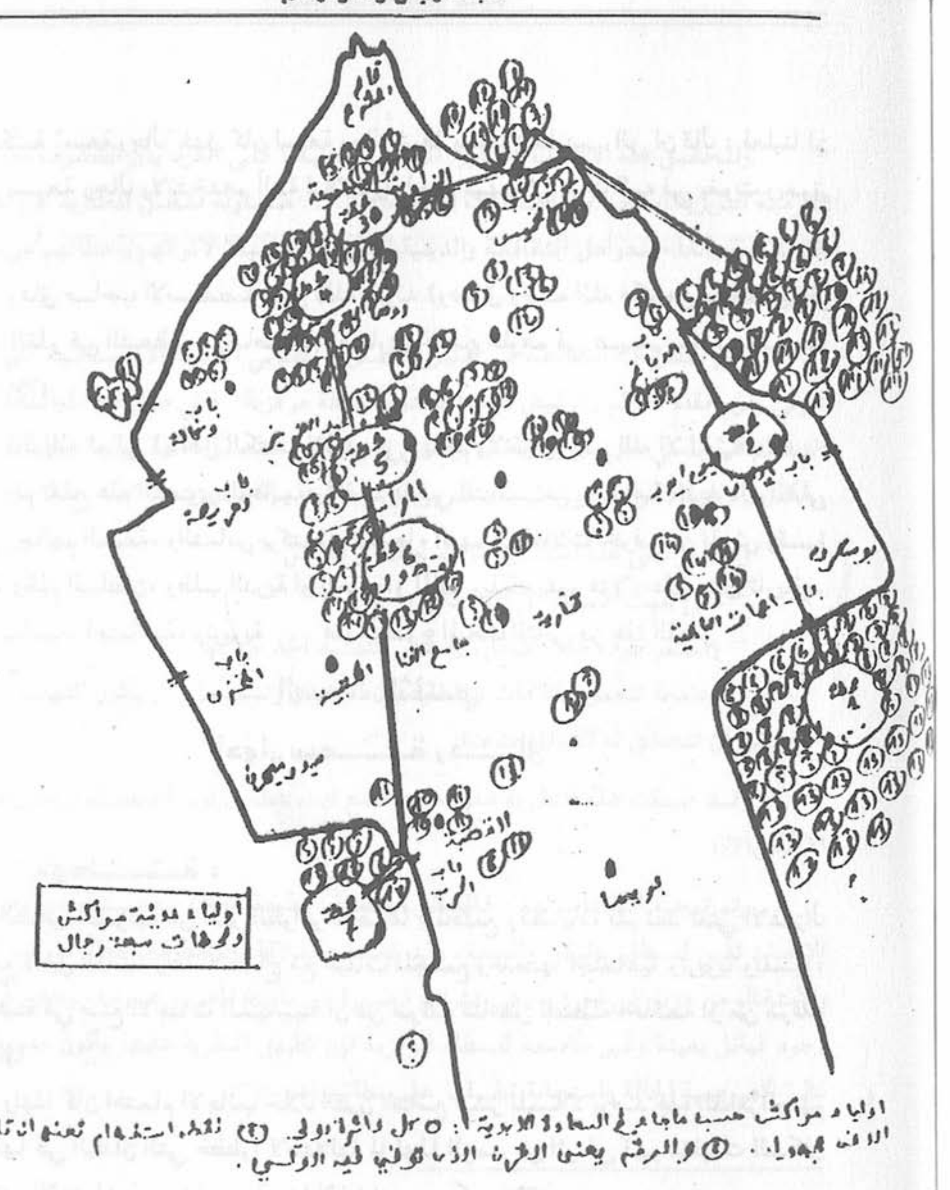
(70) رحلة الغسال 6.

(71) - الرحلة 11 ظ، م خ ع ر رقم 896د.

(72) ص 31.

(73) الارتجال 142، ورحلة الحضيكي 11ظ 12و.

(74) الاعلام 1/361- 362 - Marrakech dès origines . . . : 574 - 575



طواف سبعة رجال مراكش

بهذه الكلمة "سبعة رجال" فهل كان لسبعة رجال شيعة يطوفون عليهم . الى ان قال : فعلينا ان نقتدي بسبعة رجال ولانتخدهم آلهة لئلا يؤول الحال فيهم الى مآآل اليه في يغوث ويعوق ونسرا . . .)

وعلق صاحب الاستقصا على ذلك بقوله (وصدق رحمه الله فكم من ضلالة وكفر اصلها الغلو في التعظيم، وماضلت النصارى الا من غلوهم في عيسى وامّه عليهما السلام) (75).

قال الله تعالى (ياأهل الكتاب لاتغلو في دينكم ولاتقولوا على الله الا الحق) (76).

ولم تفلح هذه الدعوى الوهابية ولاغيرها في التأثير على العامة الذين دابوا على تقديس رجالهم السبعة، والتماس بركتهم والالتجاء اليهم في حالات الخوف من المرض وقسوة الطبيعة وظلم السلطان، وطلب الدرية او العلم او المال، وبذلك يقوم هؤلاء على مدى تاريخهم بأدوار سياسية، اجتماعية، وتربوية . . . هذا موضوع المبحث الثاني من هذا الفصل.

المبحث الثاني

أدوار سبعة رجال

- توطئة :

الظاهرة الصوفية من اكثر الظواهر التصاقا بالمجتمع وقضاياه، فلم تعد تعني الاعتزال والتقوقع داخل الذات، وانما الاندماج مع طبقات المجتمع وخدمتها اجتماعيا وتربويا ونفسيا: و المساهمة في صنع الاحداث السياسية ان من موقف مناهض للسطلة الحاكمة او من موقف مساير لها.

ولهذا كان اهتمام الاجانب خلال القرن التاسع عشر للميلاد برصد هذه الظاهرة وفهم محركاتها في البلدان التي خططوا لاحتلالها لما لهذا الرصد من اثر في فهم عقليات السكان وعلاقاتهم الاجتماعية ومشاربهم تمهيدا لاخضاعهم وحكمهم(77).

(75) الاستقصا 123/8. ابدى صاحب اظهار الكمال ملاحظة شبيهة بملاحظة الناصري ص 36. انظر كذلك المنتخبات العبقرية 89.

(76) سورة النساء ، آية 171.

(77) - Les confréries religieuses 86-90

ولتحقيق هذه الاهداف اختاروا المناهج المناسبة : ففي القول بأن التصوف تعبير عن القومية البربرية او احياء للمعتقدات الوثنية(78). . . محاولة لفصل المغاربة عن اصولهم الاسلامية والغاء للعوامل الثقافية والدينية الخارجية تسهيلا لاتوائهم واعطائهم هوية اخرى غريبة عنهم.

ومن النظريات الشائعة في تحليل التصوف المغربي النظرية الانقسامية التي تجعل الولي يقوم مقام الحاكم والرئيس عندما لاتتوفر سلطة مركزية . ففي مثل هذه المجتمعات يقوم التنظيم السياسي على توازن العشائر التي تعيش في منافسة دائمة فيما بينها لمواجهته وهكذا فالاختلاف والتضامن شرطان ضروريان لوجود هذه المجتمعات.

وتستمر على هذه الحال أو ربما اتسع نطاق القبائل:

- متى بقيت السلطة المركزية غائبة،
- واستمر خوف هذه القبائل، واستمر التهديد الخارجي لها.
- وعندما تتعمق الخلافات الداخلية بين العشائر وتستفحل، او يكون التهديد الخارجي أقوى من ان تتصدى له القبائل متحدة.

وقد طبقت هذه النظرية على مجتمع ايت عطا وزاوية احنصال وبعض قبائل الاطلس(78).

وتم توجيه انتقادات لها : فالقبائل لم تعرف قطيعة مطلقة مع السلطة فهي في اغلب الاحيان تدين للسلطان بالولاء والبيعة، وقد تضعف العلاقة بين الطرفين خلال فترات الضعف والانتقال من دولة الى اخرى، وهي فترات قصيرة في تاريخ المغرب عموما، وحتى في حالة وجود قبائل بعيدة وغير خاضعة للسطلة المركزية فإن تطبيق النظرية عليها يكون عديم الجدوى نظرا لخصوصية الحالة واستحالة تطبيقها على نطاق واسع (79).

---

(78) هم دعاة النظرية الانتروبولوجية، انظر تطبيقاتها في :

- Les systèmes confrérique Ahansal . p . Coatalen

Annales marocaines de sociolo . Rabat 1968

- Saints of the atlas in annales de l'afrique du nord 1969

(79) انظر الانتقادات الموجهة للنظرية عند باسكون (p . pascor)

فهل توفرت شروط هذه النظرية في مجتمع مراكش؟ يبدو ان شرطا اساسيا غير متوفر هو شرط انعدام السلطة المركزية. فمراكش لم تكن خاضعة لسلطة الدول المتعاقبة فقط، ولكنها كانت عاصمة هذه الدول (باستثناء المرينيين) وبالتالي آخر مكان يظهر فيه ضعف الحكم المركزي . وحتى خلال المراحل الانتقالية القصيرة من حكم دولة الى أخرى، وجدت في المدينة سلطة ماتدير شؤونها : أمراء هنتاتة في آخر المرينيين، والشبانات في آخر السعديين.

ومن شروط المدينة وجود السلطان، ولايتم صلاحها الا به(80). والنظرية كما هو واضح قابلة للتطبيق على مجتمعات البادية المنقسمة بطبيعة تكوينها الى عشائر وأفخاد تتصارع فيما بينها من أجل المزارع والمراعي والسلطة فتداهمها قبائل قوية تحركها دوافع مماثلة، فتتجمع وتتضامن لتدافع عن كيانها ووجودها. الا ان هذا لايمنع من القول بأن المدينة قد توفرت فيها بعض خصائص النظام البدوي، مثل :

- ميل القبائل الى التجمع في احياء خاصة او متقاربة فتكون مجموعات عرقية تلتحم مع مرور الزمن . وتحاول توفير كل اسباب الاستقلال الذاتي والاعتماد على النفس داخل الحي: المسجد، الحمام، الفرن . . . وحوله سور داخلي ينتهي الى باب محروس ليلا.
- الشعور الدائم بالخوف : من هجومات القبائل (الرحامنة، مسفيوة، الشبانات . . .) ومن المجاعات والاوبئة، والكوارث الطبيعية، وهجومات الاجانب.

ومع ذلك لم تعرف فكرة الانقسام التي شهدتها بعض البوادي (قلّ فيها الاعتزاز بالقبيلة والزواج اللحمي) بل على العكس من ذلك هناك شعور بالوحدة المجالية الاقتصادية والدينية والمصرية : فالعلاقة بين الاحياء سواء هددها خطر اجنبي او كانت تعيش فترة أمن هي علاقة تعاون وتكامل، فمع توفير سكان الحي لكل الوسائل التي تمس حاجتهم يجدون انفسهم عاجزين عن الاستغناء عن خدمات غيرهم من سكان المدينة.

واما قيام السكان بالاحتماء داخل الاسوار ورد هجومات المغير على مدينتهم فتحركه الرغبة في الدفاع عن النفس وحماية الاهل دون نظر الى اي اعتبار آخر. ويكون للولي في هذه الحالة دور الموجه للناس والمشجع لهم على الصمود والتضحية وغالبا مايتم ذلك مع وجود السلطة المركزية الشرعية وبتنسيق معها (فك حصار البرتغال لمراكش).

(80) راجع شروط وجود المدينة الاسلامية في فقرة الوظائف من الفصل الاول

وقد يقوم الضريح مقام الولي نفسه فيلهب حماس الطبقات الشعبية وخيالها بما يوحيه لها - بوعي او بدونه- من آمال في التغيير والحرية والخلاص. ولعل هذا مالم يستطع دعاة النظرية الانقسامية ادراكه عندما حصروا ادوار الولي على المجال السياسي / المادي، واغفلوا الرمزي / النفسي. فلا يمكن والحالة هذه الحديث عن انقسام، وانما عن توحد.

المطلب الاول

الدور السياسي:

تختلف التوجهات والاعمال التي شغلت الرجال السبعة، فقد كان لبعضهم توجه سياسي، ولآخرين توجهات اجتماعية تربوية محضة. . . وفي كل الحالات يحظى الولي بالاعتبار والاحترام. مع ان العلاقة بين الولي والدولة غالبا تكون قسرية : فهمّها فرض المغارم، وجلب المكوس والتجنيد، وهم الولي تخفيف كل ذلك عن العباد. وقد اتخذ الاولياء مواقف المعارضة في حالة القدرة والدعاء على الولي والسلطان في حالة العجز. وبما ان دعاءهم كان مستجابا- في اعتقاد العامة؟ - فإن السلطان في الحالتين كان يحترم الاولياء.

ويستمر تكريس هذا الواقع باصدار ظهائر التوقير والاحترام واسقاط التكاليف في حقهم. واغتنام الفرص لزيارتهم او استدعائهم الى قصره التماسا لبركتهم وتيمنا بمقدمهم. وفي المقابل كان بعضهم يرفض مقابلة السلطان ومجالسته وينتقد اعماله علانية ويعبئ الناس ضده.

وقد يكون لتدخل اطراف اخرى- وزراء، ولاة، فقهاء، قضاة . . . - اثر على هذه العلاقة فيدعو السلطان الى امتحان ارباب الزوايا واقفال بعضها وتغريب نزلائها ونفيهم.

واذا اردنا استعراض اهم المواقف السياسية لسبعة رجال مراكش لاحظنا انها تزامنت مع فترات الانتقال من دولة الى اخرى.

- فقد برزت شخصية عياض في فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين، والدافع الى اتخاذ هذا الموقف معارضته للمذهب الموحدي القائم على القول بالعصمة والمهدوية والامامة . . . مما يتعارض والاتجاه السني المالكي الذي يقول به عياض، فأعلن لذلك عن ثورته الاولى سنة ست وثلاثين وخمسمائة، والثانية حوالي ثلاث واربعين وخمسمائة للهجرة. وقد انتهتا بهزيمة عياض وتفرق الناس عنه ونفي الموحدين له الى مراكش.

- وكان تسرب الاجانب الى الشواطئ المغربية من الاسباب التي عظمت الدور

السياسي للزوايا . وكانت منطقة سوس من اكثر المناطق تنظيما وتهييئا للمواجهة:

. لوجود زوايا وتقاليد طرقية عريقة بها .

. لنجاتها من الاوبئة والمجاعات التي عرفتها كثير من المناطق المغربية(81) .

وكان الجزولي احد اعمدة هذه المواجهة خلال الفترة التي قضاها بافوغال واستمر تأثيره بعد وفاته وتجسد خاصة في تشبث الشياظمة وحاحا بتابوت رفاته وتقديمه امامهم في معاركهم (عمرو المغيطي) .

واتخذه السعديون، الذين دعوا كذلك الى الجهاد ، رمزا للوحدة والجهاد ، وكان لدفن احمد الاعرج والده بافوغال الى جانب الجزولي اثر بالغ في جماهير البربر واتباع الشيخ . كما كان نقل ابي عبدالله محمد جثمانه الى مراكش ايذانا بالبداية العملية للدولة الجديدة التي نهضت بمساعدة الجزوليين(82) .

- وقد ساهم الغزواني في هذه الاحداث، فبحكم انتمائه الى الطريقة الجزولية ضايقه خصومها الوطاسيون الذين كانوا يعتمدون على القادريين، وحاولوا الحد من نشاطه (حبس بفاس) وفرضوا الرقابة على زاويته. . . ويبدو ان تطور الاحداث بدخول السعديين الى مراكش شجعه على الهجرة اليها مع مريديه واتباعه(83) .

وغير مستبعد ان تكون هجرة الغزواني الى مراكش ناتجة عن اتصال مسبق بينه وبين السلطان السعدي، ذلك ان هذا الاخير حاول جمع كلمة رجال الزوايا حوله، فبعد نقل جثمان الجزولي الى مراكش قرب الفلاح، احد اتباع الجزولي، وصاحب نفوذ واسع في الشمال التابع للسلطان الوطاسي.

وفعلا انضم الغزواني الى السلطان السعدي وابدى نشاطا خاصا في فك حصار البرتغال لمراكش فتم له ذلك بكرامة من كراماته التي سنحللها في آخر هذا المبحث.

---

(81) Famines et épidémics au maroc B. Rogemberger et H. Triki . Hespéris 1973 - 74 .

(82) انظر التفاصيل في الجزء الخامس من الاستقصاء، والفرق الاسلامية ألفريد بيل 425، و 143 - 142 . . . Famines et épidémies

(83) ممتع الاسماع 43.

المطلب الثاني
الدور التربوي والعلمي.

هو اهم الادوار التي نهض بها سبعة رجال. ويقوم على تعليم المريدين والطلبة وتفقيههم في امور الدين وتربيتهم روحيا بتلقينهم الطريقة.

وتختلف مناهجهم والعلوم التي كانوا يلقنونها:

- فبعضهم يغلب الجانب الديني (تفسير ، حديث . . .)
- والبعض الآخر يغلب الجانب الصوفي التربوي (راجيز صوفية، قصائد . . .)
- ومنهم من يمزج بين المنهجين .

كان عياض من الصنف الاول اذ كان اهتمامه منصبا على تدريس العلوم الدينية مع املاءاته في السيرة (الشفا) . ففي ازهار الرياض ان هذا الكتاب رواه عنه (من لايحصى كثرة من الاعلام)(84).

وقد احصى الاستاذ محمد المنوني في دراسة مفصلة للكتاب اثنين وعشرين راويا من رواته من مدن عديدة ، انتشر بواسطتهم في المغرب والمشرق وذاعت اسانيده وتعددت، اهمها:

1) رواية ابن الغازي عن عياض : انتشرت بالمغرب اعتمادا على نسخة علي بن فرج التي اعاد يحي السراج مقابلتها.

2) رواية ابي جعفر الحصار : انتشرت بالاندلس وسبتة وتونس والمدينة المنورة.

3) رواية ابي عبدالله التميمي: المنتشرة بالمشرق على يد ابن جبير، وحدث بها جماعات في مدن الاندلس والقاهرة والاسكندرية والمدينة.

4) رواية ابن الصائغ: وصلت للمشرق بواسطة تلميذه احمد بن محمد بن حسين اللواتي الفاسي(85).

ونظرا لقصر المدة التي قضاها بمراكش - اقل من سنة- ولظروفه الخاصة اثناءها (الغربة، النفي، المرض. . .) فإن دروسه العلمية التربوية بالمدينة كانت محدودة.

---

(84) ازهار الرياض 342/4.

(85) انظر اسماء الرواة وتفاصيل الروايات في مقالة كتاب الشفا للقاضي عياض من خلال رواته ورواياته، المناهل 22/305- 340.

وكان السهيلي من اكبر علماء اللغة في الاندلس، ومن اشهر تلامذته ابو الحسن المالقي النحوي، وابن العربي الحاتمي(86). وهو ان استدعي الى مراكش للانتفاع بعلمه ومؤلفاته، فإن المصادر لم تتعرض لما كان يدرسه بها، او الذين اخذوا عنه . وان كان كتابه الروض الانف سيأخذ النصيب الاوفر من اهتمام الطلبة لشهرته. هذا مع العلم ان الفترة التي تفصل بين قدومه الى المدينة ووفاته بها لاتتعدى حوالي ثلاث سنوات(87).

ويبدو ان بلاء ابي يعقوب الصنهاجي ومرضه كان حائلا بينه وبين الاشتغال بالتعليم وتربية المريدين . لذلك لم تذكر له المصادر نشاطا ما.

أما السبتي فقد انكب على تدريس الطلبة والمريدين – بعد انهاء خلوته – في المدرسة التي خصصها له يعقوب المنصور. وكان يدرس الحساب، ويحضر مجالسه عدد متزايد من الطلبة(88) ليس فقط لمستوى دروسه، ولكن بسبب ماكان يسبغه عليهم من مظاهر الرعاية والعطف : فقد كان وهو صاحب مذهب في الصدقة، ينفق عليهم من ماله، ويصنع لهم الطعام بيده . ويحرص على سلامتهم، ويقضي الليل معهم في المدرسة(89).

وتدريسه للحساب يطابق مانعرفه من اشتغاله بالعلوم: كعلم السيمياء (او الحروف والاسماء)(90)، وعلم الكيمياء(91).

---

(86) اظهار الكمال 339.

(87) هنالك اشارات في الفهارس وبرامج العلماء الى روايتهم للروض الانف بمختلف الاسانيد نذكر منها ماجاء في فهرست يحي بن عبدالله بن مسعود البكري الجراري السوسي عن روايته للكتاب بسنده الى المؤلف . م خ ح 3443ز، ص 119

(88) -Les 7 patrons de marrakech, Marrakech . . . p . 272

(89) اخبار ابي العباس 3-4.

(90) له قصيدة مطولة في هذا الموضوع (الزايرجة) اثبتها ابن خلدون في تاريخه ورسم دائرتها وجداولها، مطلعها:

يقول سبيتي ويحمد ربه — مصل على هاد الى الناس ارسلا

تاريخ ابن خلدون 1/912- 939، ط بيروت 1956. شرحها ابو الفيض المطيع بن سعيد العباسي (السعادة الابدية 2/66) وكان محمد بن احمد المراكشي من اهل المرية يشتغل بها ويفسرها، بهرالناس بذلك. (الاعلام 4/353-354).

(91) له منظومة في الكيمياء مطلعها:

لك الحمد يامولاي حمدا مكملا — لمالك من منّ عليّ تفضّلا

م.خ.ع ر. 2000 د ص 122- 124.

وكانت مراكش على عهد الموحدين مدينة علمية كبرى فتحت بها المدارس لتدريس مختلف العلوم بما في ذلك الطب والكيمياء والهندسة(92).

ومن أسماء طلبة ابي العباس الذين احتفظت لنا بهم المصادر: عيسى بن شعيب(93)، وابو بكر بن مساعد اللمطي الذي لازمه مدة طويلة وروى عنه صاحب التشوف كثيرا من اخبار الشيخ(94)، وابو يعقوب يوسف بن محمد الحسني الانصاري المعروف بابن الحكيم، اصله من الاندلس، وهو اشهر تلامذته(95).

وابتداء من الجزولي انتشر التعليم الصوفي الطرقي، وصار موازيا للتعليم الديني الجامعي فكان الصوفية يحرصون على اعطاء تعليم عملي تطبيقي متصل بالسلوك والمجاهدة والذكر، اكثر من الاهتمام بالعقيدة والاصول والكلام كما كان الحال في العصر الموحدي.

وهذا ماجعل مستوى هذا التعليم هزيلا بالنظر الى ماكان يدرس بالجامعات الاسلامية الا ان ذلك كان له جانب ايجابي هو خلق تعليم شعبي مواز للتعليم الرسمي، يمكن من نشر تعاليم الدين واللغة العربية. الا انه لم يسلم من بعض الانتقادات:

- التقليل من اهمية الرحلة في طلب العلم.
- قتل الروح النقدية في التعليم والتأليف.
- نزول مستواه العام(96).

تصدر الجزولي لهذا النوع من التعليم في اسفي وافرغال وسوس. وكان عدد المريدين كبيرا حسب المصادر (خمسة وستون وستمائة واثنا عشر الف).

اعتمد في تربيتهم على قصيدة الشيخ ابي الحجاج الضرير في اصول الدين(97). من ابرز تلامذته الشيوخ السبعة الذين يكونون الطبقة الاولى من اتباعه وهم رؤوس

(92) انظر العلوم والآداب والفنون لمحمد المنوني، وكتابنا الدولة الموحدية 49- 52.

(93) تعطير الانفاس 55.

(94) الاعلام 1/406.

(95) التشوف 417، اظهار الكمال 154، والسعادة الابدية 1/118- 119.

(96) انظر ماقاله الفريد بيل (A. Bel) عن هذا الموضوع بتفصيل في كتابه الفرق الاسلامية 393-394- و 351-358 و 364-365 و 405-412.

(97) الاعلام 8/432.

المدرسة الجزولية بالمغرب : السهلي، الحرار، الحارث السفياني، الحسن اجانا، محمد الامين، ابن ابي سلامة، ابو عثمان الدكالي. وكانوا موزعين بشمال المغرب وجنوبه: فاس، مكناس، سلا، مراكش، سوس(98).

وكان للتباع في زاويته بمراكش عدد كبير من الطلبة والمريدين يدرسون نهارا، ويتلون الاوراد والاذكار ليلا(99). يعتمد في تربيتهم على ارجوزة "المباحث الاصلية عن جملة الطريقة الصوفية لاحمد بن محمد بن يوسف التجيبي المعروف بابن البناء السرقسطي(100). ومن ابرزهم الغزواني، وابن عيسى، والفلاح، ورحال الكوش، واحمد الامين القسطلي، وابو السداد الغازي. . .(101).

اما عبدالله الغزواني فكانت له ثلاث زوايا لتربية المريدين وتعليمهم وهي على التوالي زاوية بني فزگار بالهبط، زاوية باب الفتوح بفاس،وزاوية حي القصور بمراكش.وكان يضطر الى

(98) انظر تراجمهم في ممتع الاسماع 34-37 . وتحفة اهل الصديقية 2126.

(99) الاعلام 425/8.

(100) تقع الارجوزة في 474 بيتا، وتشتمل على مقدمة وخمسة فصول :

- المقدمة، من البيت 1الى 19، بعد البسملة والتحميد والصلاة على النبي يوجه الخطاب للسائل عن اشياء (اي الطريقة) انطمست وعفت رسومها، ويحدد جوابه في خمسة فصول:

الاول، في اصل التصوف من البيت 20 الى 77.

الثاني، في فضله من 78 الى 116.

الثالث، في احكامه 117-314، المشيخة، الاجتماع، اللباس، السماع . .

الرابع، في الرد على من رده 315-388.

الخامس، في فقرات العصر ومتشبهي الوقت 389-474. (م.ح.ع.ر. 984د)

وملخص الارجوزة دعوة ابن البناء لتصوف سني بعيد عن التفلسف ومبني على المجاهدة والسلوك واتباع ماكان عليه السلف الصالح، وانتقاد لما آل اليه الوضع في عصره من ادعاء وانحراف واستغلال للتصوف في سبيل الحصول على الدنيا ومتاعها. لهذا لقيت الارجوزة عناية كبيرة فشرحها:

- زروق، م . خ ع ر 2284 د.

- محمد بن علي الشطيبي البرجي م خ. ع. ر 1638 د و 1779 د.

- احمد بن محمد بن عجيبة، مطبوع بمصر على هامش ايقاظ الهمم.

(101) انظر تراجم هؤلاء الاعلام في ممتع الاسماع 50-52-53، وشمس المعرفة 52

تغيير المدينة بحسب اصطدامه مع السلطات المرينية. وكان يلقنهم احزابه واوراده ومقالاته في التصوف. واحتفظ ابن عسكر بوثيقة مهمة عن دروس الغزواني وعلاقته مع مريديه اذ نقل عن شيخه ابي محمد عبدالله الهبطي حوارا دار بينه وبين استاذه الغزواني في حلقة من الحلقات العلمية، قال: (وكان سيدي ابو محمد الغزواني يربي اصحابه بقصيدة الشيخ الشريشي. وكنت اقرأها عليه . وكان يصورها، فقرأت عليه يوما قيل الشريشي:

وللشيـــخ آيــــــات لم تكن لـــــــه فمـا هو الا في ليالي الهوى يســـرى

اذا لم يكــن علـم لديــــه بظاهـــــــر ولاباطــن فاضــرب لجــج البحـــــر

فقلت له : مامعنى العلم الظاهر والعلم الباطن؟ فقال : اما الظاهر فقد علمت ماهو اصوله وفروعه (كذا) ؟ واما الباطن فيدرك بالمشاهدة. فقلت مامعنى المشاهدة فضاقت عليه العبارة . فقلت في نفسي : الآن نقف على حقيقته، فنظر الي وزفر مع نظرته فصعقت وخر مغشيا علي . فما انتبهت حتى كوشفت بعجائب الملكوت)(102). والقصيدة المشار اليها التي كان يربي بها اتباعه هي "انوار السرائر وسرائر الانوار" لابي العباس احمد بن محمد الشريشي المعروفة بالرائية الصوفية(103). وقد اخذ الهبطي عن الغزواني بزاوية باب الفتوح بفاس(104).

وهذه القصة تؤكد ماعهد عنه :

- من ميل الى المناظرة والنقاش والذي تعدى المريدين والطلبة الى مناقشة علماء المغرب ومصر . . . واشهر المكاتبات بينه وبين مفتي مصر محمد اللقاني.

---

(102) دوحة الناشر 98-99.

(103) توجد منها عدة نسخ في خ. ع. ر. رقم 984د، في مجموع من 61 ظ الى 171و والقصيدة في 140بيتا من بحر الطويل وهي خالية من البسملة والتحميد والتصلية، وجاءت مركزة على احكام التصوف، مثل :

- علاقات الانتباه الخمس، من البيت 1الى 14
- آيات الشيخ وعلاماته من 15الى 26.
- حالة المريد مع الشيخ من 27 الى 49.
- المقامات، المجاهدة، المحاسبة، والمراقبة . . من 50 الى 98
- الفناء، القرب، التجلي والبقاء من 99 الى 136.
- ما للخواص في الدنيا من حق اليقين من 137 الى 140.

والبيتان المذكوران في راوية الهبطي هما 15و16من القصيدة.

(104) ممتع الاسماع 86.

– ان لسان الحال كان افصح لديه من لسان المقال(105). فجعل تلميذه يجرب المقصود بالمشاهدة ليدرك معناها الحقيقي اذ ان لسان المقال لن يكون ابلغ وافصح.

وسجل الهبطي في هذا الحوار كذلك طبيعة العلاقة التي كانت تربط الغزواني بطلبته، فإذا كان بعض الشيوخ يأخذونهم باللين والرفق ويحرصون على اطعامهم وايوائهم. . فإن الوثيقة تبين عكس هذا بالنسبة للغزواني. قال : (وكان اذ رأى من تحرك في حلق الذكر او يقصر في خدمته ضربه بعصا لاتفارقه. وكل من يضربه يفتح الله تعالى عليه في الحال). وعلق ابن عسكر على هذا قائلا (رأيت ضربة فوق حاجب الشيخ سيدي ابي محمد الهبطي هشمت العظم كان ضربه اياها الشيخ الغزواني، وكانت تثور عليه الى آخر عمره. وكان ابو محمد الهبطي يقول "كل مافتح علي به انما هو من بركة سيدي ابي محمد الغزواني"(106).

فبأي شيئ يمكن تفسير هذه القسوة؟ أبغلبة لسان الحال على الشيخ؟ ام ان القسوة كانت من طباعه فانعكست على علاقته بمريديه؟

ولم يمنع هذا من توافد المريدين على الغزواني سواء ببني فزگار او بفاس او بمراكش:

– من اشهر مريديه بالهبط ابو يعقوب يوسف بن الحسن التليدي الذي اسس زاويته بقبيلته بني تليد من قبائل غمارة. توفي سنة خمسين وتسعمائة(107).

ومن الذين اخذوا عليه بفاس:

– ابو محمد عبدالله بن محمد الهبطي من اخص تلامذته له مؤلفاته عديدة، ومراسلات مع العلماء. توفي سنة ثلاث وستين وتسعمائة(108).

– ابو عبدالله محمد بن علي بن عيسى الزمراني المعروف بالطالب : ناب على الغزواني في تسيير زاوية فاس، وتكلف باستقبال الطلبة والمريدين وتعليمهم واطعامهم. توفي سنة اربع وستين وتسعمائة(109).

---

(105) دوحة الناشر 99.

(106) دوحة الناشر 99.

(107) ممتع الاسماع 76، تحفة اهل الصديقية 35، الحياة الثقافية في شفشاون واحوازها خلال القرن العاشر الهجري، الرباط 1982، ص 385 - 400.

(108) ممتع الاسماع 85- 88، دوحة الناشر 7، اظهار الكمال 309

(109) ممتع الاسماع 68، وتحفة اهل الصديقية 35

- ابو علي الحسين المصمودي، دفين القصر الكبير(110). ومن مشاهير مريديه بزاوية القصور من مراكش:

- ابو محمد عبدالله بن ساسي مؤسس زاوية جزولية على ضفاف وادي تانسيفت بحوز مراكش. دفن بها سنة واحد وستين وتسعمائة(111).

- عبدالله بن حسين الامغاري مؤسس زاوية تامصلوحت الشهيرة في حوز مراكش بأمر من شيخه الغزواني. وكان مثله يهتم بشق السواقي وفلاحة الارض. . . توفي سنة ست وسبعين وتسعمائة(112).

- ابو النعيم رضوان بن عبدالله : درس على الغزواني بمراكش، وبقي بعد وفاته بها زهاء السنة قبل ان يلحق بزاوية شيخه في فاس. توفي سنة واحد وتسعين وتسعمائة(113).

والى جانب هؤلاء المشاهير درس على الغزواني عدد كبير من المريدين وتفرقوا في كافة انحاء البلاد. وقد عرف محمد المهدي الفاسي بعدد منهم في ممتع الاسماع وتحفة اهل الصديقية (114).

بالرغم مما قيل عن امّية بعض رجال مراكش فقد تبين لنا انهم ادوا رسالتهم التربوية والعلمية احسن اداء فاينما حلوا تصدروا للتدريس والتعليم مع اختلاف مداركهم ومناهجهم وطرقهم. واكدوا بذلك وجود تعليم ديني صوفي في موازاة التعليم الديني الملقن في المساجد والجامعات . هذا التعليم الذي لم يكن الهدف منه الحصول على درجات علمية او مناصب قضاء وفتوى، وإنما مجاهدة النفس وتصفية الفؤاد وتربية الروح. لهذا كانت حلقات الشيوخ تجمع الطالب المتعلم الى جانب الرجل الشعبي فتخدم بذلك الطبقات الشعبية التي لم تتح لها فرصة التعلم.

---

(110) ممتع الاسماع 93.

(111) دوحة الناشر 110، ممتع الاسماع 82، تحفة . . . 36، السعادة الابدية 143/1.

(112) دوحة الناشر 105-106، ممتع الاسماع 66-67، تحفة 34، السعادة 107/2.

(113) ممتع الاسماع 89-90، الصفوة 7-8، اظهار الكمال 327-328.

(114) انظر مريديه في ممتع الاسماع 67-68-77-78-79-81-82-83-84-85-87-90-91- 92 -93- 113 اضافة الى المذكورين في هذا البحث.

وفي اعتقادي ان مجالس الجزولي والتباع والغزواني كانت اغنى مما وصلنا عنها اذ لايعقل ان يكون موضوعها الوحيد هو هذه القصائد الصوفية، بدليل ان زوايا اخرى -كالقسطلية مثلا- كانت تشهد بالاضافة الى رائية الشريشي تدريس الاحياء، والحكم العطائية، وشرح ابن عباد لها، ومختصر الشيخ خليل، وغير ذلك من المؤلفات(115).

المطلب الثالث

الدور الاجتماعي:

من اهم الادوار المنوطة بالاولياء لانه يعكس توجهات المجتمع وهمومه. فالانسان الضعيف بطبعه تتعاقب عليه حالات يشعر فيها بالخوف من البشر (سلطة، لصوص...) او الطبيعة (فقر، مرض، كوارث، جفاف، مجاعة...) او يعجز عن تحقيق رغباته (انجاب، غنى، عثورعلى مفقود...) فيكون اللجوء الى الولي هو السبيل الوحيد للتخلص من الخوف ومقاومته او تحقيق الرغبة. وقد يعظم الامر وتزداد اهميته عندما تعمم هذه المشاعر، وتصبح ليس فقط رغبات افراد، ولكن طموحات مجتمع بكامله.

يحدث هذا في حالة الكوارث التي تصيب البلاد فيستنفذ المجتمع كل الوسائل الممكنة دون الوصول الى نتيجة.

ويكون الاعتماد على الولي مبنيا على اعتقاد راسخ في قدرته الخارقة على الاغاثة والانقاذ ووقف المصاب، لما له من مكانة عند الخالق خولته هذه القوة (الكرامة)، فبها يمكن تحويل الخوف الى امن، والعجز الى قدرة... وبالتالي خدمة المجتمع : القبيلة، المدينة، او البلاد.

وهكذا ارتبط الدور الاجتماعي للصوفي بالكرامة الصوفية من جهة ، وحرص المجتمع على ان يكثر اولياؤه، اذ بكثرتهم تعطاه فرص الخلاص من النوازل المحتملة، فوجدنا اولياء يحمون البلاد احياء وامواتا، وآخرين يحمون مدنا بعينها، وطبقة ثالثة تتكفل بالاحياء والدروب او المداشر...

ويمكن حصر المجالات التي يشملها نشاط الصوفي وتستقطب طموحات المجتمع باشباع حاجيات الفقراء، وتوفير الامن للاغنياء، في :

- منع المظالم التي تلحق الاشخاص من طرف السلطة او غيرها، او اطلاق سراح الاسرى والسجناء.

(115) انظر حديثنا عن ابي عمرو وابنه الكامل في الفصل الثاني.

- حل الخصومات بين الافراد والجماعات في المجتمع ذي السلطة المركزية المختلة والضعيفة عادة.
- اطعام المحتاجين وايواء الغرباء والمساكين، خاصة في فترات الغلاء والمجاعات.
- تأمين الطرق التجارية والبحرية ومساعدة الناس على التغلب على امراضهم البدنية والنفسية.
- شق السواقي واحياء الاراضي وحماية المزروعات من الامراض والطيور والجفاف، بالاستقساء عند الحاجة.
- قضاء الحاجات على وجه العموم.

وهدف الصوفية من هذا النشاط المزدوج نشر الطريقة وكسب الاتباع عن طريق اشباع حاجات البيئة، بمواجهة المنافسين، والمحافظة على الوجود : وهم السلطة، الفقهاء، وغيرهم من الذين كانوا يسعون تحت ستار محو البدعة وازالة الانحراف الديني الى القضاء عليهم، وصراع الفقه والتصوف قديم وطويل(116). ويتم هذا عن طريق اظهار الكرامة، فتصبح وسيلة لاثبات الذات واستمرار الوجود وميثاقا بين الولي واتباعه، واساسا لكل تعاون بينهم.

وبما ان الولي يحصل على هذه الدرجة بمجرد ظهور الخارقة على يديه بغض النظر عما يمكن ان يطرأ على ذلك من خداع الحواس او حسلة ظرف جغرافي او فيزيقي، او توهم، فإننا نتصور مايمكن ان يمس مجال الولاية من اختلال، وما يمكن ان يعكسه على المجتمع . . . خاصة وان الذاكرة الشعبية غالبا ماتشكو من التحجر والنسيان. فالناس قد يحترمون وليًا ما، او يحرصون على القيام بعمل ما، لمجرد ان السلف قام بذلك، او يقومون به بدون معرفة الدافع الحقيقي. . .

لهذا كله اعتبرت الاعمال الاجتماعية للاولياء شيئا مهما من جهة، ومجالا يكثر فيه التزييف والخداع، وتغلب عليه الاسطورة والخيال من جهة ثانية. ان المنهج الذي يمكننا من معالجة هذا الاشكال هو منهج ذو بعدين:

- الاول، الرجوع الى التاريخ، وكتب التراجم والطبقات للاقتراب ماامكن من موضوع الكرامة ووقائعها وادراك ايحاءاتها.

(116) تجلى بوضوح في كتاب الاحياء ، انظر اشاراتنا الى الموضوع في آخر الفصل الاول.

- الثاني، دراسة الجانب الاسطوري الخيالي في الكرامة اعتمادا على المنهج اللغوي الذي يدرس به ادب العجائب والغرائب لاستخلاص البنية الذهنية للمجتمع الذي وقعت فيه. ذلك هو المنهج الذي سنسلكه في تناول الادوار الاجتماعية لسبعة رجال مراكش وسنبدأ بالمجالات التي شملها نشاطهم، ثم نحلل نموذجين من كراماتهم اعتمادا على المنهج السابق الذكر.

1 - مجالات النشاط الاجتماعي:

الملاحظ ان النصيب الاكبر من الاعمال الاجتماعية (او الكرامات) منسوب لابي العباس السبتي، وهي متنوعة تشمل مجالات مختلفة منها ماله اتصال بالمجتمع عموما او بفئة معينة او بالولي ذاته. ولاعجب في ذلك:

- فهو حامي المدينة وعميد اوليائها.
- وهو صاحب مذهب له طابع اجتماعي. ويأتي بعده في الاهمية - في هذا الباب- الغزواني لما أثر عنه من اطعام، ووقاية من الامراض وتنظيم للفلاحة. . . .

ومجالات نشاط اولياء مراكش السبعة هي :

أ- الاطعام، تقوم الزوايا على اطعام المريدين والطلبة والمسافرين . . . وقد يمتد ذلك الى عموم الناس عند الحاجة . ويعظم هذا الدور عندما تكون الزاوية في البادية او في طريق القوافل حتى قيل "رأس التوفيق والعبادة اطعام الطعام". كان يوسف بن علي يطعم الناس تعبيرا عن صبره لما ابتلاه به الله، ورضى به وشكرا عليه(117).

وتحكي الروايات ان السبتي كان لايطيب له طعام، ولايركن الى نوم اذا بقي احد سكان حيه دون اكل او غطاء وهي مروية عن صاحبه ابي الحسن علي بن زكريا بن عبدالله(118). وكان ذلك من التصرفات التي يمكن ان يقوم بها كل ذي اريحية في حيه ووسطه لان الفقراء والاغنياء كانوا يتعايشون في اغلب احياء المدينة وان عرفت احياء بأنها احياء الاغنياء، واخرى بأنها احياء الفقراء . . . ولم تأخذ طابع الظاهرة العامة لان المدينة لم تعرف آنذاك اوبئة او مجاعات. فحصار سنة واحد واربعين وخمسمائة للهجرة(119) بعيد زمنيا اذ ان هذه الاحداث

(117) التشوف 24-25.

(118) اظهار الكمال 130-131، تعطير الانفاس 52-53.

(119) انظر حصار الموحدين لمراكش عند دوفردان (G . Deverdun).

Marrakech . . . 160 - 161

تعود الى مابعد سنة ثمانين وخمسمائة (تاريخ خروج السبتي من خلوته)، وكذا اوبئة واحد وسبعين وخمسمائة، واثنتين وسبعين وخمسمائة التي عرفتها مراكش(120).

الا ان الشروط التي كان التباع والغزواني وابو عمرو القسطلي يطعمون فيها سكان المدينة مغايرة، فمنذ سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ظهر ضعف في الانتاج بسبب الجفاف الذي استمر سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، وتسبب سنتي ست وعشرين وسبع وعشرين وتسعمائة فيما سماه صاحب الاستقصا "بالغلاء الكبير"(121)، حتى كادت المدينة تفرغ من السكان سنة تسع وعشرين وتسعمائة . وتعاقبت عليها الاوبئة مابين سبع وعشرين وثلاثين وتسعمائة للهجرة(122). فكان الغزواني لايحتفظ بشيء يذكر من اسباب الدنيا بل كل ماتيسر له دفعه لذوي الحاجات(123).

ب- الاستقصاء، تتلون الكرامة بلون البيئة التي تصدر فيها فالكرامات المتعلقة بالقرصنة والريح المواتية للابحار . . . تكون عند اولياء السواحل وزواياها كاسفي وتيط وكوز. . . وكرامات التجارة وخفر السواحل والخلافات بين التجار تصدر عادة في الزوايا الواقعة على الطرق التجارية. وكرامات الاستقساء والتنقيب عن الماء تصدر في الزوايا الواقعة في المناطق الحارة والقليلة الامطار.

ومدينة مراكش من النوع الاخير، اذ ان المرابطين اختاروا موقعها بمواصفات قريبة من طبيعة بلادهم فقالوا لاميرهم (قد نظرنا لك موضع صحراء لا أنيس به الا الغزلان والنعام، ولاينبت الا السدر والحنظل)(124).

وحاولوا التغلب على مشاكل الماء بحفر الخطارات، وجر الموحدون فيما بعد السواقي من جبل درن. الا ان هذه المحاولات لم تكن لتلبي الطلبات المتزايدة على الماء، وخاصة مناطق البور في احواز المدينة(125) مما جعل السكان في محن ونقلات دائمة ومستمرة.

---

(120) الاستقصا 151/2

(121) الاستقصا 147/4 و Famines et épidémies . . . Hespéris 1973/74

(122) الاستقصا 87/5 و Famines et épidémies . . . Hespéris 1973/74

(123) السعادة الابدية 79/2.

(124) البيان المغرب 19/4.

(125) انظر وصف دوقردان لمراكش : Marrakech . . . 5 - 17 ؛ Marrakech . . . 201

وقد افسح هذا الواقع المجال لظهور مايمكن تسميته "بادب الاستقساء". وهي دعوات واناشيد يرددها الكبار والصغار وطقوس وعادات يقومون بها عند استفحال امر الجفاف يختلط فيها الديني بغير الديني.

وكان اللجوء الى الاولياء امرا متداولا لهذا وجدنا قسطا من كرامات ابي العباس واعماله الاجتماعية منصبا حول هذا الموضوع.

ولايهمنا ان نستعرض هذه القصص / الكرامات، وانما نكتفي بالخروج منها بمجموعة من الخلاصات:

- يخضع السبتي كراماته لمذهبه في الصدقة، اذ يجعلها المحرك الاساسي للكرامة والمنطلق لوقوعها. ومفهوم الصدقة لديه لايبعد كثيرا عن المفهوم الديني لها، فلأهميتها تأتي مقترنة في القرآن بالشهادة (الايمان) والصلاة والزكاة، وهي سلف (او قرض)(126) سيضاعف عليه الجزاء(127)، وهي تجارة مضمونة الربح(128).

وفي الحديث نص على الصدقة واعتراف باهميتها، ففي حديث اخرجه ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (من تصدق بعد ثمرة من كسب طيب- ولايقبل الله الا الطيب- فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه(129) حتى تكون مثل الجبل)، وفي حديث آخر اخرجه مسلم بسند البخاري (اتقوا النار ولو بشق ثمرة والقليل من الصدقة)(130). وفي الصحاح احاديث اخرى تبين فضلها وطرق تقديمها.

ولاتخفى اهمية هذا المذهب ومايترتب عنه من مساعدة فئات واسعة من المجتمع خاصة اولئك الذين اهتم بهم السبتي كالمرضى والمحتاجين والمكفوفين والمعوقين وغيرهم ممن

(126) سورة التغابن آية 16 وآية 17، وانفقوا خيرا لانفسكم ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم.

(127) (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء) البقرة آية 261.

(128) (ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) فاطر آية 29.

(129) الفول : ولد الناقة.

(130) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري 17/3.

لايستطيعون العيش بدون مساعدة، وخاصة في غياب المؤسسات الاجتماعية التي يمكن ان تقوم بهذا العمل.

ويمكن تصور مدى فعالية المذهب وتأثيره من خلال حالتين طلب فيهما الخليفة يعقوب المنصور من الولي الاستسقاء للناس، فاقترح عليه ان يفوض له الامر ففعل. وتقول الروايات (فصار رضي الله عنه يفرق المال على الفقراء والمساكين والضعفاء ويقول لايرحم الله من عباده الا الرحماء مدة ثلاثة ايام حتى لم يبق مسكين ولامسكينة الا ورضي)(131).

ولايكون طلب الاستسقاء موجها اليه من الخليفة دائما، فقد يوجهه اليه اولياء آخرون او جماعة من المريدين، او عامة الناس يلجؤون اليه. ولايشترط السبتي دائما ارضاء المساكين جميعا، فقد يطلب من الحاضرين التصدق بما تيسر لهم (ثمن درهم في حالة، بعض المال في حالة اخرى. . .)

واذا كانت الآيات والاحاديث لاتحدد زمن المكافأة على الصدقة فان السبتي بكرامته يجعلها قريبة: اذ تكون الاستجابة في الحين، فأحيانا لايمهلهم المطر للبحث عن مكان يختبئون فيه (ثم قال لنا بادروا المطر وخذوا نعالكم بأيديكم . . . فوالله ماوصلنا باب الدباغين حتى غيمت السماء وانهملت بالامطار)(132).

وقد تكون الاستجابة بعد ساعة او في آخر النهار او بعد يوم. وفي كل الحالات يكون المطر كافيا: مطر غزير دام ثلاثة ايام / مطر غزير لم يحدد مدة هطوله / مطر وابل، وهو الشديد الضخم.

وقد تتأخر مراكش عن باقي المدن، او قصر الخليفة عن باقي احياء المدينة لان "ساقي القوم سيدهم" كما يصرح الولي بذلك للناس.

والعجيب في كرامات السبتي ان المطر لاينزل الا بأرض المتصدق فردا كان او جماعة وبأرض الجميع عندما يتصدق الخليفة. وقد يكون المطر اقل من المتوقع لنقص في الصدقة(133).

(131) اخبار ابي العباس 12، واظهار الكمال 150، وتعطير الانفاس 27-29-40

(132) اخبار ابي العباس 12، واظهار الكمال 132.

(133) اخبار ابي العباس 12، وتعطير الانفاس 42-43.

ونلاحظ من خلال الكرامات :

- ان المطر ينزل بمجرد توزيع الصدقات وبدون حاجة لخروج الولي ظاهر المدينة.
- في حين يخرج احيانا اخرى للدعاء.
- لعل لجوءه الى الدعاء مرة راجع الى التحدي الذي لقيه من بعض المنكرين. فقد روى ابو الحسن علي بن احمد الصنهاجي عن خروجه مع السبتي وجماعة للاستسقاء فلقيهم ابو عبدالله محمد بن يوسف بن جذع الجذامي ولما علم بسبب خروجهم ضحك وقال (صدقتم هذا الاحمق . . .) لأن الشمس ساطعة والوقت حرارة . وبعد دعاء الشيخ وتوسله سقط المطر(134).

وهذه الاماكن التي يخرج اليها السبتي مع القوم لاتذكر باسمائها دائما فهو يستعمل صيغة خارج المدينة، او البحيرة(135)، وفي حالات كثيرة يكون الاستسقاء خارج باب الدباغ(136) او مايسمى بالجانب الشرقي للمدينة، وهي جهة مشهورة البركة عند سكان المدينة لما دفن فيها من اولياء وصلحاء.

ويتفاوت جزاء المكذب والجاحد بسبب موقفه بعد اثبات الكرامة، فقد يقبل منه الاعتذار والاستغفار اذا أظهره وبادر بدوره بالتصدق على المساكين والندم على ماصدر منه(137)، او يجازى شر الجزاء على انكاره على الاولياء وتعرضه لهم مثل العزل من نظارة الاشراف او من الولاية(138).

ولاعطاء الكرامات طابع الواقعية والصحة يذكر الراوي والسند في الغالب فأبو الحسن علي بن احمد الصنهاجي روى اغلب كرامات شيخه في الاستسقاء، ونقلها عنه ابن الزيات في ترجمته الموسعة له(139)، وروى ابن مساعد كرامات اخرى(140).

---

(134) اخبار ابي العباس 12-13، واظهار الكمال 132.

(135) اخبار ابي العباس 12-13، واظهار الكمال131 ، وتعطير الانفاس 42

(136) اخبار ابي العباس 12-13، واظهار الكمال 131-132، وتعطير الانفاس 29

(137) نفس المصدر.

(138) اخبار ابي العباس 13، وتعطير الانفاس 27.

(139) اخبار ابي العباس السبتي م.خ.ع.ر. 3273ك، 767د.

(140) تعطير الانفاس 29-27

وترد فيها اسماء اعلام عرفوا باتصالهم بالولي ولزومهم له كابي الحسن البلنسي الجنان، وتلميذه ابي يعقوب الحكيم، وابي يعقوب يوسف المبتلى، والخليفة الموحدي المنصور، وغيرهم . . .

<u>جـ- التحكم في الريح</u>: قد لايقل اهمية عن اسقاط المطر عند الحاجة فهي تحمل السحاب الممطر، وتساعد السفن على الابحار. . . وفي اخبار ابي العباس ان الناس كانوا يطلبون منه تغيير مجرى الريح لفائدتهم:

- فقد طلب منه تلميذه ابو يعقوب الحكيم تحويل الريح الغربية الى شرقية لتبعد عنهما دخان افران الجيارين خارج باب الدباغ. قال (فرأيت الريح قد هبت شرقية فحملت الدخان الى جهة اخرى)(141).

- وخرج مع ابن مساعد الى عرصة خارج باب دكالة فاعجب بخضرتها واصاب بعض فواكهها، فطلب منه البستاني تحويل الريح الشرقية التي تفسد الغلل والازهار الى ريح غربية، ففعل. (ثم قال لنا استنشقوا الريح فاستنشقناها، فإذا هي غربية)(142).

ان ايمان الناس بقدرة السبتي على تحقيق الخوارق جعل الفلاحين يلتزمون بتقديم نصيب من منتوجهم لزاويته كي يوزع على الفقراء والمعوزين، وجعل البحارة يستعينون به على رفع الريح الملائمة، ويستغيثون به في البحر عند الاحساس بالخطر(143).

<u>د - التجهيز الفلاحي</u>: تدهور الوضع الاقتصادي بالمغرب في مطلع القرن العاشر الهجري بسبب ضعف الدولة المرينية والصراع بين ملوكها، واحتلال البرتغال والاسبان لبعض المدن الساحلية، فضعفت السلطة المركزية واعلنت بعض الزوايا والقبائل عن استقلالها. ومما زاد في تأزيم الوضع الجفاف الذي عم البلاد كلها، وكان حصار البرتغال لمراكش سنة واحد وعشرين وتسعمائة ايذانا ببدء سنوات صعبة في تاريخ المدينة : فقد كانت هذه السنة بالذات انطلاق فترة من الجفاف والقحط مع مايرافقه عادة من مجاعة ونقص في الحبوب، وبالتالي ظهور امراض وأوبئة(144).

(141) اخبار ابي العباس 16-17، تعطير الانفاس 29.
(142) اخبار ابي العباس 17، تعطير الانفاس 29.
(143) تعطير الانفاس 39-40.
(144) - Famines et épidémies au Maroc. Hespéris 1973 / 74

واستمر الوضع على هذا الحال عدة سنوات لم ينفع الناس معها اللجوء الى كرامات الاولياء بل كان لابد من القيام بعمل مضمون النتائج يزود الناس بما يحتاجون اليه من غذاء. فعن ابي عبدالله الدقاق ان شيخه الغزواني كان (دأبه الحركة في اسباب الحراثة واستخراج المياه) (145).

وفي ممتع الاسماع ان عادته (ان يأمر اصحابه بالحراثة والغرس والخدمة وحفر السواقي) (146). وكان التقليد ان كل من انهى حفر ساقية صنع طعاما ودعا الناس اليه . وهي وسيلة للتخفيف من آلام الناس. وتشير المصادر الى الساقية العظيمة التي اخرجها من وادي اللبن (لم يكن في سواقي السلطان وغيره مثلها) (147).

ووجه الغزواني مريديه نحو الاهتمام بالسقي والفلاحة لإطعام المحتاجين والمساكين ومساعدتهم فكان له الفضل في تعمير بعض المناطق سواء تلك التي لم يكن فيها سكان اصلا، او التي غادرها سكانها منذ العصر الموحدي(148).

ففي الحوز امر مريديه عبدالله بن ساسي وعبدالله بن حسين الامغاري بفتح زاويتين الاولى على ضفة نهر تانسيفت(149)، والثانية بتامصلوحت(150) . واذن لابي يعقوب يوسف التليدي بفتح زاويته ببني تليد(151) . وكانت التعليمات المقدمة اليهم جميعا الاستمرار في شق السواقي، وتجهيز الاراضي للحرث وحفر الآبار، واطعام الوافدين والفقراء.

---

(145) دوحة الناشر 97.

(146) ص 46. يحدد محمد المهدي الفاسي سنة 926 هـ لاشتغال الغزواني بحفر السواقي والآبار. وهي الليلة التي احتبس فيها المطر واعقبها الغلاء الكبير سنة 927، ممتع الاسماع ص 43

(147) الاستقصا 146/4.

(148) انظر ماقاله پاسكون (p. pascon) في الموضوع بتفصيل ، في كتابه،

- Le haouz de marrakech 1/263.

(149) دوحة الناشر 110، الممتع 82، التحفة 36.

(150) الدوحة 105، الممتع 66-67، التحفة 34.

(151) الممتع 76، التحفة 35.

هـ- الاستشفاء من الامراض : ساق ابن الزيات في "التشوف" كثيرا من حالات الاستشفاء من الامراض بواسطة الاولياء وكراماتهم . وبعده تحدث ابن قنفد في "انس الفقير" عن مجمع الاولياء بدكالة على ساحل البحر بين اسفي وتيط وتوارد اصحاب العلل المزمنة عليهم ومايحدث في ذلك من خوارق تصلح لهؤلاء المرضى اجسادهم وترد اليهم قوتهم، قال : (وهذا كنت اسمعه حتى رأيته والله عيانا)(152).

والحقيقة ان عجز الانسان امام المرض وتخلف وسائل العلاج والعناية الصحية يدفعه الى التعلق بكل مامن شأنه ان يعيد اليه عافيته، ولو كان مستحيلا او خارقا للعادة. بل ان مجرد الاعتقاد بفعالية الولي ومقدرته على المعالجة قد يكون كافيا للتخفيف من المصاب.

وهكذا ينسب لابي العباس علاج الجذام(153)، ووجع الرأس(154)، والتشنج والاحلام المزعجة(155)، والعقم(156). وتكون وسيلة تخفيف الكرامة : اداء الفتوح للولي، وتوزيع الصدقة. ولايتعدى الفتوح درهما او درهمين، في حين لاحَدّ للصدقة التي تتناسب ومستوى المريض.

وتخصص التباع في معالجة الامراض الجلدية وكان يمارس ذلك في حياته بدون اجر.

اما الغزواني فكان الناس يقصدونه للاستشفاء من امراض العيون(157)، والامراض العقلية. والمعروف ان المغاربة لم يكونوا يعزلون المريض عقليا وانما يحاولون اعادته الى المجتمع عن طريق زيارة الاولياء والتماس بركتهم . وتفاؤلا اعتبروه "مسكونا او مرياحا ، او مقيوسا " دون ان يتلفظوا باسم المرض العقلي(158).

---

(152) لنس الفقير 71-72.

(153) تعطير الانفاس 32

(154) اخبار ابي العباس 18، وتعطير الانفاس 50.

(155) تعطير الانفاس 55.

(156) تعطير الانفاس 51.

(157) السعادة الابدية 84/2.

(158) كانت فئات من المجتمع - ومازالت - تقصد الاولياء للاستشفاء من جميع الامراض التي تصيبها

و – انصاف المظلوم واقامة العدل، عنصران اساسيان لقيام المجتمع وحسن سيره وصلاحه. الا ان ظروف المجتمعات والاحداث التي تعرفها قد تسبب في هضم بعض حقوق الافراد والجماعات. وفي غياب الجهاز المختص يلجأ الناس – كعادتهم في كل الاحوال – الى الولي لانصافهم ورفع المظالم عنهم.

وقد قبلت السلطة المركزية – في حالة وجودها – أن يقوم الاولياء بهذا الدور. فكانت تدخلاتهم ناجحة وفعالة حتى ان الناس كانوا يؤدون حقوق الغير اذا دعاهم اليها الولي خوفا من عقابه وانتقامه ولايكترثون بأمر السلطة او القضاء.

ولم تكن اقامة العدل معتمدة على قوانين الشريعة الاسلامية دائما، وانما يأخذ العرف او الخارق مهما فيها.

وتروى لرجالات مراكش حالات كثيرة من انصاف المظلومين، وخاصة منهم ابو العباس السبتي. فمما روي عنه:

1. انصاف خديمه مسعود الحاج من صاحب الدار الذي امتنع عن اعطائه اجره(159).

2. انصاف طلبته من حراس الليل الذين عزموا على معاقبتهم بسبب تلاوتهم الأذكار ليلا باصوات مرتفعة(160).

3. اطلاق سراح تجار وهران الذين اسرهم السلطان بتهمة عدم دفع حق الدولة في تجارتهم(161).

4. اطلاق سراح اسرة احتجزها النصارى(162).

والعبرة المستخلصة من هذه الكرامات (ان قدرة الله تغير على الضعيف) ويتم تحقيقها دائما بواسطة الصدقة وتتراوح بين (فتوح قليل، والف دينار) توزع على الفقراء والمحتاجين. وقد تتحقق الكرامة بمجرد توزيع الصدقات. ويضطر السبتي احيانا الى التدخل، كأن يخلو بنفسه ويدعو الله تعالى او يقوم بحركة ما (وثب في الهواء وضرب بعصا كانت بيده قائلا الآن تطلق سراح اهل وهران. . .) وبعض الكرامات تعطينا معلومات قيمة عن :

(159) تعطير الانفاس 24-25.
(160) اخبار ابي العباس ,3وتعطير الانفاس 26-27.
(161) اظهار الكمال 168-169، وتعطير الانفاس46
(162) تعطير الانفاس 32-34.

- الولي، خلوته في جبل جيليز وعدم نزوله لاداء الجمعة بالمدينة، وسيرته مع مريديه وطلبته بفندق مقبل.

- ومجتمعه، وجود علاقات تجارية بين مراكش ووهران، اداء حقوق الابواب والعمولات التجارية للسلطان الموحدي، نشاط القرصنة بين المسلمين والنصارى.

وفي كل الحالات تعكس الكرامة تطلع الطبقا الاجتماعية نحو الحرية والعدالة وتعلقها بالوسائل الكفيلة بتحقيق هذه الاهداف من اولياء وصلحاء وخوارق.

ز - قضاء الحاجات ومساعدة المحتاجين، لاحدّ لحاجات الناس وللمساعدات التي يطلبونها من الولي. ونظرا لقيام مذهب ابي العباس السبتي على الصدقة والجود فإنه كان مقصودا اكثر من غيره من اولياء المدينة، وحسب الاخبار التي وصلتنا عن عمله الاجتماعي فإن احدا من قاصديه لم يعد خاوي الوفاض. اما الفئات التي كان يساعدها فهي الضعيفة المحتاجة، مثل:

- اليتيم الذي لم يجد من يأخذ بيده(163).
- الفقير الذي تصبح زوجته نفساء فلا يجد مايقيم به اودها(164).
- العجوز التي لاتستطيع تجهيز بناتها للزواج(165).
- المسكين الذي لايملك مايستر به عورته(166).
- الفلاح الذي تضيع منه بقرته، وهي كل مايملك(167).

وغالبا ماتكون المساعدة عن طريق مذهبه "في المتاجرة مع الله". فمن نصف درهم المتصدق به على معلم الصبيان، يصل المبلغ الى خمسين دينارا، ويلح المعلم على الاكتفاء بهذا القدر، مع ان ابا العباس كان راغبا في الاستمرار، اذ قال له : (لو تركتني اتاجر بمالك مع الله الى الظهر لملات فناء بيتك ذهبا)(168).

فإذا لم تتح له فرصة المتاجرة تصدق بثيابه التي على ظهره، وهذا اقصى درجات الايثار.

وهناك اعتقاد راسخ باستمرار كرامة الاولياء بعد وفاتهم (مع وجود الحديث الشريف القائل: اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث. . .) فعند ابن الخطيب وابن عاشر وزروق

---

(163) تعطير الانفاس 37و 52،
(164) تعطير الانفاس 34-35-50-51
(165) تعطير الانفاس 38-40.
(166) تعطير الانفاس 56-57.
(167) اخبار ابي العباس 3، وتعطير الانفاس 12-30-31-32.
(168) تعطير الانفاس 34-35.

والصومعي وغيرهم ان كرامة ابي العباس بعد موته اشهر من كرامته في حياته(169). فلا نعجب اذا تحدث اليفرني عن مشاركته (اي السبتي) في معركة وادي المخازن، وهو راكب على فرس اشهب يحض الناس على التقدم. وعلق على الخبر بقوله (ولايستنكر مثل هذا فإن الشهداء احياء عند ربهم)(170).

لهذا بقي ابو العباس مستهدفا من طرف اصحاب الحاجات حتى بعد وفاته وكان قاصدوه من مستويات مختلفة، منهم العلماء والفقهاء كابن الخطيب ومحمد الشرقي وابي عبدالله محمد المعطي بن صالح، وابي محمد عبدالقادر بن قاسم الدكالي، ومحمد بن حسنين الفيلالي، ومحمد الهسكوري، ومحمد الامين الصحراوي، وابي عبدالله محمد الولتي، وابن المؤقت ووالده(171)، وعباس بن ابراهيم صاحب اظهار الكمال(172)، بل لقد تعدى الامر المسلمين ليلجأ اليه النصارى واليهود(173).

ولما كانت اغلب هذه الكرامات تدور حول امور الدنيا فإنهم جعلوا ابا العباس من الذين ثبت لهم التصرف في أمور الدنيا، في حين ثبت التصرف في أمور الآخرة لعبد السلام بن مشيش، وفيهما معا لابي يعزى . واختلفوا في الترتيب والاسماء(174).

وترتبط الدنيا بالآخرة هنا لقيام الكرامات على الصدقة، وجزاء الصدقة اخروي كذلك، ولم تعد الصدقات توزع على المساكين والمحتاجين كما كان الشأن في حياة الولي وانما توزع على ورثته واحفاده. ومع ذلك يستمر الدور الاجتماعي لهذا الولي عن طريق الاحباس الموقوف عليه.

فمن خلال حوالتين حبسيتين فقط (175) تبين ان الاحباس العباسية تتوزع حسب الجدول التالي:

(169) اظهار الكمال 155-156، وتعطير الانفاس 77

(170) نزهة الحادي 75.

(171) تعطير الانفاس 60-61-63-74-75-76.

(172) اشارات الى لجوئه الى السبتي في كتابه اظهار الكمال.

(173) تعطير الانفاس 62و 78، ومنهم الموريسكيون بالبرتغال الذين كانوا يتوسلون اليه دون زيارته او معرفته . انظر الموريسكيون بالبرتغال ، احمد بوشارب، المناهل عدد 24/ 1982. وازمة ضمير المغربي خلال القرنين 16 و 17م لنفس الكاتب، مجلة كلية الآداب بفاس، عدد خاص رقم 2/1985

(174) المحاضرات لليوسي، ط. دار المغرب 1976

(175) حوالة احباس الزاوية العباسية بمراكش، ميكرو فيلم خ. ع. ر. رقم 118 في 120ص، ورقم 120في 223ص. مع رسوم التحبيس واسماء النظار والشهود وتواريخ التحبيس

التعيين	قيصارية	الحانوت					الارض					عين	دراز	فرن	غسيل	طاحونة	حمام	قهوة	دار	قصرية	نوالة	دار الدبغ
		كاملة	2/3	1/2	1/3	1/5	بيضاء	جنان	عرصة	رويضة	فدان											
اوقاف عباسية عامة		470		3																1		
المسجد العباسي		52	1	4	8	2								1								
احباس القبة	1/4	48			1								1		1			1				
احباس المدرسة		14														1						3/4
احباس الروضة		31					1	1	1	1	4	1					1		3		2	
احباس الغطاء		39	58	2			2								2/3							

وتوجد كناشات احباس اخرى لم يُسمح لنا بالاطلاع عليها، اضافة الى مايوجد خارج مراكش والمغرب من الاوقاف العباسية. ان حسن تسيير هذه الاوقاف لن يقوم فقط بما تحتاج اليه المحلات الموقوف عليها، وانما بمقدرتها على الاستمرار في اداء الرسالة الاجتماعية النبيلة التي كرس السبتي حياته لادائها.

2.- الجانب الاسطوري للكرامة:

المعجزة والكرامة والخارقة هي أمور تخالف العادة وتخرق نظام الطبيعة. ويطلق الخارق كذلك على كل مايجاوز قدرة الانسان، ويميز عن العادي الطبيعي، بمقياس اساسي هو مايثير الدهشة والحيرة ولايستسيغه العقل ولانستطيع تفسيره تفسيرا طبيعيا.

وهذه امور نسبية بوجه عام. فما يثير دهشة المتعلم هو غير مايثير دهشة الجاهل ومايدهش المديني قد لايدهش البدوي والعكس. بمعنى ان اختلاف البيئة والثقافة والسن اثرا في تحديد مفهوم الخارق للعادة.

وترتبط الخوارق بعنصري الاثبات والتحدي : فالمعجزة امر خارق للعادة مقرون بالتحدي ودعوى النبوة مع تعذر المعارضة . وتظهر على ايدي الانبياء تأييد لنبوتهم واثباتا لصدق رسالتهم. اما الكرامة فهي ظهور امر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة والتحدي يظهره الله على ايدي اوليائه(176)، وبواسطتها يكتسب تسمية "الولي" ويكبر في اعين الناس، وتطلق عليه الكتب القاب: القطب، الغوث. . .اما اذا لم تكن له كرامات وخوارق فلا تنسب اليه مثل هذه الالقاب.

ويختلف مستوى الاسطورة من كرامة الى اخرى . فمنها مايقترب من الممكن ومنها مايوغل في الخيال. فإذا كانت كرامات الاطعام جائزة عقلا، وخاصة اذا راعينا ظروف العصر ومايعرفه من مجاعات ونقص في الغذاء من جهة، ومايتوفر عليه بعض الاولياء من املاك خاصة، وهبات وعطاءات من جهة اخرى فإن كرامات الاستسقاء ومعالجة الامراض المستعصية والمشي على الماء، والتحكم في ظواهر الطبيعة، وقضاء الحاجات كيفما كان نوعها . . . من الامور الخارقة للعادة والتي كان للأسطورة فيها حظ كبير. ولايجب اغفال دور الوضع والانتحال خاصة وان كثيرا من الكرامات لاتضبط فيها الرواية والسند، وانما تصبح من التراث

(176) مقدمة ابن خلدون 353، ط . مصر

الشعبي الشفوي المتداول ويكتفي فيها باستعمال عبارات : حدثني او سمعت، واخبرني غير واحد. . . وعلى كل حال فإن اختلاط الممكن بالمحال في الكرامة لايمكن ان يفقدها دلالاتها التاريخية والاجتماعية والدينية والنفسية، بل وحتى الجانب الاسطوري منها له أهميته اذ للأسطورة بدورها دلالاتها ووظائفها، ولها جذور عريقة في التاريخ تمتد الى الامم الغابرة من فراعنة وفرس وهنود ويونان . . .

وانتقلت بعد ذلك الى مانسج حول القرآن من اساطير واسرائيليات، ومادخل السيرة النبوية من قصص الانبياء والامم الغابرة. وتطور في مؤلفات لاحقة ومتأخرة مما جعل الدارسين يسمونه بأدب العجائب والغرائب(177).

وفي هذا الادب، كما في الكرامة والخارقة للمصادفة والاحلام وتدخل الجان والغلط وتوهم الحواس والحمق تأثير كبير (178). وتخضع مثلها للتحليل السيميائي ففيها يمر البطل بالمراحل الثلاث: الاختبار التهييئي / ثم الاختبار الحاسم عند الاستعداد لإنجاز الكرامة / ثم الاختبار المشرف وقت حصولها.

بمعنى ان هناك موضوعا مبحوثا عنه بدونه يختل التوازن ونظرا لأهميته لايمكن الحصول عليه الا بجهود وصعوبات يقدم عليها البطل فيخرج منها منتصرا بتحقيق الغرض واعادة التوازن (179). ونقدم نموذجين تطبيقيين موضحين للمقصود:

- النموذج الاول : (حدثني ابو الحسن علي بن محمد الصنهاجي ، قال : جلست مع ابي العباس في جماعة من المريدين وقد احتبس المطر ، فمر الصبيان بنا وهم يستغيثون ويسألون المطر. فقيل لأبي العباس : أما ترى ماأصاب الناس من القحط والجفاف، فهلا استغثت لنا ، فقال : قوموا فخرجنا من باب الدباغين ومعنا ابو يعقوب الحكيم وجماعة من المريدين والشمس شديدة الحرارة فقال لنا ابو العباس: من كان معه شيء فليتصدق به. فقلت له اما انا فليس عندي شيء فإن أمرتني أن آتي بشيء فعلت . فقال : انما امرت من حضر

(177) Introduction à la littérature fantastique . de Todorov Ed. Seuil 1976
- L'étrange et le merveilleux dans l'Islam médéval.
M . Arkoun et autres. Pari 1978.

(178) انظر نماذج من تحليل الكرامة في كتاب : التيار الصوفي والمجتمع 226/1 ،مابعدها

(179) - La sémiotique du texte : Mauspassant . Ed . Seuil 1976. de AJ. Greimas

عنده شيء الآن، ان يخرج عنه، ومعنا رجل شديد الفقر يعرف بالطراز، فقال: ليس عندي غير ثمن درهم اعددته للزيت. فقال له: تصدق به ، ففعل.

فقال : فلقينا ابو عبدالله محمد بن يوسف بن خدع الجذامي، فنزل عن دابته وسلم على الشيخ فقال له الى اين خرجتم ؟ فقلت خرجنا نستسقي، فضحك بنا وقال: صدقتم هذا الشيخ الاحمق، ارجعوا فقلت له: اما انا فلايمكنني الرجوع. فتقدم ابو العباس وهو ينظر الى السماء ويحرك شفتيه ، ثم قال لنا قولوا سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، فإن الخلائق يرزقون بهذا. فكلنا نقول ذلك ونرفع به اصواتنا . وأقمنا على ذلك ساعة ثم قال لنا : بادروا المطر، وخذوا نعالكم بأيديكم. فضحك ابن الجدع وقال : هذا والله هو الحمق يقول لكم هذا القول والشمس شديدة الحر. فقلت اما انا فلا أكذبه فأخذت نعلي بيدي، فوالله ماوصلنا باب الدباغين حتى غيمة السماء وانهملت بالامطار).(180).

يمكن اجمال هذا النص في البرنامجين السرديين التاليين:

.1) - الآمر---------> الموضوع ---------> المأمور.

(ابو الحسن) (المطر او الماء) (ابو العباس.)

المساعد البطل العائق

(الصدقة) (ابو العباس) (الشمس، الجفاف)

.2) الآمر ---------> الموضوع ---------> المأمور

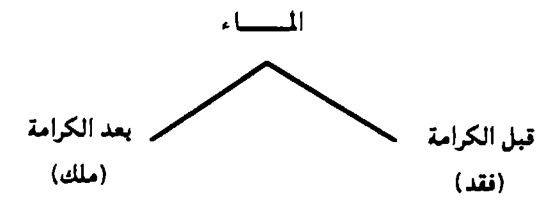
(الناس) (المطر او الماء) (السحاب)

المساعد البطل العائق

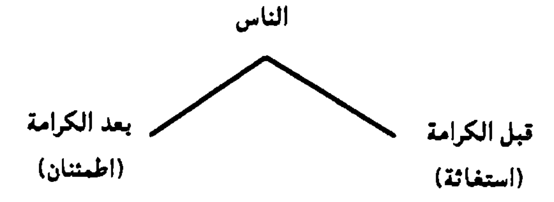
(الدعاء (ابو العباس) (الجفاف / ابن الجدع).

(180) اخبار ابي العباس 12-13، وتعطير الانفاس 54-55مع اختلاف في عبارات النصين

فالبحث متعلق بشيء نفيس هو الماء لذلك ظل محل الرغبة ولم يتغير من مكانه وتبدأ الكرامة بما يسمى مقولة الحاجة المعبر عنها بفعل " يستغيثون" ، ومقولة الفعل المعبر عنه بالفعل "احتبس"، ونتجت عن هذه البداية نتائج متوقعة بسبب تدخل الولي، هي :



وانعكس ذلك على الناس اذ تحولوا من حالة الى اخرى:



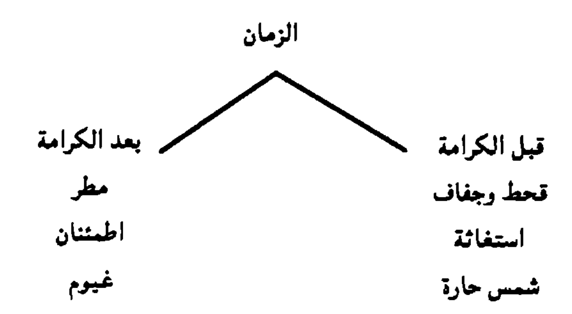
وقد تم ذلك عن طريق المراحل المذكورة :

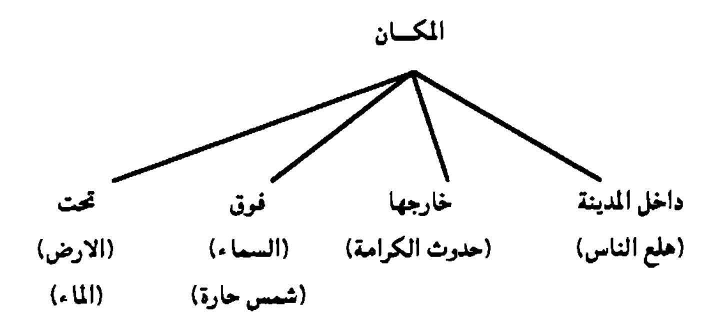
- مرحلة الاختبار التهييئي ، استغاثة الناس بالسبتي وخروجه مع جماعة منهم خارج باب الدباغين.

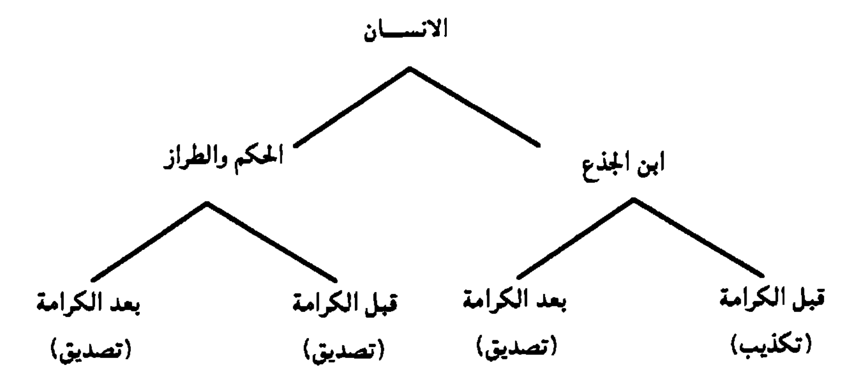
- مرحلة الاختبار الحاسم، عند استفحال الامر بظهور الجاحد ابن جذع، وحالة الطبيعة: الشمس شديدة الحرارة، فعمد الولي الى تحريك شفتيه والدعاء ناظرا الى السماء. وزاد الموقف حدة عندما استعان جوقة الرجال، وأخذت تردد ذلك بعدما تم توزيع الصدقات.

- مرحلة التشريف بحصول الكرامة، عندما أمر الحاضرين بأخذ النعال بأيديهم والاسراع بالاختباء لاحتمال سقوط الامطار في نفس اللحظة . وانتهت المرحلة بنزول الامطار.

وتتفرع عن الكرامة عدة تقابلات على مستوى مقولات الزمان / المكان / الانسان.







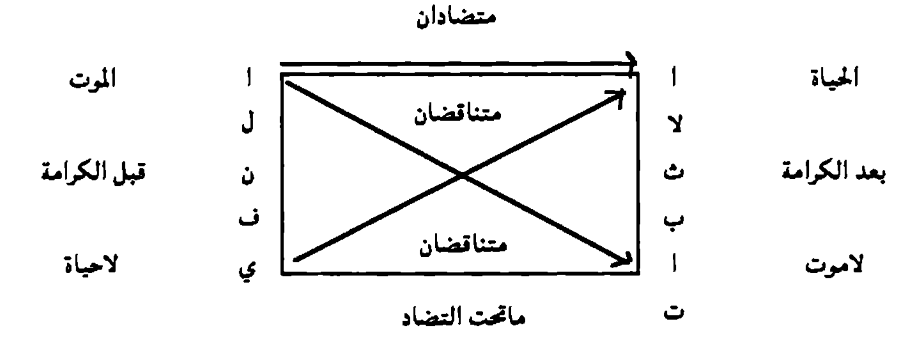
وفي الاخير انهزم المكذب الجاحد وآمن بكرامة الولي وتصدق بما عنده، ويستخلص منها :

-الولي البطل يستطيع الانتصار وتغيير احوال الناس من هلع الى اطمئنان.

- البطل الحقيقي هو الله فقد حاول الولي ارضاءه بوسيلتين : الصدقة، والدعاء الفردي والجماعي.

- لايجب التعرض للأولياء بالجحود والنكران فعقوبة ذلك قاسية (تصل احيانا الى حد الموت.. .)

- اهمية الولي في الحفاظ على كيان مجتمعه واستقراره. فالماء هو الحياة والقحط هو الموت مما يعطي تقابل الحياة / الموت، ويعبر عنه بالمربع السيميائي التالي:



فأساس هذه الكرامة المحافظة على الحياة والخوف من الموت، وقد سبق ان قلنا ان الاعتقاد بكرامة الاولياء مظهر من مظاهر الخوف من اشياء كثيرة منها الطبيعة، فتاريخ الخارق هو تاريخ الخوف.

ان كرامات الاستسقاء كثيرة بسبب مناخ المدينة الحار والجاف، ويمكن تطبيق هذا المنهج عليها (نكتفي بهذا النموذج).

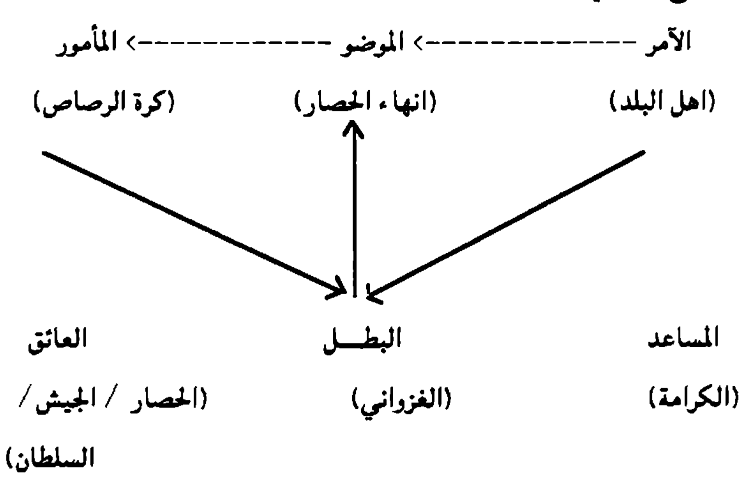
النموذج الثاني، نحلل نموذجا ثانيا لولي آخر هو الغزواني، في موضوع فك الحصار على مراكش .

(عندما حاصر محمد الشيخ المريني واخوه الناصر السلطان ابا العباس احمدبن محمد الشريف، وأخاه ابا عبدالله محمد الشيخ بمراكش، قيل للغزواني بأن اهل البلد ضجروا وخشو على انفسهم، فركب مع اصحابه وخرج على باب مراكش (باب ابي العباس) فوجدوا رماة السلطان المريني يرمون فوقف الشيخ يعتبر فجاءت كرة رصاص من مدفع في صدره ثقبت قشابة صوف كانت عليه ووقفت على لحمه ولم تدخل فيه. على انها صارت (قرصة) كأنها

ضربت في صخرة صماء. ثم قبض الشيخ عليها بيده وقال: لاإله الله، هذه خاتمة ضربهم .

ثم رجع الى البلد فوردت الانباء على المرينيين في تلك الليلة بإن اولاد عمه قاموا يفاس ونبذوا دعوته فأصبح راحلا ولم تقم له ولا لأهل بيته من بعده قائمة. ولله الامر من قبل ومن بعد) (181).

البرنامج السردي المستخلص من الكرامة :



تتوفر العناصر المنهاجية في الكرامة ، وهي الآمر (اهل البلد) الذي يحدد الموضوع المبحوث فيه : ضجرهم من حصار محمد الشيخ ورغبته في انهائه، والعوائق كثيرة هي جيش السلطان ورماته ورصاصه، وتشديد الحصار والخنادق على المدينة.

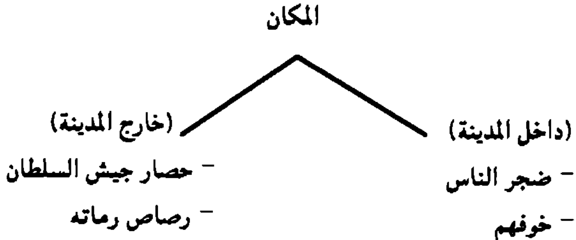
فليس هناك الا بطولة البطل وهو الغزواني الذي سيخرجهم من الورطة للتغلب على الصعوبات، وتمر بمراحل الاختبار:

- اختبار التأهيل، استغاثة اهل مراكش بالولي وخروجه الى ظاهر المدينة .
- اختبار الاساس، انتلاق كرة الرصاص وتحطمها على صدره.
- اختبار التشريف، انتهاء الحصار وانقراض الدولة المحاصرة. والعجب يأتي من شيئين:

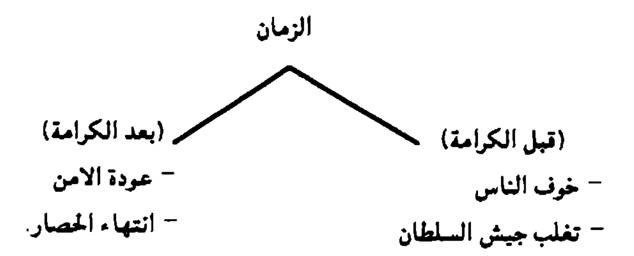
(181) ممتع الاسماع 39.

- كرة الرصاص التي تتحول الى "قرصة" عند التقائها بصدر الولي.
- وتطابق ذلك مع انهاء السلطان للحصار وجلائه عن المدينة بعدما كان منتصرا.

ويمكن الحديث عن مقولة المكان والتمييز بين حالتين:



بمعنى ان الموت كان محيطا بهم . وتأتي الكرامة لتغيير الوضع، فنقول بأن هناك زمان ماقبل الكرامة ومابعدها.



فمؤدى الكرامة اذن المحافظة على الحياة بالمحافظة على الامن مما يعطي تقابل الحياة / الموت (انظر المربع السيميائي للنموذج السابق) . ويتم ذلك على يد الصوفي، بالطبع فهو ملجأ الناس من كل انواع الخوف: من الطبيعة، ومن البشر. . .

فتاريخ الخارق - كما رأينا - هو تاريخ الخوف.

وهكذا يتبين ان الهدف من الكرامات اظهار بطولة الولي وانتصاره على العراقيل التي تواجهه. فهي مثال للترغيب في التصوف ، والترهيب من انكار بركة الاولياء وبطولتهم. وتعبير عما يحسه الانسان من خوف في وسطه. فيكون الولي هو الملاذ الوحيد وهذه الكرامات بما تتضمنه وقائع تاريخية ومعلومات تساعدنا على تشخيص البنية الصوفية والاجتماعية للمجتمع، وقد اعتمدناها في بعض مراحل هذا البحث فهي لأسطوريتها تكشف عن خبايا

مجتمعها بقدر لاتصل اليه الوثائق الرسمية والتاريخ الرسمي التي تدخل في كتابته مجموعة من الاعتبارات، لذلك لايجب اهمالها بحجة انها تخريف ولغو كما لايجب اخذها على ظاهرها بل تحليلها والاستفادة من دلالاتها. ان من يلغيها ويطرحها جانبا يلغي جزءا من تاريخ المجتمع.

خاتمـــــة الكتـــاب:

الخلاصة التي يمكن الخروج بها من الجزء الاول من الاطروحة هي :

1) التأثير العميق للتصوف في المدينة: في تسميتها ، في عمرانها، في هندستها، في بناء حوماتها. . . فالكل قد استمد اسمه من اسم الولي الشهير بالحومة او المدفون في الدرب. وفي القباب والاضرحة والقبور المشيدة في كل ارجاء المدينة وخاصة داخل الاسوار مما يضفي عليها طابعا خاصا، وتتقارب احيانا بشكل يلفت الانظار تبعا للقولة (مراكش كل قدم بولي).

وفي مخلفات ذلك كله على سكان المدينة: الحرص على زيارة الاولياء عموما وسبعة رجال خصوصا، وتأثير هؤلاء في العادات والتقليد كإحياء ليالي رمضان والاحتفال بالمواسم والاعياد، وحفلات الزفاف، والعقيقة والختان، وفي التعلم، وفي حالة المرض، والجفاف، وفي آداء الصدقات، والحلف عند قبور الاولياء، واحترامهم وأداء النذور لهم.

كل هذا وغيره يبين تجذر الظاهرة في هذه المدينة العريقة ربما بشكل اعمق من باقي المدن المغربية. فلم تحافظ اي مدينة على نظام رجالها السبعة كما فعلت مراكش.

2) فلم يكن مجتمع مراكش مجتمعا انقساميا، فمع اجتماع بعض القبائل في احياء خاصة وانغلاق بعض الحومات على نفسها والاستقلال بحياتها في حالات الاضطراب، فإن اهم شروط النظرية الانقسامية - مجتمع بدون سلطة مركزية- لم يكن متوفرا ذلك ان المدينة كانت مقر السلطة المركزية خلال عدة عصور. وحتى في فترات الاضطراب. والضعف والانتقال من دولة الى اخرى وجدت بها سلطات كانت بمثابة السلطة المركزية كأمراء هنتاتة، والشبانات. . .

وعلى العكس من ذلك فإن مجتمع المدينة كان مجتمعا توحديا انطمست فيه النعرات القبلية وقل الزواج اللحمي واصبح الانتماء الى المدينة رابطة جديدة تربط بين السكان بدل الانتماء الى القبيلة ويقوي هذا التلاحم في فترات المحن و الكوارث الطبيعية والحصارات،

وغير ذلك من المآسي التي شهدتها المدينة خلال تاريخها.

3) كل الطرق الصوفية التي عرفها المغرب كانت ممثلة بزاوية او اكثر في المدينة . وقد حددت مواقع هذه الزوايا في الاحياء والدروب لتحقيق اهداف خاصة. وكانت لها ادوار اساسية ومهمة في حياة السكان على طول تاريخ المدينة باعتبارها مراكز علمية تربوية تنشر العلم الى جانب المدارس والجامعات، تعطي فيها ثقافة دينية وشعبية. وترشد الناس الى حسن السيرة والسلوك والتعامل. وهي مراكز اجتماعية للمساعدة والاطعام والايواء والتوجيه، ونوادي لتبادل الاخبار والمعلومات والتجارب والاستجمام والراحة.

ونظرا لانتظارها في المدينة وتورط رؤسائها ومقدميها في الشؤون السياسية فيما بعد.

4) وكانت لسبعة رجال مراكش -احياء وامواتا- ادوار مهمة بين سكان المدينة، سياسية وعلمية تربوية واجتماعية، فقد ساهموا فعليا في التوجيه السياسي والديني للسكان. وكانوا سندهم عند الحاجة والمرض والخوف. وفي ظروف كان الاعتناء فيها بالانسان قليلا ان لم نقل منعدما فلا يمكن للمؤرخ او لدارس المجتمع ان يهمل هذه الادوار. فهؤلاء الرجال جزء من تاريخ المدينة ومجتمعها وبالتالي جزء من تاريخ المغرب والمجتمع المغربي.

وهذا مايبرر اختيارنا لهذا الموضوع واهتمامنا به، وقد خلفوا آثارا فكرية وأدبية جذيرة بالدراسة تناولها معاصروهم ومن جاء بعده بالشرح والتحليل واتخذوها معالم ساروا على نهجها في ابداعاتهم وتأملاتهم. فاجتمع بذلك علم غزير ومفيد. واذا اضفنا الى هذا ماقيل فيهم من شعر وماكتب عنهم من رسائل وتراجم وكتب ، تبينت لنا اهمية التراث المتصل بحركة سبعة رجال مراكش .

فهـرس المصـــادر والمـراجــع

أ - المخطـــــوطــــات

- التادلي / عبدالخالق بن محمد بن احمد العروسي

المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي

م . خ . ع . ر . 319 ك .

- ابـن نجيلات / ابو عبد الله محمد بن محمد المراكشي

2 اثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الاخوين .

م . خ . ع . ر . رقم 935 د .

- الجراري / يحي بن عبدالله البكري السوسي،

3 فهرســــة

م خ . ح . 3443 ز.

- الجزولي / محمد بن العباس السوسي

4 المواهب القدسية في أسانيد بعض المشايخ الصوفية.

م . خ . ع. ر . 97 ج

- الحلفاوي / ابو محمد قاسم بن احمد بن محمد.

5 شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة .

م . خ . بمراكش وم . خزانة ابن يوسف رقم 171.

- الدكالي / محمد بن علي السلاوي،

6 كناشــــة

م .خ . ع . ر . رقم 158 د.

- الزروالي / محمد الحسني،

7 شمس القلوب لكل محبوب

م . خ . ع . ر . 3694 د.

- الزموري / محمد بن عبدالعظيم،

8 بهجة الناظرين وانس الحاضرين ووسيلة رب العالمين، في مناقب آل امغار الصالحين . م . خ . بمراكش.

- الساحلي / محمد بن محمد الانصاري،

9 بغية السالك في اشرف المسالك

م . خ . ع . ر . 2224 د .

- الشريسي / احمد بن محمد،

10 انوار السرائر وسرائر الانوار

م . خ . ع . ر . 984 د ضمن مجموع.

- الصومعي / عبدالرحمن بن اسماعيل التادلي الزمراني،

11 التشوف الى رجال التصوف
م . خ . ع . ر . رقم 1103 د .

المعزى في مناقب ابي يعزى
12 م . خ . ع . ر . 625 د

- عباس بن ابراهيم المراكشي،

13 اظهار الكمال في تتميم مناقب اولياء مراكش سبعة رجال
م . خ . ح 232، هي النسخة المعتمدة لانه لم يطبع الا جزء منه.

- ابن عطية / احمد بن محمد السلاوي،

14 سلسلة الانوار في طريقة السادات الصوفية الاخيار
م . خ ع ر . 2458 ك .

- عمر بن البخاري،

15 جواب الاخوان في مدد قطب الاعيان
م . خ . بمراكش

- الفاسي / محمد المهدي،

16 تحفة اهل الصديقية، بأسانيد الطائفة الجزولية الزروقية
م . خ .ع . ر . 76 ج

17 تحفة الاخيار، ومعرفة الابرار، العاكفين على دلائل الخيرات وشوارق الانوار
م . خ ح 093 11 ز.

- القادري / عبد السلام بن الطيب

18 الاشراف على نسب الاقطاب الاربعة الاشراف

م . خ . ع . ر . 310 د

19 **مجموع** / حوالات اوقاف الجزولي

ميكرو فيلم خ . ع ع ر 125

20 **مجموع** / حولات اوقاف الزاوية العباسية بمراكش

ميكرو فيلم خ ع . ر . 118-119

21 **مجموع** / الطرق الصوفية

م خ ع . ر . 637 ك .

22 **مجهـول**

العيون المرضية في ذكر مناقب الطائفة الرجراجية

م . خ . بمراكش

- محمد الغالي بن المكي الاندلسي

23 بادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال

م خ بالرباط

- ابن مرزوق،

24 السند الصحيح الحسن في مآثر مولانا ابي الحسن

م . خ . ع . ر 111 ق .

- المنغلوطي / حسنين بن مصطفى غانم

25 تحفة الكرام في بعض مناقب غوث الانام قطب جزولة

م. خ. ع. ر 925 د.

- ابن ناصر / الحسين بن محمد الدرعي

26 الفهرسة

م. خ. ع. ر. 1443 ك.

- الناصري / محمد المكي بن موسى الدرعي

27 الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية

م. خ. بمراكش.

- اليفرني / محمد الصغير بن محمد السوسي المراكشي

28 درر الحجال في سبعة رجال

م. خ. بالرباط

ب - الكتب المطبوعة

القرآن الكريم.

- احمد بن ابراهيم بن احمد بن ابي محمد صالح

29 المنهاج الواضح في تحقيق كرامات ابي محمد صالح ط. مصر 1933.

- الادريسي / الشريف،

30 وصف افريقيا

نشره هنري بيريس بالجزائر سنة 1957.

- الفريد بيل

31 الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح الاسلامي حتى اليوم

ترجمة عبدالرحمن بدوي، طـ دار الغرب الاسلامي، بيروت 1981.

-الانصاري / ابو عبدالله محمد بن قاسم السبتي

32 اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار

تحقيق عبدالوهاب بنمنصور، الرباط 1969

- برادة / علي حرازم

33 جواهر المعاني

طـ مصر 1345 هـ

- البكري / ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز

34 المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (جزء من المسالك والممالك)

نشر دوسلان سنة 1857، مصور مطبعة المثنى - بغداد

-البيذق / ابو بكر بن علي الصنهاجي

35 اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين

تحقيق عبدالوهاب بن منصور، طـ دار المامون، الرباط 1971.

- التادلي / يوسف بن يحي بن الزيات

36 التشوف الى رجال التصوف

تحقيق ادولف فور، نشر كلية الآداب الرباط 1958.

اخبار ابي العباس السبتي

37 ذيلت بها الطبعة الثانية من التشوف، تحقيق احمد التوفيق،

نشر كلية الآداب، الرباط 1984.

- التوفيق / احمد

38 مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر :

اينولتان (1850-1912) . طـ 1 الدار البيضاء 1978.

- الجراري / عباس

39 الامير الشاعر ابو الربيع سليمان الموحدي

طـ . دار الثقافة ، الدار البيضاء 1974.

40 وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ

طـ . الدار البيضاء 1976.

- جلاب / حسن

41 الدولة الموحدية (أثر العقيدة في الادب)

طـ 1 الدرا البيضاء 1983، طـ 2 / الدار البيضاء 1985.

- حسن احمد محمود

42 قيام دولة المرابطين
القاهرة 1957.

- ابن الخطيب / ابو عبدالله محمد

43 روضة التعريف بالحب الشريف،
تحقيق محمد الكتاني، ط. الدار البيضاء 1970.

44 الاحاطة في اخبار الغرناطة
تحقيق محمد عبدالله عنان، ط. القاهرة 1973.

45 معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار
تحقيق محمد كمال شبانة، ط المحمدية د. ت .

- ابن خلدون / ابو زيد عبدالرحمن بن محمد

46 تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر)
ط. دار الكتاب اللبناني، بيروت 1956.

- ابن خلكان / شمس الدين احمد

47 وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان
تحقيق احسان عباس، ط. بيروت 1968.

- الرحالي / محمد العربي بن البهلول بن عمر

48 منهج الارتجال الى معرفة الشيخ سيدي رحال
ط. الامنية، الرباط 1956.

- الزركلي / خير الدين

49 الاعلام لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين، والمستشرقين

ط. كوستاسوماس 1956. و ط. 1980/5.

- السايح / محمد العربي الشرقي

50 بغية المستفيد بشرح منية المريد

ط. بيروت 1973.

- السراج / محمد

51 خلاصة تاريخ سبتة

ط. تطوان 1976.

- السراج / محمد بن احمد القيسي ابن مليح

52 انس الساري والسارب

تحقيق محمد الفاسي، فاس 1968.

- سكيرج / احمد

53 رفع النقاب فيمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الاحباب

ط. الامنية ، الرباط 1971.

- ابن سودة / عبدالسلام

54 دليل مؤرخ المغرب الاقصى

ط. دار الكتاب، الدار البيضاء 1960.

- شعيرة / محمد عبدالهادي

55 المرابطون : تاريخهم السياسي

ط . القاهرة 1969.

-شقور / عبدالسلام

56 القاضي عياض الاديب

ط . دار الفكر المغربي، 1983.

- ابن صاحب الصلاة / عبدالملك

57 تاريخ المن بالامامة

تحقيق عبدالهادي التازي، ط . بيروت 1964.

- عباس بن ابراهيم المراكشي

58 الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام

نشر عبد الوهاب بنمنصور، ط. ملكية 1974–1983.

- عبدالعزيز بنعبد الله

59 معطيات الحضارة المغربية

ط. دار الكتب العربية – الرباط، 1983.

60 الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية

ط . وزارة الاوقاف، الرباط بين 1975–1981.

61 – معلمة المدن والقبائل

نشر وزارة الاوقاف1977.

-عبدالواحد المراكشي

62 المعجب في تلخيص اخبار المغرب

تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي. ط. القاهرة 1949.

- ابن عذاري المراكشي

63 البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب (قسم المرابطين)

تحقيق احسان عباس ، ط. بيروت 1968-1980.

64 البيان المغرب (القسم الموحدي)

تحقيق اميروسي ميراندا ومحمد بن تاويت، ط. تطوان 1960.

- ابن عربي / محي الدين

65 الفتوحات المكية

تحقيق عثمان يحي، ط. مصر 1972.

- ابن العريف / احمد بن محمد بن موسى الصنهاجي

66 محاسن المجالس

نشره اسين بلاسيوس، باريس 1933.

-ابن عسكر / محمد بن علي الشفشاوني

67 دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر

تحقيق محمد حجي، ط. دار المغرب ، الرباط 1976.

- عياض / بن موسي اليحصبي القاضي

68 ترتيب المدارك، وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك

نشر وزارة الاوقاف في 8 أجزاء بين 1965 و 1983

69 الغنيــــــة

طـ . الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس 1978.

-ابن عياض / ابو عبد الله محمد

70 التعريف بالقاضي عياض

تحقيق محمد بنشريفة، طـ . وزارة الاوقاف، المحمدية د . ت .

-ابن غازي / محمد بن احمد العثماني المكناسي

71 فهرس ابن غــــازي

تحقيق محمد الزاهي، الرباط 1979.

-الغزال / احمد بن المهدي العيساوي

72 النور الشامل في مناقب فحل الرجال الكامل

طـ . مصر 1348.

-ابن ابي زرع / علي الفاسي

73 الانيس المطرب بروض القرطاس، في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس

طـ . دار المنصور ، الرباط 1973.

- الفاسي / محمد المهدي

74 ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع، ومالهما من الاتباع والالناع

ط . حجرية بفاس 1305 و 1313هـ

-الفشتالي / عبد العزيز بن محمد

75 مناهل الصفا في اخبار الملوك الشرفا

ط . وزارة الاوقاف د . ت . ونشرة عبدالله كنون تطوان 1964.

- ابن القاضي/ احمد بن محمد بن ابي العافية المكناسي

76 جدوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس

ط . دار المنصور الرباط 1973-1974.

-ابن قنفذ / احمد الخطيب القسنطيني

77 انس الفقير وعز الحقير

تحقيق محمد الفاسي، وادولف فور، ط ، الرباط 1965.

-الكتاني / محمد بن جعفر الحسني

78 سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس

ط . حجري بفاس 1318 هـ

- مجهول

79 الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية

تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، ط . الدار البيضاء 1979.

-محمود اسماعيل عبدالرزاق

80 الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري

ط . دار الثقافة 1976.

-مصطفى ابو ضيف احمد

81 اثر القبائل العربية في الحياة المغربية (خلال عصري الموحدين وبني مرين)
ط . -1- الدار البيضاء 1982.

-مفتاح / احمد

82 التيار الصوفي والمجتمع في المغرب والاندلس خلال القرن الثامن الهجري
مرقون بخزانة كلية الآداب، الرباط . 1981.

- ابن منظور/ جمال الدين محمد بن مكرم المصري

83 لسان العرب
دار صادر - بيروت

- المنوني / محمد

84 العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين
طـ . 2- دار المغرب 1977.

85 ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين
طـ الرباط 1979.

-ابن المؤقت / محمد بن محمد المراكشي

86 السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشي
ط . حجرية 1335 هـ

87 الرحلة المراكشية ومرآة المساويء الوقتية
ط . بابي الحلبي 1932

-مؤنس / حسين

88 فجر الاندلس

ط. القاهرة 1959.

- الناصري / احمد بن خالد السلوي

89 طلعة المشتري في النسب الجعفري

ط. حجرية فاسية.

90 الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى

ط. دار الكتاب 1954 - 1956.

-ياقوت / الحموي

91 معجم البلدان

ط. دار صادر - بيروت 1957

-اليفرني / محمد الصغير بن محمد المراكشي

92 نزهة الحادي في اخبار ملوك القرن الحادي

باريس 1888، والطبعة المصورة عليها .

93 صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر.

ط. على الحجر بفاس

ج - المقـــــــالات

- الجراري / عبـــاس

94 اسباب انتشار المذهب المالكي واستمراره بالمغرب

دعوة الحق ، عدد 224- غشت / شتنبر 1982.

-جلاب / حســـن

95 معجم عراصي مدينة مراكش

التراث الشعبي ، عدد 5، السنة 12- 1981

- حركات / ابراهيم

96 العمران وفن البناء في العصر السعدي

الثقافة المغربية، عدد 6.

-الشيخلي / صباح ابراهيم

97 آل أمغـــار

البحث العلمي، عدد 33- نونبر 1982.

-عبدالعزيز بن عبد الله

98 الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب

مجلة البينة عدد 7- نونبر 1962.

-الفاسي / علال

99 التصوف الاسلامي في المغرب

المحاضرات الثقافية وزارة الثقافة ج 1- الرباط 1969.

- المنوني / محمد

100 طابع الحضارة المغربية في العصرالوسيط

مجلة كلية الآداب بالرباط عدد مزدوج 3 - 4 / 1978.

-نهاد / خياطة

101 التعريف بابن العريف

مجلة المعرفة السورية عدد 217- مارس 1980.

-الولي / طه

102 المدينة في الاسلام

مجلة الفكر العربي ، عدد 29، اكتوبر 1982.

مصادر ومراجع بغير العربية

أ) الكتب ،

BEL / ALFRED.

103 Abou médiam et son maitre Eddakak à Fès

Mélanges R. Basset T.1. Paris 1923.

BELLAIRES MICHAUX.

104 Les confréries religieuses au Maroc

Archives marocaines Vol. XXVII, 1927.

DERMENGHEN E.

105 Le cultes des saints dans l'islam maghrébin, paris 1954 .

DEVERDUN .GASTON.

106 Marrakech dès'orgines à 1912

Ed. Techniques nord africaine : Rabat 1959.

107 Inscriptions arabes de Marrakech

Rabat 1956.

DOUTTE Edmond.

108 Les marabouts

Ed .Leroux . Paris 1900.

DRAGUE Georges.

109 Esquisse d'histiure religieuse du Maroc

Paris 1951.

ENSYCLOPEDIE de l'islam .

110 Leyde - Paris 1913.

LAMARTINIERE Henri de.

111 Souvenirs du Maroc

Lib . Plon Paris.

MARGAIS . G .

112 Note sur les ribats
mélanges R . Basset T II 1925 .

MASSIGNON L .

113 Le Maroc dans les premières années du XVIe s : Tableau géographique d'après Léon l'africain.
Alger 1900.

MONTAGNE Robert.

114 Les berbères et le maghzen
Paris 1930.

MONTET Edouard.

115 Le culte des Saints musulmans dans l'afrique du nord et plus spécialement au Maroc.
Genève 1909.

PASCON Paul.

116 Le haouz de Marrakech.
Rabat 1977.

ALLAIN C. et DEVERDUN G.

117 Les portes anciennes de Marrakech.
Hespéris 1975 1er et 2ème tri.

BEL Alfred.

118 Le soufisme en occident musulman au XIIe S.
Annale de l'Institut d'études orientales 1934 - 1935.

CENIVAL Pierre de.

119 L'eglise chrétienne de Marrakech au XIIIe S.
Hespéris T VII 1927 tri.

DECASTRIES HENRI.

120 Les sept parons de Marrakech.
Hespéris 1924 T IV 3e tri.

EICKELAN Dale F.

121 quelques aspects de l'organisation politique et économique d'une Zaouia Marocaine au XIXe : cherquaoua de Boujad . Bull . de la soci . d'his . du Maroc 4-5 / 1972 - 1973 .

FAGNAN E.

122 Un chant algérien du XVIIIe à l'occasion du bombardement d'alger par les danois Safar 1184 Juillet 1770: Revue Afric . T . 38.

FAURE A .

123 Abou L-Abbas Essabti : la justice et la charité Hespéris . T . XLIII, 3e - 4e tri . 1956.

LAMBERT P.

124 Notice sur la ville de Maroc.

Bull . de la soci . de géorg . de Paris 1867 .

LOUBIGNAC . V.

125 Un saint berbère : Moulay Bou Azza, histoire et légende

Hespéris T . 31 1944.

MANDLEUR . A.

126 Croissance et Urbanisme de Marrakech.

R. G. M . N° 22 . 1972.

127 Les foundouks de la médina de Marrakech .

Colloque de géog . maghrébine . Faculté des Lettres Rabat Sept . 1973 .

PROVENCAL . E . L.

128 Une description de cellta musulmane au XVe

Hesperis T . XII 1931 .

VOINOT . L.

129 Les zaouias de Marrakech et de la région voisine

RGM . N° 1 1937.

ملحق
ببحوث الاستاذ حسن جلاب
ونشاطه العلمي

اولا - المؤلفات المطبوعة :

1 - الدولة الموحدية (اثر العقيدة في الادب)

- الطبعــة الاولــى - ابــريل 1983 في 136 صفحة منشورات الجامعة الدار البيضاء

- الطبعــة الثانيــة - مــارس 1985 في 168 صفحة منشورات الجامعة الدار البيضاء

طبعة . منقحة ومزيدة .

2 - محمد بن سليمان الجزولي (مقاربة تحليلية لكتابته الصوفية)

- الطبعة الاولى 1992 في 108 صفحة . دار تينمل - مراكش .

3 - احمد بابا السوداني وكتابه الدر النضير

- الطبعة الاولى 1993 - مطبعة . الوراقة الوطنية - مراكش .

4 - الحركة الصوفية بمراكش: ظاهرة سبعة رجال

المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش 1994.

5 - الآثار الادبية لصوفية مراكش

المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش 1994.

6 - مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي

المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش 1994.

ثانيا - مؤلفات تحت الطبع .

1 - بحوث في التصوف المغربي .

2 - ببليوغرافيا التراث المغربي المخطوط

3 - الدولة الموحدية : أثر العقيدة في الادب ط 3. .

ثالثا - مؤلفات جاهزة للطبع .

1 - ابو عبد الله محمد المرابط الدلائي : حياته وآثاره

2 - اتجاهات الشعر المغربي الى آخر القرن السادس الهجري

3 - الزاوية البوعمرية بمراكش : دورها الديني والاجتماعي واشعاعها العلمي
4 - فصول في الادب المرابطي
5 - فصول في ادب الموحدين بالمغرب والاندلس
6 - محاضرات في الادب الاندلسي
7 - ببليوغرافيا التراث الحضاري لمدينة مراكش

رابعا - المقالات المنشورة على صفحات الجرائد :

1 - كتاب القصيدة والدقة المراكشية .
العلم الثقافي عدد 137 بتاريخ 17 مارس 1972 .
2 - ابو عبد الله محمد المرابط الدلائي : حياته وآثاره
تقرير المناقشة
العلم الثقافي عدد 430 بتاريخ 10 مارس 1978 .
3 - حول رسالة ابي عبد الله محمد المرابط الدلائي
المحرر الثقافي عدد 19 مارس 1978 .
4 - ملخص مداخلة : اضواء على الزاوية البوعمرية بمراكش
الملحق الثقافي لجريدة الميثاق الوطني عدد 5 - 6 ابريل 1987 .
5 - ارتسامات وشهادات عن ندوة تكريم احمد الشرقاوي اقبال .
الملحق الثقافي لجريدة الميثاق الوطني عدد 12 - 13 - ابريل 1987 .
6 - حوار : ركن حديث الاحد - حول موضوع التراث المغربي عموما .
الميثاق الوطني عدد 3 - 5 ماي 1987 .
7 - الحركة الصوفية بمراكش واثرها في الادب
(تقرير المناقشة) العلم الثقافي عدد 832 . 11 يوليوز 1987 .
8 - التجليات الادبية لموقعة الزلاقة
انوال الثقافي العدد 46 - 19 شتنبر 1987 .
9 - امتزاج الفنون والصنائع بالمغرب .
جريدة انوال عدد 428 - 28 يوليوز 1988 .

خامسا - مقالات منشورة على صفحات المجلات .

1 - العوامل المؤدية الى تأثر الادب المغربي بالاندلسي
مجلة الثقافة العربية - ليبيا .
عدد دجنبر 1979 .

2 - من فنون الرقص الشعبي بالجنوب المغربي : احواش تلواث (مقالة مترجمة عن اندريه باريس)
التراث الشعبي - العراق
العدد 12 ، السنة 10 - 1979 ص 51 الى 68 .

3 - معجم عراصي مراكش .
التراث الشعبي - العراق
عدد 5 - السنة 12 - 1981 ص 79 الى 98 .

4 - حول عراصي مدينة مراكش .
التراث الشعبي- العراق\عدد 3 السنة 13 آذار 1982 ص 149 - 150

5 - حول حج الاولياء السبعة
المقاصد - بيروت لبنان
السنة 1 - عدد 4 نيسان 1982 ص 148 .

6 - الفكر والادب في عهد الموحدين
دعوة الحق - الرباط
عدد 249 يونيه 1985 ص 80 - 89 .

7 - المخطوطات المغربية : مراكزها ، فهارسها ولوائحها
المورد - (بغداد - العراق)
صيف 1986 المجلد 15 عدد 2 ص 142 - 162 .

8 - من اعلام العلماء على عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن والمولى الحسـن : محمد الامين الشنجيطي
دعوة الحق - الرباط
عدد 263 - مارس 1987 ،ص 152 - 164 .

9 - حول نكبة ابن العريف الصنهاجي
مجلة كلية الآداب بمراكش - العدد 1 - 1987 .

10 - من تاريخ الماء وأساليب الري والتوزيع بمراكش دعوة الحق عدد 265 /يونيو يوليوز 1987 ص 77 - 85 .

11 - ابراهيم الامغاري (طير الجبل)
دعوة الحق عدد 266 غشت 1987 ص 93 - 97 .

12 - من مصادر التاريخ الديني والاجتماعي على عهد العلويين
مخطوط درر الحجال لليفرني
المناهل عدد خاص بالعلويين - عدد 36 / 1987 .

13 - هاجس الذنب في شعر ابي القاسم السهيلي
دراسة موضوعاتية بنائية - مجلة دراسات لسانية وسيميائية عدد 2 خريف87 شتاء 1988. من ص 91 الى 116 القسم الاول

14 - المخطوطات المغربية : مراكزها ، فهارسها ولوائحها
المورد (بغداد- العراق)ربيع 1988 مجلد 17 عدد 1 . ص 206 - 228 .

15 - هاجس الذنب في شعر ابي القاسم السهيلي
دراسة موضوعاتية بنائية (القسم الثاني)
مجلة دراسات ادبية لسانية سيميائية عدد 3 صيف وخريف 1988- ص 83-95 .

16 - من اعلام التصوف : محمد بن سليمان الجزولي (1)
دعوة الحق عدد 271 . محرم - صفر 1409 / موافق سبتمبر 1988ص 121 - 127

17 - ظهائر سعدية في توقير واحترام الزاوية البوعمرية
دار النيابة السنة 6 عدد 21 سنة 1989 ص 13 الى 22

18 - محافظة المغاربة على الكتاب عبر التاريخ
مجلة الناشر العربي - ليبيا عدد 11 / 1988 من ص 142 الى 150 .

19 - الابواب التاريخية لمدينة مراكش
مجلة - الفيصل (السعودية) عدد 144 فبراير 1989 ص 67 الى72 .

20- Marrakech dans les œuvres etrangeres (etude bibligraphique)
Bulletin de l'association grand Atlas . Paris 1987 .

21 - تكريم النبوة في شعر القاضي عياض
الموقف عدد خاص بالشعر المغربي
مارس 1989 ص 36 - 57 .

22 - وثائق حول الزاوية البوعمرية بمراكش
البحث العلمي عدد 38 - السنة 23 ص107 - 142 .
السنة 1988 .

23 - كناشات ووثائق حول مراكش (بحث ببليوغرافي)
مجلة كلية الآداب بمراكش عدد 4 / 1989 .

24 - ظهائر علوية لرعاية الزاوية البوعمرية بمراكش
من المولى الرشيد الى المغفور له محمد الخامس
دعوة الحق عدد 278 مارس 1990 ص 238 - 259

25 - الجزولي ومذهبه في التصوف
ندوة عشر سنوات - كلية الآداب مراكش
30 يونيو 1 يوليوز 1989 .

26 - الغزواني وكتاب النقطة الازلية
ندوة مراكش خلال عصري المرينيين والسعديين
8 - 10 - يونيو 1990 .

27 - حدود الوثيقة الشعرية (التجربة الموحدية)
دعوة الحق 301 نونبر دجنبر 1993.

28 - تكريم النبوة في كتاب الشفا للقاضي عياض.
عدد 4 من آفات الثقافة والتراث. . دبي ، الامارات العربية
يناير 1994.

29 - عنايــة السلطانــين المولــى الرشيـد والمولــى اسماعيــل بالاديب الصوفي محمــد المرابـــطي الدلائي.
دعوة الحق عدد 303 يوليوز 1994، ص 99، 104.

سادسا - المحاضرات

1 - حول احياء التراث المغربي
افتتاح السنة الدراسية بالمركز التربوي الجهوي بمراكش
موسم 1979-1988 نونبر 1979 .

2 - احياء التراث المغربي : اشكالات وقضايا
درس افتتاحي بمناسبة تأسيس كلية الآداب بمراكش وافتتاح الدروس بها
(اول درس القي في الكلية يوم 29 نونبر 1979)

3 - وحدة المغرب الترابية والمذهبية خلال التاريخ
الاسبوعان الثقافيان للاعمال الاجتماعية للجيش الملكي القيت بكازينو مراكش
يوم 18 نونبر1984 .

4 - الحركة الفكرية في العصر الموحدي
محاضرات القيت بكلية العلوم بطلب من عمادة الكلية
يوم 11ماي 1985 .

5 - الدور الاجتماعي لسبعة رجال مراكش
الاسبوع الثقافي المنظم من طرف جمعية الاطلس الكبير خلال شهر يونيه
من سنة 1985 (بمدينة مراكش)

6 - التيار الصوفي في الادب العلوي
الاسبوع الثقافي الذي نظمته نيابة وزارة التعليم بالصويرة.
بين 24 و 28 فبراير 1986 .

سابعا - الندوات العلمية

1 - مراكش في الآثار الاجنبية : بحث بيليوغرافي
ندوة مراكش المنظمة من طرف الجمعية المغربية للادب المقارن وكلية الآداب بمراكش
مراكش في 26 - 27 فبراير 1982 .

2. – أثر العقيدة الموحدية في الادب

نـدوة الادب المغربـي بالمركز التربـوي الجهوي لأگادير – انزگان بين 8 - 13 مارس 1982 .

3. – الصديق بلعربي المحافظ واسلوب المحافظة

ندوة تكريم الاستاذ الصديق بلعربي نظمها اتحاد كتاب المغرب فرع مراكش – مارس 1987 .

4. – الاندية الادبية بمراكش

النـدوة الثالثة للنادي الجراري بالرباط

يوم 14 فبراير 1987

5. – حول تاريخ الماء بمراكش

ندوة تنظيم المجال الجغرافي المنظمة من طرف جمعيـة الجغرافيين المغاربـة وشعبة الجغرافية بكلية الآداب – مراكش26 - 27 فبراير1987 .

6. – التجليات الادبية لمعركة الزلاقة .

يوم دراسي نظمته كلية الآداب بمراكش بمناسبة مرور 9 قرون على المعركـة 9. مارس 1987.

7. – اضواء على الزاوية البوعصرية بمراكش

من خلال مجموعة وثائق خاصة .

نـدوة تكريمية لاحمد الشرقاوي اقبـال نظمهـا فرع اتحـاد كتـاب المغـرب بمراكـش

• وجمعية نادي الثقافة .

10 - 14 مارس 1987 .

8. – حدود الوثيقة الشعرية (التجربة الموحدية)

ندوة شعبة التاريخ بالكلية يوم 1988/3/8 .

9. – الحركة الصوفية وأثرها في ترسيخ روابط الوحدة

(نموذج الجزولي) ارسل الى ندوة الجامعة الشتوية بيفرن

14. مارس الى 20 منه 1988

10. – امتزاج الفنون والصنائع بالمغرب

أيام دراسية لوزارة الصناعة التقليدية الريصاني

31 مارس 12 ابريــل 88

(القي بالنيابة)

11 – الحركة الصوفية بمراكش الموحدية

وكلمة اللجنة المنظمة لندوة «مــراكش مـن التــأسيس الى آخـر العصــر الموحدي »

كلية الآداب مراكش 14 - 16 ابريل 1988 .

12 – حول رجالات رجراجة وعلاقتهم بصوفية مراكش

الملتقى الفكري الاول لمدينة آسفي 23 - 25 يونيه 1988

تنظيم كلية الآداب بالرباط بتنسيق مع المجلس البلدي لآسفي .

13 – محمد بن سليمان الجزولي

الاسبوع الثقافي لمدينة وزان 26 - 31 اكتوبر 1988

تنظيم المجلس البلدي لوزان .

14 – ندوة الاحتفال بمرور عشر سنوات على تأسيس جامعة القاضي عياض ،

كلمة اللجنة المنظمة للندوة

30 يونيو 1 يوليوز 1989 بكلية آداب مراكش

15 – المؤتمر الثاني للرابطة العربية للادب المقارن

المنعقد بمراكش بين 5 و 7 اكتوبر 1989

كلمتا : الافتتاح والاختتام .

مع رئاسة هذا المؤتمر

16 – ندوة تكريم العلامة العراقي عبد الحق فاضل

بكلية آداب مراكش بين 2 و 5 نونبر 1989

كلمة اللجنة المنظمة وكلمة الاختتام

17 – المشاركة في فعاليات المربد العاشر ببغداد ، الجمهوريــة العراقـية بين 12 و23 نونبر 1989 .

18 – مراكش خلال العصرين المريني والسعدي

الحلقة الثانية من ندوة مركز الدراسات والابحاث حول مراكش

كلمة اللجنة المنظمة للندوة ، 8 - 10 نونبر 1990.

19 – حول المسيرة الخضراء .

ندوة القوات المسلحة الملكية بمناسبة الايام الثقافية الثانيـة، 15 نونـبر1990 ، بقصر المؤتمرات بمشاركة اساتذة من كليتي الحقوق والآداب

20 – ندوة دولية حول صومعة الكتبية
(حول المقصورة الميكانيكية المتحركة بالكتبية)
نظمتها جمعية الاطلس الكبير بتعاون مع جامعة القاضي عيــاض
18 - 19 اكتوبـر1991 .

21 – الملتقى الخامس لمدينة وزان
حول الغزواني وكتاب النقطة الازلية
26 - 29 - اكتوبر 1991 .

22 – ندوة الحركة العلمية بمراكش خلال الثلاثينات
تكريما للرحالي الفاروق ، كلمة افتتاح الندوةوكلمــة اختتامهــا : 14 - 16 نونبر 1991 . بكلية اللغة العربية

23 – ندوة النص الادبي بين الممارسة والتطبيق
كلمتا : افتتاح واختتام الندوة .
20 - 21 فبراير1992 بكلية اللغة العربية

24 – البحث في ادب الغرب الاسلامي : الواقع والآفاق
تكريما للدكتور عباس الجراري ، كلمة افتتاح الندوة
12 - 14 نونبر 1992
بكلية اللغة العربية

25 – ابن العريف الصنهاجي : شاعر من الاندلس
ندوة اللقاء العربي الاسباني ، المنظم من طرف وزارة الشــؤون الثقافـية ، بمراكش 23 - 26 نونبر1992 .

26 – ندوة الدرس البلاغي والنص الادبي
مهداة الى روح فقيد اللغة العربية محمد بن تاويت التطوانــي ، 12 - 13 فبراير 1993 .
كلمة افتتاح الندوة . بكلية اللغة العربية بتنسيق مع كلية آداب اگدير .

27 – ندوة اللغة العربية والبحث اللساني

19 - 20 فبراير 1993 . كلمة افتتاح الندوة
بكلية اللغة العربية .

28. – ندوة : الذكرى الثلاثين لتأسيس كلية اللغة العربية.
ثلاثون سنة في خدمة اللغة العربية والتراث الاسلامي
. 12-4 اكتوبر 93.

29. – ندوة: من ابن برجان الى ابي اسحاق البلغيثي،
كلية الاداب، نونبر 1993.
القيمة الوثائقية لشعر الجراوي

30. – ندوة : حول الجراوي كلية آداب بني ملال
5-7 ابريل 1994.

31. – ندوة :اللغة العربية والثقافة الحديثة . نظمتها كلية اللغة العربية بمراكش
11-12 نونبر 1994 كلمة الافتتاح.

ثامنا – الاسهام في تحرير " معلمة المغرب "
(وهي مواد تم انجازها)

1. – الاخفش ، علي بن يحي المراكشي
2. – ادركو ، محمد الحاج المراكشي
3. – ابن ادريس محمد بن محمد العمراني المراكشي
4. – الادريسي ، عبد الرحمن بن عبد الله
5. – الازدي ، احمد بن محمد المراكشي
6. – ابن الازرق ، عبد الوهاب المراكشي
7. – ازنيط ، محمد بن محمد المراكشي
8. – ابن ازنيط ، احمد بن محمد المراكشي
9. – ابن الاشقر ، عبد الرحمن بن محمد
10. – ابن الاشقر ، عبد الله
11. – الاوسي ، محمد بن علي المراكشي

12 - سيدي بلا بنعزوز المراكشي
13 - البوعمرية (زواية - اسرة)
14 - بو الاوقات (ولي)
15 - الجزولية (طريقة)
16 - الجزولي : محمد بنسليمان
17 - الدرقاوية : طريقة
18 - الدلائى : محمد المرابط

تاسعا - الاحاديث الاذاعية والتلفزيونية

1 - عباس بن ابراهيم التعارجي ومؤلفاته
برنامج الحومة ، حوار مع معده عبد الاله التهاني من اذاعـة مراكـش على القنـــاة الوطنية .
الزمن نصف ساعة . خلال شهر نونبر1981
2 - التراث المغربي عموما ، ورسالة ابي عبد الله المرابط خصوصا برنامج ضيف الزوال
حوار مع احمد الريفي من مراكش عبر القناة الوطنية
الزمن ساعة يوم 10 دجنبر 1981 .
3 - التصوف المغربي وظاهرة سبعة رجال مراكش
برنامج ضيف الزوال ، حوار مع احمد الريفي من مراكش عبر القناة الوطنيـــة الزمـــن ساعة . يوم 4 فبراير 1982 .
4 - ابن المؤقت المراكشي حياته ومؤلفاته
برنامج الحومة ، حوار مع معده عبد الاله التهاني من اذاعة مراكـــش علـى القنـــاة الوطنية .
الزمن : نصف ساعة يوم 1 ابريل 1982.
5 - مراكش وعاداتها وتقاليد اهلها ، وسبعة رجالها
برنامج في ضيافة مستمع ، حوار مع البوكيلي (بالاشتراك)
الزمن ساعتان في 1 يوليوز 1982 .

6 - حول كتاب الدولة الموحدية (اثر العقيدة في الادب)
برنامج تلفزيوني في ربوع بلادي حوار مع عبد العزيز بغـــداد . فـي 14 ابريل 1986 .

7 - حول ندوة الدراسات الادبية في الفصل الدراسي
بمناسبة تنظيم ندوة علمية بكلية الاداب بمراكش
حوار مع احمد الريفي يوم 17 ابريل 1985

8 - مراكش : والحركة الثقافية بها عبر العصور
برنامج " مراكش معالم وأعلام " حوار مع حسن بنمنصور 4 حلقات
الزمن ساعتان . شهر دجنبر 1985 يناير 1986

9 - ندوة مراكش موضوعاتها والمشاركون فيها
اذاعة طنجة 17 ابريل 1988 برنامج الاسبوع ستة ايام

10 - حول ندوة مراكش : من التأسيس الى آخر العصر الموحدي
برنامج شهادات ، الاذاعة الوطنية 12 ابريل 1988

11 - الطرق الصوفية بالمغرب
برنامج ليالي رمضان ، الرباط يوم 13 ماي 1988 .

12 - حول مدينة مراكش
برنامج أبجد هوز . اذاعة طنجة
الاربعاء 12 اكتوبر 1988 .

13 - حديث اذاعي مع حسن بنمنصور ، برنامج في الاسبوع مرة ،
موضوعه : مؤتمر الرابطة العربية للادب المقارن .
19 اكتوبر 1989 . من الاذاعة الجهوية بمراكش (نصف ساعة)

14 - حديث اذاعي مع حسن بنمنصور ، بمناسبة الايام الوطنيـــــة للبيئـــة .
موضوع : الماء في مراكش
من الاذاعة الجهوية بمراكش (نصف ساعة) اكتوبر 1990.

15 - حديث اذاعي مع نعيمة بوعلاق وعبد الكبير بنبيش برنامج شهـــادات ، حول الحلقـــة الثانية من ندوة مركز الدراسات والابحاث حول مراكش .
في 7 نونبر 1990 من الاذاعة الوطنية بالرباط (نصف ساعـة) .

16 – حديث اذاعي مع نعيمة بوعلاق ، برنامج شهادات . حول تقييم اعمال الحلقة الثانية من ندوة مركز الدراسات والابحاث حول مراكش 12 نونبر 1990 من الاذاعة الوطنية بالرباط (نصف ساعة)

17 – برنامج التنمية الى اين ؟ مع السيد بنجمة بوجمعة حول المركز : اهدافه ، ومخططاته وتلخيص اعمال الحلقة الثانية من ندوة في 14 نونبر 1990 من الاذاعة الجهوية بمراكش (نصف ساعة)

18 – حديث اذاعي مع نعيمة بوعلاق حول ندوة الرحالي الفاروق المنظمة من طرف كلية اللغة العربية . في 19 نونبر 1991 .
من الاذاعة الجهوية بمراكش (نصف ساعة)

19 – حديث اذاعي مع حسن بنمنصور حول : الحركة العلمية بمراكش على هامش ندوة الكتبية بمشاركة عميد جامعة القاضي عياض وممثل لجمعية الاطلس الكبير نونبر 1991 .

20 – حديث اذاعي مع عبد العزيز بغداد ، برنامج من المهد الى اللحد ، حول ندوة البحث في ادب الغرب الاسلامي المنظمة من طرف كلية اللغة العربية
تكريما للدكتور عباس الجراري في 18 نونبر 1992 – الاذاعة الجهوية بمراكش (نصف ساعة)

21 – حديث مع نجاة بناني حول تكريم الاستاذ المرحوم محمد بن تاويت التطواني ، من الاذاعة الوطنية بالرباط
يوم 7 فبراير 1993 (15 دقيقة) .

22 – حول ندوة: ثلاثين سنة في خدمة اللغة العربية والتراث الاسلامي مع حسن بنمنصور الاذاعة الجهوية بمراكش
18 اكتوبر 1993.

23 – حديث حول شخصية التعارجي مع اذاعة طنجة
اكتوبر . 1993 ليلا

24 – حديث حول ندوة :(اللغة العربية والثقافة الحديثة)مع عبد الاله التهاني، الاذاعة الجهوية بمراكش
1 نونبر 1994 1/2 ساعة والنشاط العلمي بالكلية.

عاشرا - تأطير طلبة الدراسات العليا :

أ - المسجلون في شهادة دبلوم الدراسات العليا .

1- الاتجاه النفسي في النقد الادبي العربي الحديث .
جسوس عبد العزيز : نوقشت 4 فبراير 1990

2- قضية الجديد عند ابي تمام
دراسة نصية أسلوبية
بوم الحسين نوقشت 2 فبراير 1992

3- تجليات نظرية الرواية الاوربية في النقد العربي الحديث .
تبليست احمد

4- لغة الشعر عند محمود درويش
مراح محمد نوقشت 23 - 10- 1993

5 - أسس التاريخ للنقد العربي
المساوي عبد الرحمان: نوقشت بتاريخ 9-12 -1994

6 - قضايا النقد الادبي بالمغرب بين ابن عبد الملك وابن البناء المراكشي
التبر سعيدة

7 - مقتضيات التحليل النصي عندبن حزم القرطبي
الطوكي محمد

8 - أثر النزعة الفقهية في الشعر المريني
بنفرحي السعيد: نوقشت 27-5-1994.

9 - القصيدة المديحية في ديوان ابن دراج القسطلي
لمحضر المصطفى: نوقشت في 27-10-1994

10 - جدل التقليد والتحديث في الفكر الادبي العربي الحديث
بلكبير عبد الصمد: نوقشت 2 يوليوز 1993.

11- بويغرمني نعيمة - شعر محمد الحراق (جمع ودراسة وتحقيق)
آداب الرباط

ب - المسجلون في شهادة دكتوراه الدولة .

1 - النزعات الادبية لدى قضاة الاندلس
الغسري يّ عيسى
2 - القصيدة العربية المعاصرة بين هاجس التنظير والممارسة النصية - المتقي علي .
3 - معجم ابي العلاء المعري : تصنيف ودراسة
الطالبي محمد .
4 شعر الملحون : الظاهرة والدلالات
بلكبير عبدالصمد

ج - المشاركة في المناقشة :

1 - أثر ارسطو في النقد والبلاغة حتى آخر القرن الثامن الهجري
اطروحة دكتوراه الدولة دافع عنها الاستاذ عباس ارحيلة بكلية آداب الرباط . في 25 ماي 1991
تحت اشراف الدكتور امجد الطرابلسي
2 - الشعر السعدي في سياق التفاعل بين الواقع والفكر والابداع .
اطروحة دكتوراه الدولة دافع عنها الاستاذ عبد الله بنصر العلوي ، بكلية آداب فاس يوم 29 اكتوبر 1992
تحت اشراف الدكتور محمد السرغيني .
3 - الانساق المفاهيمية الاساسية في الخطاب النقدي العربي المعاصر
دبلوم دراسات عليا ، عبد السلام أرخصيص - كلية آداب الرباط
في 9-12-1993
اشراف احمد الطريسي اعراب المشاركة ادريس بلمليح
4 - الحركة الصوفية واثرها في ادب الصحراء المغربية 1830 - 1956.
اطروحة دولة حضرها محمد الظريف ، كلية آداب الرباط .
.1994-7-13.
اشراف "عباس الجراري بمشاركة محمد الكتاني ومحمد مفتاح

حادي عشر - مناسبات مختلفة

1 - مولاي الطيب المريني الاديب الشاعر

تأبين المرحوم بمسجد ابن يوسف في 11-6-1994 بحضور المجلس العلمي بمراكش وتمثيلية المجالس العلمية المغربية وادباء وعلماء من المغرب

فهرست الخرائط

فهرست المحتوى

الحركة الصوفية بمراكش : ظاهرة سبعة رجال

ثمن النسخة 40 درهما